حوارات ثقافية

الجزء الأول



سامر إسلامبولي

دراسات نهضوية

حـــــوارات ثقافية

-1-

وجهاً لوجه



سامر إسلامبولي

- حوار مع الجماعة الأحمدية .(مفهوم خاتم النبيين) .
- نقاش رأي د. محمد شحرور في إباحته للعلاقة الجنسية بين العزاب .
- (المشكلة في العقلية السلفية وليست في القرآن) حوار صحفي في جريدة الوقت .
- لفظة (الله) ليست عربية . د. أحمد صبحي منصور، والرد عليه .
- رد على شيخ الأزهر الطنطاوي، وإثبات أن أصحاب النبي ليس كلهم أتباعه.
- النص القرآني نص إلهي فوق الشبهات، رد على الدكتور عابد الجابري.
- قراءة نقدية لكتاب (محنتي مع القرآن ومع الله) للدكتور عباس عبد النور.

الكتاب : حـوارات ثقافية

التّأليف: سامر إسلامبولي

رسم الغلاف : سيرين سهيل الفاتح

البريد الإلكتروني :

s.islambouli@gmail.com

مصر – القاهرة

MOb: 0020 -11- 41025253

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }الحجرات(13)



الفهرس

مُقَدِّمَة

إنّ دراسة المواضيع الفلسفية، والفكرية، وحوارها يحتاج إلى عمق في التفكير، وخاصّة ؛ إن كانت أفكاراً كلية ينبني عليها رؤية الإنسان إلى الكون والحياة ، وما بعد الموت، وعلاقتهم جميعاً ببعضهم، ولتعقيد أمور الحياة، وكثرة الأفكار والاتجاهات، وبُعد الشباب عن الفلسفة لسوء تدريسها، والحوار، لعدم استخدامه، صار في أذهانهم صعب المنال، وأصاب عقولهم عقم، وجمود، إلى درجة أنك إذا عرضت عليهم فكرة ؛ التزموا جانب الصمت، ورسموا على شفاههم ابتسامة لا معنى لها ! ، وقالوا : نحن غير مؤهلين للحكم على هذه الأفكار، وينبغي سؤال أهل الخبرة والاختصاص، وجعلوا الأفكار مثل الطب والفيزياء !، وبذلك حرموا أنفسهم أكبر نعمة أنعمها الخالق عليهم ، ألا وهي التفكير والحرية، ومع الزمن انكمش ، وتقلص التفكير في شباب الأمة، وتَقيَّدت حريتهم؛ إلى أن أُصيب التفكير بالضمور، ومن المعروف أنّ كل عضو لا يستخدمه الإنسان يَفقد فاعليته !، ويتندر بعض الناس بقولهم : اتركه للزمن يقع وحده، ويضربون على ذلك مثلاً، سقوط سرة الولد وحدها بعد فترة زمنية ، وأخشى أن ينطبق هذا على عقول الشباب ، فتسقط من تلقاء ذاتها لعدم استخدامها !.

ومن أجل منع ضمور العقل ، جمعت مادة كبيرة من الحوار ، والدراسات المختصرة حتى أجعل القارئ يشارك في التفكير ، وتقويم الأدلة والبراهين ، ويتدرب على الحوار.

صديقي القارئ

أدعوك إلى المشاركة في التفكير والحوار ، حتى لا تفقد عقلك مع الزمن، وَثِق بعقلك، وتقويمك للأمور، وتَجاوَز الخطوط الحمراء الموضوعة لك، فإن أخطأت اليوم، تُصيب غداً ، اسمع، واسأل، وحاور، وطالب بالبرهان ، واحتفظ لنفسك بخط الرجعة في حال تَبين لك خطأ قول أو فكرة ، وقُم بالتحديث المستمر لفكرك، حتى لا تُصاب بفيروس يتكاثر فيه، وأنت لا

تدري، واعلم أن هذه الأفكار، والنتائج غير مُلزمة لك ، فأنا أقول ، وأنت تقول، وللناس عقول .

{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } (الإسراء 36).

دمشق – سورية

المؤلف

2009م

مفهوم الخاتمية

{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً }الأحزاب40

إنَّ كلمة (خَتَمَ) الخاء والتاء والميم تدل على عملية ارتخاء ودفع خفيف منته بجمع متصل. وظهر ذلك في حياتنا المعيشية عندما نريد أن نُنهي أمراً معيناً متفقاً عليه ، فنبدأ بذكر البنود واحداً تلو الآخر ، مع وقفة عند كل واحد للتحقق والتأكد منه وتثبيته، وهذا الفعل هو دلالة صوت (الخاء والتاء) إلى أن نصل إلى عملية النهاية فنضع البند الأخير الذي يُعطي لما سبقه صفة التصديق، والتواصل، والإكمال والتثبيت، والاستمرار لمضمون الاتفاق دون زيادة أو نقصان، وهذا دلالة صوت (الميم).

ومن هذا الوجه، يتم استخدام فعل (ختم) لكل **عمل تم الانتهاء منه بصورة كاملة، مع إعطائه صفة التواصل، والصلاحية والاستمرار، والتثبيت والمصداقية**، وهذه الصور لفعل (ختم) اقتضى في واقع حال المختوم؛ أن يكون الخاتَم هو الآخر ضرورة لازمة، وإلا انتفى عنه صفة الختم . وظهر ذلك الاستخدام في ختم العقود والوثائق ، فبعد عملية الختم لا يصح أي زيادة أو تغيير.

فمفهوم الآخر وحده؛ يدل على نهاية الأمر المتكلم عنه ، ولا يُفيد نفي وجود شيء بعده في الواقع إلاّ بقرينة تُحدد ذلك، نحو قولنا : جاء زيد آخر الناس . فهذا الكلام لا يفيد نفي مجيء أحد بعده ، لأنه من المحتمل أن يجيء إنسان بعده . فهو يُفيد الآخرية في زمن التكلم فقط، ولا ينسحب إلى المستقبل، غير أنه لا يُفيد صفة التواصل والمصداقية والإكمال للناس الذين سبقوه ، فكلمة الآخر؛ تدل على مجرد وصف حال الأمر من حيث هو آخر شيء حصل إلى زمن التكلم مع احتمال استمراره.

إذاً، دلالة كلمة (الخاتَم) أعم وأشمل من دلالة كلمة (الآخر)، ولا يصح استخدام كلمة (الآخر) بدل كلمة (الخاتَم) .

قال تعالى: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (يس65)

فختم الأفواه؛ هو تثبيت وتوقيف وظيفتها على شيء كامن في داخلها يقوم به جهة أخرى، وليس إغلاق الأفواه كما تُغلق الأبواب !، لأن عملية إغلاق الفم يقوم الإنسان نفسه بها، بخلاف عملية الختم؛ فلابد لها من جهة أخرى تختم عليه. وعملية الختم لا يمكن أن يتم فتحها، أو إلغائها إلا من الفاعل الذي قام بالختم . مثل إن قامت السلطات بختم محل تجاري لوقوعه بمخالفة ما ؛ فإن قام صاحب المحل بفك الختم؛ كان فعله غير شرعي ومحاسب عليه.

قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ } (الأنعام46)

وقال: {يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۞خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (المطففين 26)

فالمختوم؛ هو شيء تم صنعته بصورة معينة، وتم إنهاءه وتثبيته على ما هو عليه، والمحافظة على أن لا يتم عليه الزيادة أو النقصان، وإعطاءه صفة صلاحية الاستمرار.

ومن هذا الوجه لايصح أن يكون الختم في بداية الشيء أو وسطه؛ بل لابد أن يكون في آخره ضرورة.

وبعد هذا المدخل المختصر؛ نصل إلى المفهوم الذي هو محل الدراسة ألا وهو:

﴿ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

قال تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً } (الأحزاب 40)

يخبرنا الله ﷻ كونه صاحب العلاقة في بعث النبيين، أنه قد جعل النبي محمداً ﷺ خاتَماً للنبيين، بمعنى أن ما تم إرساله للناس عن طريق هذا النبي الكريم هو إكمال وآخر لكل ما سبقه من الكتب الإلهية ، حيث تواصل معها، وأعطى صفة التصديق لأصلها ، ولمجموعة من مضمونها، ونسخ أو عدَّل أموراً أخرى، وأضاف أموراً، إلى أن تم إكمال المشروع الإلهي، وتثبيته

وإنهاءه، وجمعه في كتاب واحد، فكان هو (القرآن) آخر الكتب نزولاً،وأخذ صفة الكامل والجامع، وكلمة (خاتَم) بفتح التاء، هي قراءة حفص عن عاصم، أما القراءات الأخرى فقد أتت كلمة (خاتِم) بكسر التاء، وبالتالي يصير معناها أن النبي محمد ﷺ هو الفاعل بحضوره الشخصي الذي قام بعملية الخَتْم للنبيين، ومقام الفاعل ليس من النبي نفسه، وإنما جعله الله ﷻ كذلك ، فصار النبي محمداً خاتَماً يتم الختم به بواسطة القرآن، وصار خاتِماً بشخصه يتم به بواسطة القرآن ختم كل ما سبق من دعوات للنبيين .

فَتَمَّ توقيف عملية بعث النبيين من الله لانتهاء مهمتهم، وبلوغ المشروع الإلهي صفة الكمال{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } (المائدة 2)، فالإكمال للدين ، والختم للنبوة الإلهية، والإتمام للعمل المحدد سابقاً.

فكل نبي هو رسول ضرورة، والعكس غير صواب[1]، **فليس كل رسول نبي**.، انظر قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ **رَسُولاً نَّبِيّاً** }مريم51، أتت كلمة نبي بعد كلمة رسول ، وهذا يدل على إمكانية وجود رسول دون نبي، بينما النبي لا يمكن إلاّ أن يكون رسولاً ضرورة.

والرسول النبي هو على حالتين، أحدهما **صاحب رسالة**، والآخر **تابع له**، وكلاهما مأمورين بالتبليغ والدعوة والتعليم وقيادة الناس، ومَثل ذلك مَثل الرسول النبي موسى القائد، والرسول النبي هارون التابع لأخيه ووزيراً له.

فعندما قال الله ﷻ:{وَخَاتَمَ (خاتِم) النَّبِيِّينَ}، **دلَّ ذلك ضرورة على ختم مقام النبوة بنوعيها: الرسول النبي صاحب الرسالة، والرسول النبي التابع له، وهذا ما يقتضيه عموم النص، ولا يوجد مبرر أو قرينة لاستثناء الرسول النبي التابع من عملية الختم، وحصر**

(1) تم تعديل جملة (كل نبي رسول و لا عكس)بعد انتهاء الحوار، وذلك لتبين لنا خطأ القول الأول الذي كان(كل رسول نبي و لا عكس).

الختم بالرسول النبي القائد لأن ذلك تدخّل في مفهوم النص، وإلغاء جزء من دلالته دون برهان، والختم أتى متعلقاً بمقام النبوة الإلهية حسب السياق{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً }فالكلام متعلق بالنبي محمد وهو مبعوث من الله، وبالتالي لا يشمل مقام النبي الاكتسابي المستمر إلى يوم الدين، كما أنه لا يشمل مقام الرسول العادي، وهذا يدل على استمرار مقام الرسول دون النبوة، وهذا تحقق في كل من حمل الرسالة من بعد النبيين طوعاً من العلماء والدعاة والقادة الراشدين، **واستمرار وجود مقام الرسول ضرورة اجتماعية وإيمانية لإقامة الحجة على الناس، والأخذ بأيديهم إلى طريق الصواب والرشاد.**

لاحظ أن كلمة (خَاتم) في قراءة عاصم لم تأت بصيغة اسم فاعل، لأن النبي محمد ﷺ ليس هو الفاعل لعملية الختم، وإنما الفاعل هو الله ﷻ، لذا؛ أتت كلمة (خَاتم) اسم للشيء الذي يتم الختم به (أداة)، وهذا ما نستخدمه في حياتنا العملية من قيامنا بتسمية الشيء الذي نختم به (خاتَم)، ومن يقوم بالختم يكون خاتِماً، اسم فاعل، ،أما قراءة الآخرين (خاتِم) بالكسر، فالفاعل هو النبي بشخصه، ولكن ليس أصالة، وإنما تكليفاً وجعلاً .

إذاً، عملية الختم في واقع الحال موجهة لمقام النبوة الإلهية بنوعيها (القائد والتابع)، وكذلك تم ختم مقام النَبوءَة كما في قراءة نافع (وخاتم النبيئين) بمعنى لم يعد يوجد نبيء عن الله، وذلك نتيجة إكمال الرسالة، وبالتالي انتهى دور النبيين المبعوثين من الله، فتم توقيف بَعثهم، وتوقفت النبوءة عن الله ، واستمرت الرسالة الكاملة التي تحتوي مصداقيتها في مطابقة خطابها مع محلها من الواقع من خلال البيِّنات، وآيات الآفاق والأنفس،{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (فصلت 53). لأن بَعث النبيين كان أمراً لابد منه عند تشكل وتراكم نزول الرسالة الإلهية، وذلك للأخذ بيد المجتمعات الإنسانية القاصرة، وعندما وصل المجتمع الإنساني إلى بداية سن الرشد والنضج ،

اقتضى رفع الوصاية الإلهية المباشرة، وتوقيف بعث النبيين لإكمال الرسالة، والذي دَلّنا على وصول الإنسانية إلى بدء سن الرشد؛ هو اكتمال التشريع وحفظه، وتوكيل الأمر إلى الرسل من العلماء والدعاة وقادة المجتمع ليستمروا في عملية التفاعل، والدراسة للرسالة الإلهية الكاملة، ويُسقطوها على الواقع، ويمارسوا مقام الخلافة في الأرض، الذي منحهم إياه الله ﷻ. { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } (البقرة30).

فدلالة كلمة (خاتَم أو خاتِم) تُفيد التواصل، والمصداقية، والصلاحية، والكمال والاستمرار، والإنهاء، والتثبيت، وآخر الشيء. **كل هذه الأمور مجتمعة؛ هي مفهوم (الخاتَمية أو الخاتِمية) في الواقع، و قد تظهر دلالات أخرى تلزم مفهوم الخاتم حين استخدامها في الواقع ، وهي ليست من الدلالة اللسانية أصلاً لكلمة خاتم مثل إن أتت في سياق وصف العقلاء فتظهر دلالة المدح ضرورة دون نفي الدلالة اللسانية، وهذا الأسلوب مشاهد في استخدام الكلمات ، وتسمى الأفعال أو الصفات اللازمة ضرورة وهي لاتُدرك من دلالة الكلمة لسانياً، وإنما تُدرك من إسقاط مفهوم الكلمة على الواقع، انظر مثلاً لكلمة (ضرب) فهي تدل على إيقاع شيء على شيء يترك فيه أثراً، وحين استخدامها في سياق الضرب بصورة مادية يترتب على فعل الضرب في الواقع ضرورة ظهور فعل التغطية للشيء المضروب نتيجة وقوع شيء على شيء، نحو ضرب الرقاب فقد تغطى الجزء المضروب حين وقع الضرب عليه، فهل يصح أن نقول: إن دلالة ضرب هي التغطية! أو الأمر المطلوب من فعل الضرب هو التغطية!.**

لذا؛ لا يَصح وضع مفهوم (الخاتَمية أو الخاتِمية) مقابل مفهوم (الآخر)، لأن هذا المفهوم قاصر، ولا يدل على تمام وكمال مفهوم الخاتَمية، بينما مفهوم الخاتَمية يشمل مفهوم الآخر، فكل عمل مختوم لا يمكن فتحه، والإضافة له، أو تعديله دون إلغاء عملية الختم، فعندما قال الله ﷻ: {وَخَاتَمَ (خاتِم) النَّبِيِّينَ}، أنهى وأغلق باب بعث النبوة الإلهية

لاكتمال الرسالة ، وذلك بشخص النبي محمد نفسه ، ولن يبعث الله نبياً بعد نبيه محمد ﷺ أبداً؛ لا نبياً قائداً ، ولا نبياً تابعاً . وبالتالي من يَدَّعي النبوة الإلهية فهو مُفتري ، ويكذب على الله ﷻ وعلى الناس.

ولا يصح القول إن استمرار وحي النبوة، وتواصل الله مع خلقه من خلاله، هو رحمة ونعمة، وأمة محمد أَولى من الأمم السابقة في استمرار النبوة فيهم !، وذلك للاختلاف بينهما، فالأمم السابقة أمم ناشئة مبتدئة تحت الوصاية الإلهية، أما حينما وصلت الإنسانية إلى بداية سن الرشد؛ نزل القرآن بصفته المكملة والجامعة، وأعلن الله رفع الوصاية المباشرة عن المجتمع الإنساني، وطلب منهم الاعتماد على أنفسهم في عملية التعامل والتفاعل مع القرآن، وربط خطابه بمحله من الواقع ، ليصيرا -القرآن والعلم – توأمان لا ينفكان عن بعضهما، وأتمَّ نعمته على الناس بإكمال الدين وحفظه، وبرفع الوصاية عنهم، وتسليمهم مقام الخلافة{الْيَوْمَ **أَكْمَلْتُ** لَكُمْ دِينَكُمْ وَ**أَتْمَمْتُ** عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ**رَضِيتُ** لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }المائدة3 .

والأمر أشبه بالوصاية على اليتامى، فإذا بلغوا بداية سن الرشد ينبغي أن تُرفع عنهم الوصاية ، ويعتمدون على أنفسهم وفق التعليمات والإرشادات التي تعلموها من الوصي، وإذا استمرت الوصاية بعد ذلك، تَحَوّل الأمر من نعمة ورحمة؛ إلى نقمة وشقاء، وانتفى الاحترام لهم، وفقدوا فاعليتهم ، وكذلك مفهوم إمكانية استمرار النبوة الإلهية بعد إكمال الرسالة، ووصول الإنسان كجنس إلى بداية سن الرشد، هو نقمة وشقاء، وليس نعمة، ولا رحمة، لأن ذلك تعطيل لمقام الخلافة للإنسان ، وانتفاء التكريم له، والأقوام السابقة لم يكتمل الدين في زمنهم، وبالتالي لم يُتمَّ الله النعمة لهم، ولم يرض عن الدين لانتفاء كماله بعد، وكل ذلك حصل في الأمة الإسلامية، **الإكمال للدين، وإتمام النعمة، والرضى من الله**، فهذا فضل ونعمة ورحمة وتكريم للأمة لم ينله السابقون، لذا؛ فَقَد سؤال هل استمرار النبوة الإلهية نعمة أم نقمة مبرر عرضه،

لأن هذا السؤال قاصر وبحاجة إلى ضبط، وهو تحديده بقبل **إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب**، أم بعد حصول ذلك كله؟ فإن كان قبل ذلك فلاشك أن بعث النبيين رحمة ونعمة، وإن كان بعد ذلك فهو عبث وخطأ وجبر وقهر وفقدان الاحترام للناس وإهدار كرامتهم، وتعطيل مقام الخلافة، فصيغة السؤال خطأ، وهو مثل من يقول: الرحمة ظلم أم عدل، وهذا خطأ، لأن الرحمة قطعاً ليست ظلماً ،وهي فوق العدل، وكذلك قول أحدهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي.وهذا خطأ أيضاً لأنه يوجد احتمال ثالث، وهو ليس معك ولا ضدك، وإنما موقف حيادي. وكذلك السؤال السابق: بَعث النبيين نعمة أم نقمة؟. فلاشك أن بعثهم نعمة ، ولكن عدم بعثهم ليس نقمة، فالعطاء للناس إحسان وعدم العطاء ليس ظلماً أو كفراً.وهذه أمثلة لتقريب خطأ السؤال وعدم ضبطه، والصواب هو هل وجود ناس يصلون إلى مقام النبوة الاكتسابية نعمة؟ والجواب نعم، وهذا شيء موجود لم ينقطع منه زمان فهم حجة الله على الخلق، ولكن لايتكلمون باسم الخالق وغير مفوضين من قبله بخلاف أنبياء الله فهم مفوضين بالكلام عنه .

فالوصاية على اليتامى نعمة ورحمة، ورفعها عن الراشدين نعمة ورحمة وتكريم واحترام وثقة.

وانقطاع النبوة الإلهية في الناس؛ لا علاقة لها بمسألة انقطاع الوحي، فقد تتم عملية الوحي من الله ﷻ لبعض الناس لأمر خاص بهم، لا علاقة للمجتمع به، مثل قوله تعالى : {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ } (القصص 7) ، فهذا الوحي الإلهي، ليس وحياً للتكليف بمقام النبوة، وليس وحياً تشريعياً، وإنما هو وحي خاص للإنسان،كرامة، وتأييداً وتوفيقاً، أو توجيهاً أو بُشرى ..، ولا يصلح أن يكون برهاناً لشيء بالنسبة للمجتمع أبداً، ولا ينسخ حكماً شرعياً بحق الفرد، ولا يضيف أي شيء، ولا يُلزِم الآخرين بإتباعه، أو جعله إماماً، أو يُسمح له بادعاء الإمامة، والقيادة من قبل الله !.

ومن هذا الباب، الإشارات والموافقات، والرؤيا، وما شابه ذلك؛ التي يمكن أن تحصل مع الإنسان، فهي كلها خاصة له، لا تعني المجتمع بشيء من الناحية الفكرية، أو التشريعية، وقد تعني من ناحية الأحداث، مثل رؤيا الملك لسبع بقرات سمان في قصة النبي يوسف،{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ } (يوسف 43) **وينبغي على الإنسان أن ينتبه لهذه الأمور فلا تخدعه نفسه ويتماهى مع الأفكار، ويظن أنه نبياً، أو مبعوثاً من قبل الله ﷻ !، فكل العلماء والدعاة رُسُلاً، والناس عموماً مكلفين بالعلم والدعوة، حسب مستواهم العلمي، والثقافي،**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}آل عمران**110**.

رغم أن مقام النبي أو النبيء مجرداً دون إضافته لله هو اكتسابي قد يصل إليه بعض الناس، ولكن لا يكون نبي أو نبيء الله أبداً، لأن ذلك مقام اصطفاء وبعث من الله، وهذا المقام الاكتسابي بمنزلة الأئمة والعلماء والقادة والدعاة فهؤلاء ينبغي الصلاة عليهم في المجتمع ونصرتهم طالما أنهم ملتزمون بالقرءان والعلم ويعملون من أجل النهضة في المجتمع وخيره، ولكل مجتمع نبيين، ولا يخلو الزمن منهم فهم حجة الله على الناس، وهم النجوم والمصابيح في سماء الدنيا.

أما مسألة الاستدلال على استمرار وجود النبيين بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمن، فهذه مسألة قد تم صنعها كهنوتياً لتبرير ادعاء النبوة، فالنبي عيسى عليه السلام أكمل مهمته الرسالية كما أمره الرب، وقد عصمه من القتل بأي طريقة كانت، سواء صلباً، أم قطع الرأس، أم غير ذلك، وأطال عمره حتى أكمل المهمة التي كلفه الله بها، فالنبييون أصحاب الرسالة من أولي العزم معصومون عن القتل المادي الذي يُزهق حياتهم، وذلك موجه لطبيعة المهمة التي كُلِّفوا بها، والقتل للنبيين القادة الذي مارسه اليهود إنما هو قتل معنوي تمثل بكفرهم وعدوانيتهم ، بخلاف قتلهم للنبيين التابعين فقد كان قتلاً مادياً، وهذا القتل غير مرتبط بزمان أو حياة النبي نفسه، بدليل أن القتل لدعوة النبيين مستمر إلى الآن{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ **وَيَقْتُلُونَ**

النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }آل عمران21،**فهاهم الذين ينتسبون إلى الإسلام يقتلون نبيهم محمد ﷺ من خلال محاربة دعوته بوعي أو دون قصد،** وكذلك مسألة رفع عيسى فهي رفع قيمة، وليست رفع مكان . قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (المائدة 117)

والوفاة للنفس بغير رجعة تكون حين موتها{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الزمر42)، ولا يوجد وفاة للنفس دون رجعة إلا بموتها، وذلك خلاف وفاة النفس أثناء المنام، فإنها ترجع للحياة الفاعلة في الدنيا. فالنبي عيسى توفاه الله بعد أن مات، وانتهت مهمته الرسالية، لذلك؛ لا يصح أي خبر، أو حديث في نزول عيسى في آخر الزمن، والآيات القرآنية التي يستدلون بظاهرها لإثبات فكرتهم؛ لا علاقة لها بالموضوع أبداً؛ وإنما يتم صرف معناها، وتحميل النص ما لا يحتمل. وما ينطبق على النبي عيسى، ينطبق على مفهوم الإمام المهدي، فما يستدل به أصحاب فكرة الإمام المعصوم، يدحضه أصحاب فكرة الإمام المهدي المسيح، والعكس أيضاً، وهذا لأن كِلا المفهومين غير صواب. والغريب أن من يُثبت إمكانية وجود الإمام المهدي المسيح؛ يعتمد على مسألة نزول عيسى في الموروث الإسلامي، وبعد استخدامها لإثبات بعث الإمام المهدي المسيح، يقومون بإثبات موت عيسى، وأنه لن ينزل في آخر الزمن.

والمقصود بهذه الأخبار هو الإمام المسيح الذي يخصهم، وذلك بقولهم : إن الذي سوف يُبعث ليس هو عيسى بشخصه، وإنما المقصود مثيله بالصفات؛ من حيث قيامه بعملية المسح

للأرض، وإزالة الكفر، ونشر الإسلام !، ويقولون بنبوته دون رسالته، ويعدّونه تابعاً للرسول محمد ﷺ مثل تابعية النبي هارون لأخيه الرسول موسى عليه السلام[1].

ولا أدري ما فائدة هذا النبي مع تمام وكمال، وحفظ الرسالة !، فإن كان لدراستها، وتعليمها للناس، فهذا يحصل من خلال العلماء(النبيون) على كافة الاختصاصات، وما رأي هذا النبي المسيح؛ إلا رأياً خاصاً به، يخطئ ويصيب، والمعيار هو **القرآن والعلم والمنفعة للناس**، وإن كان لتجديد ما انقرض أو تحرف من الرسالة، فهذا أيضاً غير موجود لتمام، وكمال، وحفظ الرسالة، كما تعهد الله بذلك،{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً } (النساء87) ، فلماذا نسميه نبياً أو مسيحاً ؟ وكيف نجعل الإيمان بنبوته ركن من أركان الإيمان رغم أن الله لم يطالبنا بالإيمان بالنبيين التابعين، وإنما طالبنا بالإيمان بالنبيّين القادة[1]، انظر إلى قوله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (البقرة 285). وقال : { فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ } (آل عمران 179)

والرسل النبيّون القادة هم أصحاب الكتب، فيجب الإيمان بهم، واحترام أتباعهم، والتعايش معهم، أما النبيّون التابعون؛ فليس المطلوب الإيمان بهم، وذلك لعدم وجود رسالة عندهم، ونفي الإيمان بمعنى نفي الإتباع، وهذا شيء طبيعي لانتفاء وجود الرسالة، وانتفاء وجودهم الشخصي على قيد الحياة، ولكن نصدق بوجودهم لأن الله أخبر بقصصهم. فينبغي التفريق بالدلالة بين **مفهوم الإيمان الذي يدل على التصديق والإتباع معاً، ومفهوم التصديق الذي يدل على مجرد القناعة والإقرار بصواب أمر**، فالسؤال الذي يفرض ذاته هو: هل من يدَّعي النبوة الإلهية يعتقد بوجود رسالة خاصة له !؟ فإن كان الجواب بالإيجاب؛ فقد كفى الله المؤمنين

---

[1] انظر عقيدة الجماعة الأحمدية .

[1] كلمة الأنبياء جمع لمفردة نبيء،التي تدل على صفة مشبهة باسم الفاعل وهي لازمة، أما كلمة النبيّين فجمع لكلمة نبي، وهي اسم فاعل تفيد التعدي.

القتال، لأن الرسالة كاملة على ما هي عليه، وبالتالي؛ أي رسالة أخرى بعدها هي كذب وافتراء على الله ، وصاحبها كذاب مُدَّعي للنبوة والرسالة. وإن كان مُدَّعي النبوة يقول : أنا نبي من الله تابع للرسول محمد ﷺ، ولم ينزل عَلَيّ أي رسالة أبداً، يكون قد نفى عن نفسه صفة الإيمان به؛ لأنه ليس رسولاً نبياً قائداً، وانتقل إلى مسألة التصديق، أو التكذيب بنبوته الإلهية، وسواء أكان يمكن أن يكون نبياً، أم لا، فالأمر لا يُقدم ولا يُؤخر، لأن المفهوم قد تفرغ من محتواه، وصار اسماً، وشكلاً دون مضمون، لعدم وجوب الإيمان به لانتفاء نزول رسالة عليه تكون محل الإتباع، ومثل ذلك كمثل مَن يُطالب بالإيمان بالرسول النبي هارون!؛ فكيف نصدق ونتبع النبي هارون؟ المطلوب هو التصديق، وليس الإتباع له. فدعوى وجوب الإيمان بإمامة ونبوة المسيح المهدي دعوى باطلة، فما بالك إذا كان ادعاء النبوة الإلهية له باطلة أصلاً، وغير ممكنة لتناقضها مع صفة الخاتمَية، والخاتِمية للرسول النبي محمدﷺ الذي لا يحتاج إلى وزير نبي معه أو بعده، أما إن قصد مقام النبوة أو النبوءة لساناً فهذا ليس حصراً بواحد وهو مقام مفتوح لكل الناس إلى يوم الدين، وهذان(النبي والنبيء) ليسا من عند الله، وإنما هما مقامان اكتسابيان متاحان لأي أحد، ويتم التعامل معهما وفق (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) و(إنما الطاعة بالمعروف) و(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) ولكل مجتمع نبيين أو نبيئين – لساناً– وليسا هما من عند الله [1] ولايتكلمون باسمه.

ويوجد مسألة هامة أيضاً **متعلقة بِنَسَب من يمكن أن يصطفيه الله لمقام النبوة الإلهية، وهي أن يكون من ذرية نوح وإبراهيم، أو من ذرية أحدهما ضرورة .**

قال تعالى :

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } ۩ (الحديد 26).

أما ذكر كلمة النبيين في سياق الإيمان، نحو قوله تعالى : { وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } (البقرة 177)، فهذا المقصود به مفهوم النبيين عموماً

[1] راجع كتابي" تحرير العقل من النقل" بحث "مفهوم النبي والنبيء"

من الله اصطفاء ، ومَن وصل إلى مقام النبوة من الناس اكتساباً، لأن الإيمان موجه إلى الرسالة، وليس إلى شخص النبي، فالإيمان المطلوب هو التصديق و الإتباع لما نزل على النبي من أوامر وأحكام، فإن لم ينزل على النبي شيء، فكيف نؤمن به تصديقاً وإتباعاً؟ وإن نزل عليه وحي تكليفي متعلق بسلوك الناس صار رسولاً نبياً!. وقد يقول قائل : كيف طلب الله الإيمان بالنبيين من الأقوام السابقة، ولم ينزل عليهم رسالة، وإنما كانوا تابعين للرسول النبي السابق !؟ والجواب عن هذا؛ هو أن الرسالة لم تكتمل بعد، والمجتمعات الإنسانية لم تصل إلى بداية سن الرشد، فكان لابد من بعث النبيين للأخذ بيد الناس، وقيادتهم للوصول إلى بداية سن الرشد و النضج، أما بعد أن اكتملت الرسالة نزولاً – وهذا الحدث مؤشر على أن المجتمع الإنساني قد وصل إلى بدء سن الرشد– انتفت الحاجة والضرورة من استمرار الوصاية الإلهية عن طريق النبيين، **فتم عملية ختم النبوة من الله بالنبي محمد ﷺ بنوعيها القيادية والتابعية، وختم النبوءة عن الله به أيضاً**، ومن العدل أن لا يحاسب الله الإنسان على شيء لم يطلبه منه، أو لم يبينه في كتابه، وما ينبغي أن يُبنى هذا المفهوم على الظن والاجتهاد أبداً، فالأحاديث المنسوبة إلى النبي لا تصلح أن تكون برهاناً، وذلك لأمرين :

الأول: ظنية ثبوتها، والاختلاف في صوابها، ودلالتها .

الثاني: نفي عنها صفة الوحي، والحفظ الإلهي.

وخاصة أن الكتاب الإلهي قد اكتمل نزولاً، وجُعل النبي محمداً خاتِماً لما سبق من النبيين والنبيئين، فصارت العلاقة بين صفة الكمال للدين ، والختم للنبيين والنبيئين جدلية، الكمال يقتضي الختم، والختم يلزم الكمال.

وعملية استمرار بعث النبيين من الله مرتبطة بمفهوم كمال الرسالة، و وصول المجتمعات الإنسانية إلى بداية سن الرشد، فمن ثبت عنده ذلك، يقتضي انتفاء بعث النبيين ضرورة، ومن يعتقد بعدم كمال الرسالة، وانتفاء وصول الإنسانية إلى بداية سن الرشد، يقتضي ذلك استمرار بعث النبيين ، **أما الاعتقاد بكمال الرسالة،وإتمام النعمة، و رضى الرب، ووصول الناس إلى سن بداية الرشد ، ومع ذلك يعتقد بإمكانية استمرار بعث النبيين من الله ، فهذا تناقض واضح وغير منطقي!**،لأن الأمر يصير مثل بلوغ اليتامى بداية سن الرشد، والنضج،

واكتمال التعاليم لهم، وقدرتهم على التعامل معها مباشرة، ومع ذلك مستمرة عليهم صفة الوصاية !، لا يجتمعان أبداً، ولا تقبله المجتمعات الإنسانية، ولا يصح تسمية ذلك رحمة، أو احتراماً، أو محبة !، إنها الهيمنة والاستبداد، والحجر على العقول، واغتيال حق الآخر في عملية الإبداع، ونفي الاجتهاد والاختيار، وتعطيل وظيفة مقام الخلافة للإنسان.

واستمرار فعل الإيمان بالنبيين بعد النبي محمد موجه إلى النبيين الاكتسابيين أي الأئمة والعلماء والقادة والدعاة إلى الله بشرط نفي عنهم مقام النبوة الإلهي، وبالتالي لايحق لهم التكلم باسم الله.

تعليق الأستاذ هاني طاهر من جماعة الأحمدية على مقال: الخاتمية (1)

واضح أن الكاتب يرفض أي حديث نبوي، ولا يفرق بين الصحيح والضعيف. ولا يأبه بالحديث عارض القرآن أم لم يعارضه.،. جاء بطريق واحد أم بعشرة طرق. بل يرى أنه ليس للنبي ﷺ أن يفسر آيات القرآن، ولا أن يوضح المجمل فيها، بل أظن أنه لا يأخذ بالسنة التي وضح فيها النبي ﷺ بأفعاله شعائر الحج وكيفية الصلوات.

إن رفض أحاديث نزول المسيح كلها، يتضمن رفْض أحاديث علامات الساعة، كالدجال، ويأجوج ومأجوج الذي ذُكر في القرآن أيضاً. وهذه الأحاديث وردت عن عشرات الصحابة بعشرات الطرق، ورفضُها كلّها، يعني إلغاء السنة كلها، لأنه لا أظن أن أي حديث بلغ من التواتر ما بلغت هذه الأحاديث بمجموعها.

وهذا الرفض لابد له من تفسير عقلي، فما معنى أن يتفق عدد كبير من الصحابة على نسبة هذه الروايات إلى رسول الله ﷺ ؟ إن هذا لا يعني سوى أن الرسول قد قال ذلك، إنه يعني أنه قد تحدث عن نزول المسيح، وعن خروج الدجال، وعن يأجوج ومأجوج الموصوفين أنه إذا فتحت يأجوج ومأجوج فهم من كل حدب ينسلون.

إن النبوءات قضية معروفة في حياة الأنبياء، والقرآن فيه من النبوءات الكثير:

كما في الآيات الكريمة التالية:

{فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ } (الروم3)

{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ } (التكوير4)

{وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ } (التكوير10)

{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً } (الفتح1)

{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الجمعة3)

والتوراة مليئة بمثل هذه النبوءات، بل في العهد الجديد يوجد سفر كامل باسم رؤيا يوحنا اللاهوتي.

لذا؛ فإن رفض الأحاديث هذه كلها، يتضمن تكذيب النبي، لأنه لا بد أنه قد قالها، وإن كان بشكل قد لا يتفق تماماً مع المروي، لكنه يتفق إجمالاً معه بلا ريب.

ولو أردت مناقشة الأخ نقاشاً مبنياً على القرآن الكريم وحده لقلت:

رغم أننا **نوافقه في وفاة المسيح**، لكنه تحدث عن آية{وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}،من دون سياقها، بل أسهب في توضيح المعنى اللغوي **للختم الذي قد لا نعارضه في كثير منه**، ولكن المهم هو سياق هذه الآية الذي أغفله كليّا؛ فالآية جاءت تنفي أن يكون الرسول أبا أحدٍ من الناس، وخوفاً من أن يُفهم من هذا أنه أبتر، كما وصفه أحد عتاة الكفر، جاءت (لكن) الاستدراكية لتستدرك وتقول: إنه والدنا الروحي، بل أبو الأنبياء، والذي يختم على صدقهم، أي يصدق رسالاتهم. فإن كانوا سابقين، فهو قد أمر بتصديقهم، وأثبت صدقهم، وخصوصا المسيح ابن مريم، وإن كانوا لاحقين، فلا يمكن إلا أن يكونوا خدّاماً لرسالته، لا خارجين عليها، ولا ناسخين لأي حكم فيها. ولكن الأخ أغفل هذا كله.

لم يرد في القرآن الكريم أي دليل على انقطاع النبوّة التابعة قط، أمّا قوله تعالى: {وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}، فهو دليل على انقطاع النبوّة التشريعية. وكذلك آية:

{الْيَوْمَ **أَكْمَلْتُ** لَكُمْ دِينَكُمْ}.

وهنالك العديد من الآيات التي تؤكد استمرار النبوَّة، التي لا بد أن تكون نبوة تابعة؛ لا تشريع فيها بعد **أن ثبت انقطاع النبوة التشريعية**، ومن هذه الأدلَّة:

الدليل الأول: قوله تعالى{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (سورة الأعراف: 36)

الخطاب موجه إلى بني آدم جميعهم، ولا يستطيع أحدٌ أنْ يُخْرِج من هذا العموم مَن وُلِدَ بعد محمد ﷺ إلا بدليل، وحيث ثبت أنَّ قوله تعالى: {وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}ليس دليلاً على انقطاع النبوَّة التابعة، وليس هناك أي دليل آخر، قلنا بعدم وجود مُخصص لعموم الخطاب في هذه الآية.

والخطاب في هذه الآية جاء بصيغة المضارع، التي تفيد الاستقبال، أي أنَّ الخطاب لبني آدم في المستقبل، والآية تطلب من هؤلاء أنْ يؤمنوا بالمرسَل إليهم منهم. ولو فرضنا أنْ لا أحد سيأتي في هذه الأمة مبعوثًا من عند الله؛ لما كان لهذه الآية أية فائدة، وحاشا لله من ذلك. ولا بد من التنويه بأنَّ الآية التي سبقت هذه الآية بأربع آيات فحسب خاطبت بني آدم كلهم{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (سورة الأعراف: 32) ، كما خاطبت الآية التي سبقت هذه الآية بثماني آيات من السورة نفسها بني آدم{يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ} (سورة الأعراف: 28). ولا يعقل أنْ يكون الخطاب في القرآن بـ(يا بني آدم) مختصًّا ببني آدم الذين ماتوا، مستثنيًا منهم الذين سيولدون !.

الدليل الثاني: قوله تعالى{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً } (الأحزاب: 8)

والسؤال المطروح هنا : ما هو ذلك الميثاق الذي أُخذ من النبيين ، ومن محمد ﷺ ؟

نجد الإجابة عن هذا السؤال في آية أخرى. اقرأ قوله تعالى{وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ } (سورة آل عمران: 82)

يتضح من هذه الآية أنَّ الله تعالى قد أخذ الميثاق من كل نبي، أنْ يؤمن بأي رسول يأتي مصدقًا لما معه، وأنْ ينصره، ويشمل الخطابُ أمَّةَ أيِّ رسول.

لقد وردت آيات واضحة في التوراة تشير إلى سيدنا محمد ﷺ، كما في الإنجيل، بَيد أنَّ اليهود لم يقتنعوا بانطباقها عليه.

كما وردت أحاديث نبوية شريفة واضحة تشير إلى صفات المهدي عليه السلام، وأَوان بعثته، فجاء مُصدقًا للقرآن والسنة، وانطبقت عليه معايير صدق الأنبياء، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.

الدليل الثالث: قوله تعالى{أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَاماً وَرَحْمَةً } (سورة هود: 18) .

يُستدلُ بهذه الآية على صدق سيدنا محمد ﷺ بثلاثة أوجه.

أولها: أنَّه على بيِّنة من ربه.

ثانيها: يأتي بعده شاهد من عند الله يشهد على صدقه.

ثالثها: شهادة التوراة السابقة له.

فمن هو هذا الشاهد الذي يتلوه؟ لقد وُصِفَ بأنَّه مِنه ! فما معنى مِنه ؟ أليس من أمَّته؟ وهل كان عيسى ابن مريم من أمة محمد ﷺ ؟

يجب تدبر الفرق بين أدلَّة صدق سيدنا محمدﷺ الذي يتلوه شاهد منه، وبين أدلَّة صدق الأنبياء الآخرين. ولنقرأ من السورة ذاتها: قوله تعالى{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ } (هود: 29)، هذه الآية على لسان نوح عليه السلام، ويتضح أنَّ دليل صدقه يقتصر على أنَّه على بيِّنة من ربه، وأنَّ الله آتاه منه رحمة، ولم يكن يتلوه شاهد منه.

وهكذا صالح عليه السلام . اقرأ قوله تعالى{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ } (هود: 64). إنَّها أدلَّة صدق نوح ذاتها، من دون أنْ يرد فيها إنَّه يتلوه شاهد منه.

ولو تتبعنا أدلَّة صدق الأنبياء السابقين لرأينا أنَّ محمدًا ﷺ يتفوق بدليل إضافي، هو أنَّ مبعوثًا يتلوه يشهد على صدقه مبينًا للعالم نصاعة دينه وقوة حججه، مبطلاً شبهات معارضيه. وهكذا كان المهدي عليه السلام الذي أفحم المعارضين بصدق نبينا محمد ﷺ، وصدق رسالته وصلاحها لكل زمان ومكان، فنهض بجماعته لنصرة الإسلام في أحلك الظروف، حيث الجهل يكتنف العالم الإسلامي، وحيث الاستعمار والمرض الفتاك والأمية والتخلف.

الدليل الرابع: قوله{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (الحج: 76). نكرر ما قلناه من أنَّ صيغة المضارع تدل على الحال، وعلى الاستقبال.

الدليل الخامس: قوله تعالى {مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ } (آل عمران 180). استعمل الفعل المضارع هنا، أيضًا.

الدليل السادس: قوله تعالى {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً } (النساء 70)

تتحدث هذه الآية عن درجات أربع: **درجة الصالح، درجة الشهيد، درجة الصِّديق، ودرجة النبي**. وهي تَعِدُ من يُطِعِ الله والرسول بنوال درجة من هذه الدرجات حسب طاعته، فقد يكون صالحًا، وقد يكون شهيدًا، وقد يكون صدّيقًا، وقد يكون نبيًّا. ولسنا بحاجة إلى **تأكيد في كل مرة أنَّ درجة النبوَّة التشريعية غير ممكنة؛ حيث ثبت انقطاعها بأدلَّة لا تقبل النقاش**.

وقد فهم البعض من الحرف (مع) أنَّ من أطاع الله ورسوله فلن يكون من الصالحين أو الشهداء أو الصديقين أو الأنبياء، بل سيكون مرافقًا لهم في الجنة، من دون أنْ يكون واحدًا منهم، أي كأنَّه ضيف عليهم.

لكن كلمة (مع) هنا تعني (مِن). وقد وردت هذه الكلمة في مواقع أخرى من القرآن الكريم بهذا المعنى، كما في قوله { وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ } (آل عمران 194).

وهناك من يقول: إنَّها تعني (من) للدرجات الثلاث الأولى، أمّا درجة النبيين فيعود معنى (مع) فيها إلى أصلها وهو المرافقة والمصاحبة.

ويُجاب هؤلاء بأنَّ هذا تَحَكُّم في النص. ولا دليل على هذا الكلام بعد أنْ ثبت من خلال سرد الشبهات حول انقطاع النبوَّة التابعة، ودحضها.

ونكتفي بهذه الأدلّة من القرآن الكريم رغم وجود غيرها.

الإيمان بالأنبياء أم بالرسل:

قال الأخ سامر: (إن الله لم يطالبنا بالإيمان بالأنبياء، وإنما طالبنا بالإيمان بالرسل).

مع أن كل نبي رسول، وكل رسول نبي، لكن النبوة والرسالة نوعان. ومن أدلة وجوب الإيمان بالأنبياء، قوله تعالى:

{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } (البقرة 177)

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ } (البقرة 213)

{قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (آل عمران 84)

أما استدلال الأخ سامر على عدم بعث الإمام المهدي، ولا المسيح، ولا أي مبعوث من عند الله بعد سيدنا محمد ﷺ ، وإنكاره هذه الروايات الكثيرة العدد، مُحتجاً باكتمال الرسالة، وبوصول المجتمعات الإنسانية سن الرشد، ومن ثمّ فلا داعي لبعث الأنبياء.. فهو قول لا دليل عليه، بل هو مجرد استنتاج عقلي محض، ولا يصلح في هذه المسائل سوى الدليل النقلي، لأن الله تعالى وحده مَن يعلم متى تصل البشرية إلى سن الرشد هذا الذي يُغنيها عن أي هداية من الله.

لو تحدث الأخ سامر عن اكتمال الشريعة، وانقطاع التشريع الرباني لوافقناه تماما.. لأن لدينا أدلة قرآنية على ذلك، أما أن يستنتج من اكتمال الشريعة وجوب انقطاع أي هدي من الله فهذا لا نوافقه فيه، ولا نرى عليه دليلاً.. بل لدينا أدلة تنقضه، وهي أدلة استمرار الوحي.

أما أنّ هذا الوحي خاص بصاحبه، فهذا أيضا لا دليل عليه، فأين الدليل الذي يمنع نزول وحي على إنسان يؤمر بتبليغه ؟

وأما وصف الوحي غير التشريعي بـ (الهيمنة والاستبداد ، والحجر على العقول ، واغتيال حق الآخر في عملية الإبداع، ونفي الاجتهاد والاختيار ، وتعطيل وظيفة مقام الخلافة للإنسان) فلا أراه معقولاً البتة. إن الإلهام الذي ينزله الله تعالى على عباده هو أعظم نعمة، وهو ليس حجراً على عقولهم، ولا اغتيال حقهم في الإبداع، بل هو إرشاد وتوجيه، وتنوير وهدي، وطمأنينة ويقين.

رد إسلامبولي على تعليق الأخ هاني طاهر (2)

السلام عليكم

الأخ الأستاذ هاني طاهر المحترم مبارك عليك رمضان، وعلى المسلمين .

لقد قرأتُ بوعي ردك على مقالي (الخاتمية)، فلاحظت أنك تجاوزت نقاش النص المركزي في موضوعنا، وأخذت تَعرض أدلة على إمكانية استمرار بعث الأنبياء من الله، وذلك بسرد نصوص **لا تدل بصورة قطعية على فكرتك، وبالتالي لا يمكن أن تَحسم النقاش فيها** ، وقياسك الأمة الإسلامية على من سبق من الأمم قياس غير صواب، وذلك للفروق بينهم، التي منها :

1- خصوصية دعوة الأنبياء والرسل لأقوامهم ، بينما رسالة النبي محمد عالمية وإنسانية .

2- لم يتم إكمال الدين في بعث الأنبياء السابقين، بينما تم الإكمال للدين نزولاً في بعث النبي محمدﷺ.

3- لم تتم النعمة على مَن سبق من الأقوام بينما تمت النعمة علينا.

4- ولنفي عملية الإكمال للدين في بعث الأنبياء سابقاً، ونفي إتمام النعمة، ولم يحصل رضى الرب بعد ، لم يصرح الله ﷻ بصفة الخاتمية لهم، بينما عندما أكمل دينه ببعث النبي محمد، وأتم نعمته، ورضي الإسلام ديناً ، صرح بصفة الإكمال للدين ، ولشخص النبي بالخاتمية.

والأَولى أن تُناقش مفهوم الخاتمية فقط المبنية على **إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب**،، فإن استطعت أن تَنفي تَضمن دلالته على (الآخر) إضافة للدلالات الأخرى التي ذكرتها في مقالي، مثل المصداقية، والكمال، والاستمرار، تكون قد أنهيت النقاش ، وأثبت فكرتك ، وإن لم تستطع ذلك ، تكون فكرتك واهية.

وسأناقش مثلين مما تم عرضه[1]، وهما:

---

(1) لقد تم إضافة هذا المثل بعد انتهاء الحوار للفائدة.

1- {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (سورة الأعراف: 36)

تقول حضرتك:(والخطاب في هذه الآية جاء بصيغة المضارع، التي تفيد الاستقبال، أي أنَّ الخطاب لبني آدم في المستقبل، والآية تطلب من هؤلاء أنْ يؤمنوا بالمرسَل إليهم منهم. ولو فرضنا أنْ لا أحد سيأتي في هذه الأمة مبعوثًا من عند الله؛ لما كان لهذه الآية أية فائدة، وحاشا لله من ذلك).

- إن خطاب (يا بني آدم) شامل كل الناس إلى يوم القيامة كما ذكرت حضرتك ، وهذا لا خلاف فيه، وكلمة (يأتينَّكم) فعل مضارع تفيد الاستمرار والمستقبل ، فأيضاً صواب لا غبار عليه، ولكن من أين أتيت بكلمة (مبعوثاً) في النص؟ والنص ذَكر كلمة (يأتينَّكم)! ودلالتها غير دلالة كلمة (بعث)، وكذلك النص ذكر كلمة (رُسل) ولم يذكر كلمة (نَبيّين)، ويوجد فرق بين دلالة الكلمتين كما ذَكرتُ سابقاً من حيث أن كل نبي رسول ضرورة ، والعكس غير صواب، **والنبوة الإلهية مختومة بنوعيها ببعث النبي محمد،** بينما مقام الرسول مستمر إلى يوم الدين ضرورة لإقامة الحجة على الناس، لذلك أتى في النص كلمة (منكم) ولم تأت كلمة (منّي)! مع غياب كلمة (بعث أو أرسل) المتعلقة بالنبيين، وإدخال النبيين في دلالة كلمة الرسل بحاجة إلى قرينة، والإيمان مطلوب بكل الرسل(العلماء والدعاة والقادة الراشدون) وهذا يقتضي حياتهم لأن من المعلوم أن الطاعة متعلقة بحياة الآمر، ولا تكون الطاعة للأموات، وبالتالي يجب تصديقهم وإتباعهم فيما يأمرون من الحق والصواب وما ينفع الناس، وبالتالي ثبت أن النص له فائدة مستمرة، ولا علاقة له بمفهوم استمرار النبوة قط، وعلى أقل احتمال إن الدلالة لهذا المفهوم ظنية في النص، وإذا طَرأ الاحتمال بَطُل الاستدلال.

2- {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً }النساء69

فكلمة الرسول[1] يقصد بها حامل الرسالة، والرسالة كما هو معروف في اللسان العربي والاستخدام القرءاني، وهؤلاء الناس المطيعون يخبرهم الله أنهم مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ، وهذا يلزم وجود هذه المقامات بشكل دائم لا تنقطع من الوجود، وهذا دليل على أن دلالة كلمة (النبيين) في النص ليست هي المضافة لله ، وهذا يدل على عمومها ويقصد بها المبعوثين من الله ، والقادة العلماء الصالحون والدعاة إلى الحق والخير والنهضة بالعباد والبلاد .

والأمر بالإيمان بالنبيين عام يشمل النبيين الذين بعثهم الله ، والنبيين الذين وصلوا إلى هذا المقام بعلمهم وصلاحهم ،انظر قوله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...}البقرة177، وهذا البر مستمر إلى يوم الدين ، ومطلوب من الناس أن يؤمنوا بهم، وبما أن الله ختم النبوة الإلهية المتعلقة ببعثه، وختم النبوءة أيضاً من عنده، فبقي النبيّون والنبيئون من الناس (القادة الراشدون العالمون الصالحون الدعاة إلى الله) و (المتنبئون بالعلم والدراسة) ولكل مجتمع نبيين وأنبياء بالمعنى اللساني، وليس هم من الله، ويجب الإيمان بهم؛ بمعنى إتباعهم وطاعتهم فيما يأمرون من الخير والمعروف ونهضة العباد والبلاد وفق لا طاعة لأحد في معصية الخالق ، وإنما الطاعة بالمعروف، وقل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

أستاذ هاني

إن الشعر، وتراث العرب، وغير ذلك، ليس أدلة أو براهيناً لإثبات مفهوم أو دلالة كلمة، وذلك لعدة اعتبارات:

1- لم يتعهد الله بحفظ الشعر، وتراث العرب من أن يصيبه التحريف أو الضياع.

---

(1) راجع كتابي" تحرير العقل من النقل" بحث" مفهوم الرسول والرسالة في القرءان"

2-إن استخدام الإنسان للألفاظ أيّ كان مستواه في اللسان العربي بلاغة أو فصاحة، لا يخلو من عجمة، وذلك لاتصافه بالمحدودية والقصور، فيستحيل أن يكون خطابه مطابقاً لمحله من الخطاب، ويصلح التعامل معه في كل زمان ومكان، لذا؛ لا يصح الاعتماد عليه، أو جعله برهاناً لدلالة كلمة معينة .

3-إن التراث كونه نتيجة تفاعل الإنسان المحدود في صفاته ، وحصول عملية التحريف فيه زيادة أو نقصاناً، بسبب الصراع السياسي، أو لنصرة الأفكار، نجد أنه قد احتوى الفكرة ونقيضها، فكل صاحب فكرة يستطيع أن يُدلل عليها من التراث .

انظر إلى الأحاديث التي تنفي وجود بعث أي نبي بعد محمد ﷺ ؟ وأشهرها (لا نبي بعدي) وإن حكمتَ عليها بالضعف، أو الوضع؛ فهذا لا ينفي صحتها عند الآخرين، ونهاية القول؛ يكون كلامك مقابل كلامهم، و لا يستطيع أي منكما أن يُقيم الحجة على الآخر، **وليس لكما إلا الرجوع إلى القرآن فقط** .

وبالنسبة لمفهوم (الخاتمية) أيضاً يكون فهمك مقابل فهمهم، انظر للأحاديث التي استخدمت كلمة (ختم) كيف أتت تتضمن مفهوم الآخر ضرورة نحو (من قرأ خواتم سورة الكهف كفاه الله فتنة الدجال) .

إن النص القرآني هو الوحيد الذي يُمثل أصالة اللسان العربي، وهو الوحيد الذي لا يوجد في صياغته عجمة، لذا؛ ينبغي حصر الاستدلال فيه من خلال دراسة استخدام الكلمة في النص كله، وفهم دلالتها من خلال إسقاطها على محلها من الخطاب، لارتباط النص بالواقع .

أما بالنسبة لمفهوم السنة، والحديث، والفرق بينهما، أُحيلك إلى مقالاتي المنشورة في موقع أهل القرآن، أو في منتدى (arabquran.net) وهي: (السنة غير الحديث)، و(القرآن

من الهجر إلى التفعيل)، و(ضبط مفاهيم متعلقة بالصلاة)، و لك أن تطلع على المقالات المتعلقة بدراسة اللسان العربي .

أما ما يتعلق بموضوع الأحاديث التي ذكرت المسيح أو المهدي ، فهي لا تصلح أن تكون برهاناً لإثبات مسألة على هذه الأهمية والعظمة ، فالأصل أن تَثبت هذه المسائل في النص القرآني ، غير أن هذه الأحاديث مُنتفي عنها صفة التواتر ، والتواتر ينبغي أن يكون ابتداء في المجتمع الأول الذي زامن الحدث، والتواتر لا يوجد له سند معروف، فإن وُجد له سند فهذا برهان على نفي التواتر عن الخبر، وكذلك لا يصح أن يأتي باحث في زمن لاحق يقول: اكتشفت أن هذه الأحاديث متواترة!، فهذا برهان على نفي التواتر عنها أصلاً، لأن التواتر للخبر يتواتر في المجتمعات المعنية به دون توقف أو انقطاع، وبالتالي من الخطأ استخدام هذه الأحاديث براهيناً أو أدلة، وينبغي حصر النقاش في النص القرآني فقط. راجع بحث (التواتر أداة معرفية ، لا أداة علمية).

وإلى تواصل آخر، إن شاء الله.

وكل عام وأنتم بألف خير .

وتقبل تحياتي العربية.

تتمة تعليق الأستاذ هاني طاهر من جماعة الأحمدية
على مقال(الخاتمية)(3)
خاتم لغة وسياقاً

مع أنَّ كلمة **خاتَم تحتمل معنى** (آخِر)، فإنَّها هنا لا تحتمل هذا المعنى إطلاقًا؛ لسببين:

أولهما: سياق الآيات؛ فالآية تتحدث عن أنَّ نبي الله لم يكن أبًا لأحد، وهذا المعنى لو أُخِذَ على ظاهره لكان إساءة إليه، وتصديقًا لذلك الكافر الذي وصف رسول الله ﷺ

بالأبتر. لكن الله تعالى سمَّى ذلك الكافر بالأبتر{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } (الكوثر: 3)، مع أنَّ له بنين، وليس لرسولنا الكريم أي ولد ذكر. لذا؛ يجب ألاّ يُفهمَ من هذه الآية أنَّها تصف رسولنا بأنَّه مقطوع النسل ليس له ولد. بَيد أنَّ هذه هي الحقيقة من ناحية مادية جسمية، لذا؛ تُوبع نص الآية مع (ولكن)، وهي حرف استدراك، يكون ما بعده من جنس ما قبله، لكنه بخلافه، كأن نقول: هذا ليس حصانًا، لكنه حمار، فكلاهما من جنس الحيوان. ولكننا لا نستطيع أنْ نقول: هذا ليس حصانًا، لكنه شاي، فالحصان والشاي لا يجمعهما شيء، وليسا من جنس واحد.

لنعد إلى تكملة الآية: { وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ} ولنقارن بين ما جاء قبل (لكن)، وما جاء بعدها: أتى قبلها: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ}

بعدها: {رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}

قلنا: لابد أنْ يكون ما قبلها من جنس ما بعدها، غير أنَّه يخالفه؛ لذا؛ علينا أنْ نتساءل: ما العلاقة بين كون نبينا ليس أباً لأحد، وكونه رسولَ الله، وخاتَم النبيين؟

إنْ قلنا: إنَّ معنى خاتَم النبيين آخرُهم مبعثًا، فما هي العلاقة بين عدم كونه أبا أحدٍ من المسلمين، وكونه آخر النبيين ؟ إنَّه لا علاقة ألبتة. وهو كقولنا: أنا لا أحب القهوة، ولكن أحب دراسة التاريخ، فهذا كلام لا يستقيم بحال، فكيف بكلام رب العالمين ؟

لذا؛ لا يمكن أنْ يكون معنى خاتَم النبيين آخرهم مَبْعثًا من خلال هذه الآية. والذي يأخذ بهذا المعنى يكون قد حمّل الآية ما لا تحتمل.

أمّا المعنى الذي يستقيم، فهو: (صحيح أنَّ محمدًا ﷺ ليس له ولد من ناحية جسمِّية مادية، لكنه والدكم جميعًا من ناحية روحانية، وليس هذا فحسب، بل هو أب روحاني

للنبيين، كونه أفضلهم وزينتهم). فالآية لا تتحدث عن انتهاء النبوَّة لا من قريب ولا من بعيد.

لذا؛ وجب على كل مسلم أنْ يؤمن بأنَّ محمدًا ﷺ خاتَم النبيين، بمعنى أفضلهم، وزينتهم. ويتضمن هذا أنَّه آخر نبي تشريعي، **لأنّنا لو فرضنا أنَّ نبيًّا سينسخ شريعته، لكان أفضل منه، وهذا يُعارض الآية.**

ثانيهما: كون كلمة خاتَم مُضافة إلى الجمع على سبيل المدح، فهي في هذه الحالة لا تعني إلا الأفضل.

وهناك عشرات الأمثلة على ذلك، ولا يجد المخالف مثالاً مناقضاً، ولن يجد. والباب مفتوح على مصراعيه أمام من شاء البحث في بطون الكتب ليتيقن مما نقول.

ومن هذه الأمثلة: ما يمكن أنْ نقرأه في مدح العلماء، حيث يوجد مثل هذا المديح في التقديم لكتبهم، فقد قالوا: محمد عبده خاتَمة الأئمة، الآلوسي خاتَمة المحققين، الشاه عبد العزيز خاتَم المحدثين والمفسرين، علي خاتَم الأولياء، أحمد السنوسي خاتَمة المجاهدين، المتنبي خاتَم الشعراء، وغير ذلك الكثير؛ الكثير من الأمثلة. فهل فهم أحد أنَّ (محمد عبده) آخر الأئمة، أو أنَّ الآلوسي آخر المحققين، أو أنَّ المتنبي آخر الشعراء؟

أما القول: إنّ هذه الاستخدامات ليست بحجة، فنقول: إنها تظل أقوى من قول المخالف الذي ليس لديه أي مثال على هذا المعنى الذي يذهب إليه.

وأكرر؛ أن المعنى السياقي له دور أبرز في تحديد معنى اللفظة من المعنى القاموسي.

إنّ لفظ (خاتم) له ثلاثة معانٍ، منها **الإغلاق والإنهاء**، لكن هذا المعنى لا يستقيم في هذا السياق الذي تحدثنا عنه. وبهذا نُنهي فكرة أن الآية الكريمة تمنع إرسال أي نبي بعد سيدنا

محمد ﷺ ، لكننا نؤمن أنها تمنع ضمنياً بعث أي نبي بشريعة جديدة بعد سيدنا محمد ﷺ ، وكذلك آية إكمال الدين تمنع.

حديث (لا نبي بعدي):

قال الأخ سامر إنني ضعّفت هذا الحديث. وقوله ليس بصحيح، فالحديث صحيح، لكننا نفسّر البَعدية هنا بالبعدية المتصلة، أي (لا نبي أثناء غيبتي)، كما كان هارون نبياً أثناء غياب موسى عليه السلام ، فالنص لا يفيد إلا أن علياً ليس بنبي. ونقول للقائلين بنزول المسيح من السماء المستدلين بهذا الحديث على انقطاع النبوة كلها: إنكم متناقضون.

وسلامي لك هاني طاهر 30-9-2007

رد إسلامبولي على هاني طاهر

(4)

تحية طيبة وبعد

ابتداء؛ ينبغي الاتفاق على دلالة كلمة (خاتم)، وأنها أوسع من كلمة (آخر)، وتتضمنها، فكلمة (آخر) لا تدل على كلمة (خاتم)، بخلاف **كلمة (خاتم)، فإنها تتضمن دلالة الآخر، إضافة إلى الدلالات الأخرى، التي هي الإكمال، والإنهاء، والحفظ، والتصديق، والتواصل والاستمرار، وما شابه ذلك من دلالات التي تنتهي ضرورة بدلالة الآخر**، وليس من دلالة كلمة خاتَم في واقع الحال، الأفضل، أو الأعظم، أو الزينة، من الناحية اللسانية قط، وإنما ظهر معنى الزينة أو الأفضل من تعلق الختم بسياق العقلاء مع عدم نفي الدلالة اللسانية لكلمة الختم .

فالنبي محمد ﷺ هو خاتم النبيين، وذلك يدل على وجود سلسلة من النبيين المتصلين مع بعضهم في المفاهيم، والأفكار، ليشكلوا بناء مُعيناً على أسس واحدة، إلى أن شارف البناء على الانتهاء، فتم بعث النبي محمد، وأكمل هذا البناء، فكان بذلك العمل مُكَمّلاً، ومُنهياً لما تم الابتداء في بنائه سابقاً، فحقق بهذه العملية التواصل مع من سبقه، وحقق التصديق لهم، والتوثيق لما نزل عليهم من الثوابت، وأعطى لهذا العمل صفة الاستمرار، والإنهاء، **والآخرية،** وبما أن صفة (الخاتَم) تعلقت بشخص النبي؛ تناولت مفهوم النبوة أيضاً من حيث الإكمال، والإنهاء، فكان النبي بذلك المفهوم، هو نهاية، وآخر النبيين بعثاً على عمومها(القائد والتابع)، وصارت كلمة (خاتَم) في النص تدل على مفهومين معاً بوقت واحد، وهما :

الأول : إكمال، وإنهاء بناء الدين .

الثاني : توقيف، وإنهاء بعث البُناة (الأنبياء القادة والتابعة) .

وهذان المفهومان لا ينفكان عن بعضهما في دلالة النص، ولا يصح القول بأحدهما دون الآخر، لأن إثبات أحدهما هو إثبات للآخر ضرورة لازمة.

أما فهم دلالة كلمة (خاتَم) وَفق سياق صيغة الاستدراك، فهو التالي:

إن أداة (لكن) هي للاستدراك، والتأكيد على أمر معين، وخلال النص نلاحظ نفي صفة الأبوة عن النبي لأحد من الرجال،{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ}.

ابتداء؛ ينبغي التفريق بين دلالة كلمة (والد)، وكلمة (أب)، فصفة الوالد قد تحققت في النبي محمدﷺ، ورزقه الله ﷻ أولاداً (ذكوراً وإناثاً)، فكان النبي أباً للإناث، لأنهن كَبُرن في عهدته، وعنايته، ومارس عليهن دور الأب (تربية)، ولكن لم يصر أباً لأولاده الذكور، لأنهم ماتوا وهم صغار، ولم يصلوا إلى مرحلة الرجولة، هذا ما تم نفيه عن النبي في النص صراحة، (أبوة محمد نسباً لأحد من الرجال)، وتضمن النص بمفهومه نفي عملية التبني لأي من الأولاد الذكور، تربية وعناية بالنسبة للنبي محمد، وبذلك انتفى عن النبي صفة الأبوة لأي من الرجال

بصورتيها (النسب والتبني)، وأتت أداة (لكن) لتستدرك مفهوماً يحل بدل المفهوم المنفي في الجملة الأولى، وتؤكد على أمرين مهمين { وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }، أحدهما: يرد على من قال بقطع نسب محمد (أبتر)، وذلك من خلال توجيه المفهوم إلى قيمة استمرار حياة الأولاد الذكور ليصيروا رجالاً، وهي استمرار ذكر اسم الأب، وحصوله على المنعة والقوة من خلال أبنائه الرجال، فأتت كلمة (رسول الله) لتثبت تحقق المقصد ذلك دون وجود أبناء ذكور، وهو استمرار ذكر اسم النبي ورفع شأنه

{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } (الشرح 4)، وحصوله على المنعة، والقوة من خلال المؤمنين بدعوته، **فصار عملياً، أباً روحياً للمؤمنين بدعوته،** وأتت كلمة {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} لتدل على سبب عدم استمرار حياة الأولاد الذكور للنبي، ونفي التبني عنه لأي ولد ذكر، وهو حتى لا يرث أبناؤه (نسباً أو تبنياً) **مقام النبوة** بعده، أو **مقام الخلافة الدينية**، أو **السلطوية**، وبهذا يظهر لنا العلاقة المنطقية بين الجملة المنفية {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ}، وجملة الاستدراك { وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}.

ومفهوم (الخاتمية) تحقق في حياة النبي (فلم يَبعث الله معه نبياً آخر ، مثل هارون مع موسى)، وبعد وفاته، فلم يتم بعث نبي آخر (لا قائد، ولا تابع له)، ومضى على ذلك أكثر من ألف عام ، وما ينبغي أن نقصر ذلك المفهوم على مرحلة زمنية معينة، فالنص مستمر في دلالته، **ومن الخطأ في الاستدلال أن ننفي نصف المفهوم (نبي قائد) ، ونثبت نصفه الآخر (وجود نبي تابع) !، فإما أن نثبت كليهما ، أو ننفي كليهما ، ولا وجه للتفريق بينهما البتة !** لعموم النص ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ .

وافتراض صواب وجود نبي تابع ، كان ينبغي أن يأتي النص بصيغة (**ولكن نبي الله وخاتم الرسل**) — رغم خطأ الصيغة– ، فتتعلق صفة الختم بمقام الرسالة فقط (النبي القائد)، وبالتالي لا مانع من بعث نبي تابع للنبي القائد، ولكن عندما أتت {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} أنهت وأغلقت مقام

النبوة عموماً قيادة وتابعية، أما صفة الإشراف، والتعليم، والدعوة، والتجديد والتحديث، فقد انتقلت إلى الرسل (العلماء والدعاة والقادة الراشدون) من الجنس الإنساني، كونهم وصلوا إلى بدء سن الوعي والرشد،{وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً } (الجن10)، وتحقق ذلك بدور العلماء وتفاعلهم مع القرآن، ومحله من الخطاب بواسطة التفكير والعلم (العلماء ورثة الأنبياء).

أما القول إن كلمة (خاتم) إذا أُضيفت إلى الجمع على سبيل المدح، فهي لا تعني إلا الأفضل والأحسن).

فهذا ليس قاعدة لسانية، أو قرآنية، وإنما أسلوب بشري متساهل في استخدام كلمة (خاتم) في سياق خطاب العاقل في غير محلها من الواقع، **فمَن مِن البشر يستطيع أن يَحكم أنّ زيداً خاتم الشعراء، أو المحققين ، وما شابه ذلك ؟**، فالإنسان عمره محدود، وعلمه ومعرفته أيضاً قاصرين ومرتبطين بواقعه فقط، لا يعلم الغيب !، لذا ؛ إن قام أحد من الناس واستخدم كلمة (خاتم) على فلان من الناس ، نفهم مباشرة أنّ استخدامه للمبالغة والمدح ليس أكثر، لأن الإنسان المحدود مهما أُوتي من بلاغة وعلم، لا يستطيع أن يستخدم الكلمة المناسبة في المقام المناسب بصورة تُغطي كل صور دلالة هذه الكلمة في الواقع بأبعاده الزمانية الثلاثة، فالإنسان لا يخلو من عجمة في استخدام اللسان العربي، والعمدة في ذلك هو القرآن والواقع، ويتم دراسة دلالة الكلمة من خلال استخدامها في القرآن، ومعرفة دلالة أصل الكلمة فيزيائياً من خلال الواقع، وما المعاجم أو القواميس إلا أدوات مساعدة، وليست برهاناً بحد ذاتها، وكذلك الشعر والنثر وأقوال العلماء، فكلها لا تخلو من عجمة، وقصور في استخدام اللسان العربي.

وافتراض انتفاء وجود أمثلة في التراث على استخدام الكلمة بدلالة معينة، لا ينفي احتمالية وجود ذلك الاستخدام، ولعله لم يصلنا لانتفاء تعهد الله بحفظ التراث، كما أن انتفاء

استخدام دلالة كلمة على وجه من الوجوه، لا ينفي صواب استخدامها لاحقاً في المجتمعات الأخرى، وكذلك انتشار وشيوع استخدام كلمة على دلالة معينة، لا يدل على صوابها أو حصرها في هذه الصورة.

فمن المعلوم أن الناس تميل في حديثها إلى التساهل في استخدام الكلمات محل بعضها بعضاً، وتعتمد على فهم المخاطَب، وأحياناً يبالغون في استخدام دلالة كلمات في خطاب المدح أو الذم، **وما استخدام كلمة (خاتم) للمدح إلا من هذا القبيل، ويستحيل أن يستخدمها بدلالتها الحقيقية، التي هي الإكمال لعمل من سبق بصورة متصلة مع التصديق لهم، وتوثيقهم، وإنهاء هذا العمل حيث يكون هو الآخر فعلاً وفاعلاً.**

وهذا لا ينطبق على النص القرآني، فهو منزه عن التساهل في الخطاب، أو المبالغة، أو استخدام كلمة محل أخرى، أو استخدام قاصر لدلالة كلمة .

لذا؛ لا قيمة من الناحية البرهانية لأقوال، أو استخدام الناس لدلالة كلمة (خاتم) بمعنى الأفضل أو الأحسن، أو الزينة، قط، ونحن علمنا بقصور استخدامهم من خلال إسقاط كلامهم على محله من الخطاب، وعرفنا أن الرجل الموصوف (بالخاتم) ليس هو في الحقيقة مُكَمّلاً لعمل من سبق، وليس آخراً لهم، بل؛ وليس أفضل من كل مَن سوف يأتي بعده ، فقلنا: إنَّ قصد المتكلم هو المبالغة في رفع شأن هذا الرجل، ولا يَقصد دلالة كلمة (الخاتم) حقيقة، فهذا استخدام متساهل وقاصر لدلالة الكلمات ، وخاصة أن الإنسان لا يخلو من عجمة في استخدام اللسان العربي .

فمن الخطأ أن نجعل القصور والعجمة قاعدة في دراسة دلالة كلمات اللسان العربي.

إن الأحاديث النبوية التي لا تخلو من صحة في سندها إلى النبي قد استخدم كلمة (خاتم) بمعنى الاكتمال والآخر، انظر إلى قوله : (من قرأ خواتم سورة الكهف عصمه الله من فتنة الدجال) وصفة الختم لهذه الآيات متحقق فيها الإكمال والإنهاء للسورة، وصارت في واقع

الحال هي آخرها . راجع مادة الحديث النبوي ، وابحث فيها عن كلمة (خاتم) وانظر إلى دلالتها، فهي أقوى من الشعر، وأسلوب المدح، **مع العلم أنها ليست برهاناً بحد ذاتها** .

إن نص الإكمال{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } برهان على وصول المجتمع الإنساني إلى بدء سن الرشد والوعي، ومقدرته على الاعتماد على نفسه في إدارة شؤون حياته وَفق القرآن والعلم، ولولا ذلك لما تمت عملية الإكمال للدين، والختم للنبوة، فذلك تمَّ بناء على مُعطيات في الواقع الإنساني، ولولا هذه المعطيات لما حصل الإكمال والختم، **وهذا اقتضى رفع الوصاية الإلهية المباشرة عن الإنسان، وذلك رحمة وتكريم له.**

وتقبل تحياتي العربية

رد هاني طاهر على إسلامبولي

(5)

الأستاذ سامر الإسلامبولي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله

يظهر لي من خلال رسالتك أن إحدى رسائلي السابقة لم تصلك، وهذا سببّ شيئاً من سوءِ التفاهم بيننا. لذا؛ فقد بعثتها لك للتو.

ما ذكرته في رسالتك الأخيرة عن **كلمة الخاتم نقبله كله،** حيث إنه ينطبق على الرسول ﷺ باعتباره نبياً تشريعياً، أما أن يبعث الله خادماً لهذا النبي فهذا ما لا تنفيه كلمة خاتم هنا.

وأكرر؛ إنّ من معاني (خاتم) آخر، ونحن نوافقك.

لذا؛ فإن قولك: (**فالنبي محمد هو خاتم النبيين، وذلك يدل على وجود سلسلة من النبيين المتصلين مع بعضهم في المفاهيم، والأفكار، ليشكلوا بناء معيناً على أسس واحدة، إلى أن شارف البناء على الانتهاء، فتم بعث النبي محمد، وأكمل هذا البناء، فكان بذلك العمل مُكمّلاً، ومُنهياً لما تم الابتداء في بنائه سابقاً، فحقق بهذه العملية التواصل مع من سبقه، وحقق التصديق لهم، والتوثيق لما نزل عليهم من الثوابت**). لا غبار عليه.

لذا؛ فإن القول ببعث نبي بشريعة أخرى يتناقض مع هذا القول، وانتظار نبي من السماء ينسخ بعض أحكام الشريعة الإسلامية يتناقض مع قولك هذا أيضاً.

أما ما نتحدث عنه فهو إمام مهدي يُعيد الأمور إلى نصابها، ويؤكد على أهمية شريعة سيدنا محمد ﷺ، ويكون قد وصل درجة النبوة من ناحية روحانية، وهو ليس بنبي مستقل، بل يمكن تسميته **نبياً ظلياً**.. إنها درجة روحانية تحدثت عنها آية قرآنية بكل وضوح: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً } (النساء69)

فما دمت تؤمن بإمكانية وجود صِدّيقين وصالحين وشهداء، فعليك أن تؤمن بإمكانية وجود أُناس يصلون درجة النبوة أيضاً، لكنهم ليسوا بأنبياء مستقلين. أكرر؛ **إنها درجة روحانية، وليس نبوة مستقلة**.

الاستدراك:

بدأتَ في الموضوع بداية جيدة، ولكن حين وصلتَ نقطة الحسم قلتَ بلا دليل: (وأتت كلمة (خاتم النبيين) لتدل على سبب عدم استمرار حياة الأولاد الذكور للنبي، ونفي التبني عنه لأي ولد ذكر، وهو حتى لا يرث أبناؤه (نسباً أو تبنياً) مقام النبوة بعده، أو مقام الخلافة الدينية، أو السلطوية.)

فمن أين أتيت بهذا أخي الكريم ؟ من قال إنَّ ابن النبي لابدّ أن يكون نبياً؟ ألم يكن بعض أبناء الأنبياء كفرة فجرة ؟

ثم لو فرضنا جدلاً أن ابن كل نبي لابد أن يكون نبياً، حينها كان لابد أن تكون الآية بهذا التعبير: (ولكن رسول الله لأنه خاتم النبيين) فهذا هو التعبير الذي يُبين العلّة، وليس العطف.

أما قولك: (ولا وجه للتفريق بينهما البتة !)

فهو غريب، فالفرق بينهما مهول؛ الأول يأتي بدين جديد، ويُلغي الدين السابق، والثاني يأتي خادماً للدين. أبعد هذا الفرق يُقال: لا فرق؟

أما التفريق بين النبي والرسول، فقد رددتُ عليه في المقال السابق الذي وصلك قبل ساعة.

أما وصفك النص القرآني بأنه منزه عن المبالغة، فينقضه قوله تعالى:

{وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} (يوسف31)،وقوله{ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران 119) وغيرها من الآيات.

أما رفضك الاحتجاج بأقوال اللغويين والشعراء القدامى في استخدام كلمة (خاتم) المضافة إلى جمع العقلاء، فهو بحاجة إلى حجة أقوى مما ذهبتَ إليه؛ فالذين استخدموها بهذا المعنى كُثر، وظل هذا عبر العصور.

أما احتجاجك بالحديث (من قرأ خواتم سورة الكهف عصمه الله من فتنة الدجال) فلا نخالفك فيه، رغم أن الروايات الأقوى سنداً تحدثت عن قراءة فواتح سورة الكهف، وبعضها عن أواخر سورة الكهف، وهذا الحديث قد يكون أضعفها سنداً، لكن مع هذا فنحن لا نرفض هذا المعنى، فكلمة: خواتيم وخواتم تعني آخر هنا، لأنها لم تُضَف إلى جمع عقلاء، وحديثنا عن (خاتم) المضاف إلى جمع العقلاء فقط.

أما قولك: (راجع مادة الحديث النبوي، وابحث فيها عن كلمة (خاتم) وانظر إلى دلالتها، فهي أقوى من الشعر، وأسلوب المدح، مع العلم أنها ليست برهاناً بحد ذاتها.) فهذا ما قمتُ به سابقاً، وسأبعث لك مقالاً بهذا إن شاء الله تعالى، لترى كيف أن الرسول ﷺ قد استخدم

هذا المعنى حين أضاف كلمة (خاتم) إلى جمع العقلاء.. (وَمَنْ جُرِحَ جِرَاحَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَتَمَ لَهُ بِخَاتَمِ الشُّهَدَاءِ لَهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)، وهنالك رواية وردت في تفسير الصافي: (أنا خاتم النبيين وأنت يا علي خاتم الأولياء)، ورواية في صحيح مسلم (أنا آخر الأنبياء ومسجدي آخر المساجد).. فهنا استخدمت كلمة (آخر) بمعنى الأفضل والأكمل.

{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }

نوافقك في أن الشريعة قد اكتملت، لكن المشكلة أن الناس يبتعدون عن روحها وجوهرها، فيبعث الله مهديًّا من عنده ومسيحاً كما ذكر ذلك الرسول ﷺ مراراً وتكراراً، وكما جاءت إشارة إلى ذلك في القرآن الكريم كما في مطلع سورة الجمعة{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }الجمعة3، وكما دلت على ذلك آيات أوردتُها في الرسالة السابقة.

إن القرآن هو الدواء، ولا بد للدواء من طبيب، وهو رسول الله ﷺ، ثم ألا ترى أن الله تعالى؛ قد بعث مئات الأنبياء التابعين في بني إسرائيل ؟ ألم يُبعثوا جميعاً من دون شريعة؟

إذًا، حين يعمّ الفساد هذه الأمة فليس هنالك أي مانع عقلي ولا نقلي من بعث نبي تابع مجدد للدين، وتاريخ بين إسرائيل مثال مفيد.

أما أن الأمة لم تَعد بحاجة إلى وصاية إلهية، فالأمر ليس من هذا الباب، بل هي الهداية أعظم نعمه سبحانه وتعالى. والأمر ليس مقصوراً على أحكام تُستنبط، رغم عظم أهمية هذا، لكن الهداية أشمل من ذلك.

ومقالاتك المشار إليها قرأت بعضها، وسأحاول أن أقرأ البقية إن شاء الله تعالى.

والسلام عليكم، وكل عام وأنتم بخير ...... أخوك هاني طاهر 4-10-2007

تتمة رد هاني طاهر

الخاتم لغة (6)

الأستاذ سامر الإسلامبولي المحترم

إن كلمة الخاتَم أو الخاتِم تطلق على أمور عدّة:

1- ما يُلبس للزينة.

2- ما يُستعمل للختم، أي التصديق.

3- ما يستعمل للإغلاق المحكم والإنهاء.

شواهد على استخدامه بالمعنى الأول:

أ- الحديث النبوي الشريف: التمس ولو خاتمًا من حديد. (صحيح البخاري، كتاب النكاح، 4727). في هذا الحديث، طلب الرسول ﷺ من أحد الصحابة أن يأتي بمهر لعروس يريد خطبتها مهما كان ضئيلاً، ولو كان خاتمًا من حديد.

ب- نهانا النبي ﷺ عن آنية الفضة وخاتَم الذهب.(البخاري، كتاب الجنائز، 1163).

ت-... ثم التفت إلى خباب وعليه خاتَم من ذهب، فقال: ألم يأن لهذا الخاتَم أن يُلقى (البخاري، كتاب المغازي)

ث-... فقمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتَم النبوّة بين كتفيه مثل زرّ الحجلة (البخاري، كتاب المرضى)

ج- ... فجعلتِ المرأةُ تُلقي القرطَ والخاتَم (البخاري، العلم، 96).

وهناك أحاديث عديدة تورد هذا الاستعمال.

أما كتب اللغة والمعاجم فيكفي أن نورد بعض ما قاله ابن منظور: (الخَتَمُ والخاتِمُ والخاتَمُ والخاتام والخيتام: من الحلي...) ثم أتى بثلاثة أبيات من الشواهد الشعرية على استعمال هذه الألفاظ بمعنى ما يلبس كحلي.. وقال: (والجمع: خواتم وخواتيم... وقد تختَّم به: أي لبسه،

ونهى النبي ﷺ عن التختم بالذهب.... وفي الحديث أنه نهى عن لبس الخاتم إلا لذي سلطان...) (اللسان، ج4ص25).

وهذا الخاتم هنا لا يُستعمل إلاّ للزينة كما هو ظاهر من السياق.

شواهد على استخدامه بالمعنى الثاني:

أ- الحديث النبوي الشريف:

عندما أراد أن يكتب كتابًا للروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ خاتَماً من فضّة نَقَشَه محمدٌ رسولُ الله) (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يُذكر في المناولة، 63) (كتاب الجهاد والسير، 2721).

ب- الحديث النبوي الشريف: (لا يَجْمَعُ اللَّهُ فِي جَوْفِ رَجُلٍ غُبَارًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانَ جَهَنَّمَ وَمَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ سَائِرَ جَسَدِهِ عَلَى النَّارِ وَمَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ عَنْهُ النَّارَ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْتَعْجِلِ وَمَنْ جُرِحَ جِرَاحَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَتَمَ لَهُ **بِخَاتَمِ الشُّهَدَاءِ** لَهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْنُهَا مِثْلُ لَوْنِ الزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ يَعْرِفُهُ بِهَا الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ يَقُولُونَ فُلانٌ عَلَيْهِ **طَابَعُ الشُّهَدَاءِ** وَمَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)(مسند أحمد، مسند القبائل، 26231).

- جاء في تفسير الجلالين:(وفي قراءة بفتح الخاء كآلة الختم) (تفسير الجلالين، ص512). كما ذكر ذلك الآلوسي، وغيرهم.

- وقال ابن منظور: (وفي الحديث: آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين؛ قيل معناه طابَعَه وعلامته التي تدفع عنهم الأعراض والعاهات) (اللسان، ج4ص25)

شواهد على استخدامه بالمعنى الثالث:

لقد استخدم القرآن الكريم الجذر الثلاثي (ختم) بمعنى أغلق وغطّى، لكنه لم يستخدم كلمة خاتم إلا مرة واحدة، وذلك في قوله ﴿وخاتم النبيين﴾. وها هي المرات الثماني التي استُخدم فيها (ختم) ومشتقاتها في القرآن الكريم:

{خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ }(البقرة: 8).

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم } (الأنعام: 47).

{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ} (الجاثية: 24)

{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ } (يس: 66)

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ } (الشورى: 25).

{يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۞خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (المطففين: 27).

{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } (الأحزاب: 41).

أما في الأحاديث النبوية فقد استُخدم (خاتم من ذهب) أكثر من خمسين مرة في كتب الحديث التسعة، واستُخدم (خاتم من حديد) أكثر من ثلاثين مرة، وكذلك (خاتم من فضة). واستخدم (خاتم الشهداء) بمعنى طابَع الشهداء المميز لهم عن غيرهم.

وفي المحصلة فإن الاستخدام الأكثر رواجًا لكلمة (خاتَم) هو بمعنى ما يُلبس للزينة، ثم ما يُستعمل للختم، ثم ما يستعمل للإنهاء.

وهذه الاستخدامات الثلاثة هي على الحقيقة، والسياق هو الذي يحدد المعنى المقصود.

العلاقة بين هذه المعاني وأيّها الأسبق:

لا يمكن تحديد أي المعاني أسبق للفظة (خاتم)، لكن الاحتمال الأكبر، أن الناس استخدموا هذه اللفظة بداية، لما يُلبس للزينة حول الإصبع، ثم استخدموا هذا (الخاتم) لتصديق الكتب، فاشتقوا الفعل (ختم) بمعنى صدّق، كما سمّوْا آلة الختم فيما بعد (الخاتم)، حتى لو لم تكن تلبس حول الإصبع. ثم صاروا يستعملون (ختم) بمعنى أنهى وأغلق، لأن تصديق الرسالة يكون في نهايتها عادة. وبهذا تعددت المعاني لهذه اللفظة، وكلها الآن تستعمل على الحقيقة.

ويُحتمل أن يكون ترتيب الاستخدام غير ذلك. ولا يمكن الجزم بأي رأي.

معلوم أن الألفاظ تكتسب مع الزمن معانيَ جديدة بين الحقيقة والمجاز، فقد يصبح المعنى المجازي معنًى على الحقيقة، والمعنى الذي على الحقيقة معنًى مجازيًّا. وقد يصبح المعنيان على الحقيقة. وهنا أصبحت المعاني الثلاثة على الأقل على الحقيقة.

من هنا فإن معنى (خاتم النبيين) يفسره التركيبُ والسياقُ معًا.

التركيب:

إن كلمة (خاتم) المضافة إلى جمع العقلاء لا يمكن أن تعني إلا خاتم الزينة أو خاتم التصديق، والذي يؤول إلى أفضل. ولا تعني الآخر؛ للأسباب التالية:

1- **لم يستخدمها العرب إلا هكذا**؛ حيث لا يوجد شاهد لغوي واحد على ذلك، أما شواهد على ما نقول فموجودة، وأهمّها الحديث النبوي الذي أخرجه أحمد في مسنده، وفيه (خَتَمَ لَهُ بِخَاتَمِ الشُّهَدَاءِ)، وكذلك قول الشاعر يرثي أبا تمام:

فُجِعَ القَريضُ بخاتَمِ الشُّعَراء.......... وَغَديرِ رَوْضَتِهِ حَبيبِ الطّائي

2- **ظل العرب يستخدمونها للمدح عبر تاريخهم**، فلا نكاد نجد عصرًا من العصور لم يوصف فيه أحدُ الناس بأنه خاتم المفسرين أو خاتم المحققين أو خاتم الأولياء[1]

السياق:

إن السياق الذي وردت فيه (خاتم النبيين) في سورة الأحزاب يؤكد، بما لا يدع مجالاً للشك، أنه لا علاقة للآية بانتهاء النبوة، بل كان الموضوع في سياق المدح، ذلك أن حرف الاستدراك (لكن) جاء ليزيل ما يتبادر إلى الذهن من سوءِ فهم من قوله تعالى {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

---

(1) أحصى فضل إلهي بشير 38 مثالا على ذلك، منها: أبو الوليد خاتمة الشعراء، نقلا عن وفيات الأعيان ج1. السيد علي الأجهوري خاتمة المحققين، نقلا عن الصاوي ج1، ص3. السيد أحد السنوسي خاتمة المجاهدين، نقلاً عن جريدة الجامعة الإسلامية يافا. الدهلوي خاتمة المحدثين، نقلاً عن عجالة نافعة. العباس خاتم المهاجرين، كنز العمال انظر: بشير، فضل إلهي، نسأل معارضينا وعلماءهم، الشركة الإسلامية، ط2، 1980م، ص32-33

وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }، حيث يخطر بالبال أنه أبتر، فلابد من (لكن) لتأتي بما يمدح الرسول ﷺ ويبيّن درجتَه العظيمة. وهذا مُوضَّح في أمكنة أخرى تفصيلاً.

ملحوظة:

التصديق لا يعني الإنهاء، فقد يُنهي أحدُنا رسالته بقوله: انتهت. كما تُنهى ورقة الأسئلة بالقول: انتهت الأسئلة. أما التوقيع الموجود في نهاية الورقة أو في بدايتها فهو للتصديق على أن هذه الورقة غير مزورة. وكثيرا ما نرى التصديق يوضع في بداية الورقة، كما في أوراق إجابات الامتحانات. ويوضع هذا التصديق رغم أن الورقة فارغة لا شيء فيها. فالتصديق شيء والإنهاء شيء مختلف تمامًا.

والسلام عليكم، وكل عام وأنتم بخير ...... أخوك هاني طاهر 5-10-2007

رد إسلامبولي على هاني طاهر

(7)

(الختم لساناً)

الأستاذ هاني تحية طيبة وبعد

إن الكلمة في اللسان العربي لها دلالة واحدة، تُسمى الدلالة الأصلية، أو المفهوم، أو الإمام، وبما أن أصل اللسان العربي أفعال، كونه انعكاساً للواقع، وتعبيراً عنه، والواقع قائم على الحركة، ظهرت الكلمات لتدل على أفعال ابتداءً من الصيغة الثنائية، وتطورت نتيجة التفكير و ميلاد المجتمع، إلى الثلاثية، مع المحافظة على النظام اللساني المطابق للواقع، وهذا يوصلنا إلى أن أصل دلالة الكلمة هي ظاهرة حركية أو حالية في الواقع، وقام الإنسان باستخدام هذه الظاهرة لسانياً، وأطلقها على كل شيء تحقق فيه المفهوم الإمام، نحو كلمة (كتب) تدل على ضغط ودفع خفيف منته بجمع مستقر، وظهر ذلك الفعل بصور لا متناهية في الاستخدام، مع المحافظة على المفهوم الإمام، انظر:

كتب الله على نفسه الرحمة.

كتب الرجل كتابه على زينب.

كتب الولد الوظيفة، كتب الفلاح محصوله، اكتتب القوم..

ومن خلال هذا المفهوم لكلمة (كتب) ؛ قام الإنسان بعملية التوليد، و الاشتقاق منها لتسمية الأشياء، التي تحقّق فيها دلالة (كتب) لساناً حسب ظهورها، فقال: مكتب، مكتبة،كتيبة، مكتوب، كاتب،كتاب، لاحظ أن مفهوم كتب ظاهر وضابط لكل الصور والاستخدامات، وهكذا دلالة كلمة (ختم) لها مفهوم لساني واحد مرتبط بالواقع، ويتم استخدامها بصور لا متناهية لكل ما يتحقّق فيه دلالة الختم، ومن هذا الوجه كانت كلمة (خاتم) لا تدل على ما يوضع في الأصبع من حلي، فهذا اسمه مَحبس أو حلقة،كما هو مستخدم في الحياة المعيشية إلى يومنا هذا، وإطلاق كلمة (خاتم) على المحبس، أو الحلقة، ظهر

عندما تم صنع أداة الخاتم على صورة محبس أو حلقة يوضع في الأصبع، ومن الطبيعي جداً أن يُسمى خاتماً لوظيفته، ومع مرور الزمن والتساهل في الخطاب صار الناس يستخدمون كلمة (خاتم) ويقصدون بها المحبس أو الحلقة، وذلك لاشتراكهما في وضعهما في الأصبع، وشاع هذا الاستخدام وانتشر، ويعتمد الناس في فهم مقصدهم على الظرف الذي يُقال فيه الكلام، فلو قال مدير لموظف عنده: أعطني الخاتَم، يفهم عليه بصورة مباشرة من خلال الواقع أنه يقصد أداة الختم، ولو قال زوج لزوجه في بيته: أعطني الخاتَم، لفهمت مباشرة أنه يقصد المحبس أو الحلقة، فالناس لا تستخدم الكلمات بصورة منضبطة لما هي عليه أصلاً من حيث المفهوم الإمام، وكما قلتُ لك سابقاً: إن الإنسان لا يخلو من عجمة في الاستخدام للسان العربي، لذا؛ لا يصح جعل الشائع بين الناس من استخدامات برهاناً على دلالة مفهوم كلمة لساناً، واستخدام القرآن لكلمة (ختم) هو الحجة والبرهان على معرفة وتحديد دلالتها في الواقع .وقيل إن المحبس سُمي خاتماً لالتقاء الطرفين مع بعضهما وتشكيل دائرة مغلقة.

لاحظ، أن عملية الختم للشيء في الواقع يتحقق فيها هذه الصور الدلالية :

إنهاء أو توقيف زيادة شيء على شيء، والختم على القلوب، ليس التغطية لها، وإنما إنهاء أو توقيف عملية دخول شيء إليه، فالختم فعل يتحقق بصورة معنوية،أو بصورة مادية، والواقع محل الخطاب يحدد هذه الصورة، انظر إلى قولنا: خَتمت البلدية المحل التجاري، وذلك إذا أنهت وأوقفت عملية الفتح قهراً، ووضعت عليه علامة تدل على ختمه، ونقول: ختم المدير أوراق الطلاب، إذا أنهاها وأكملها تماماً، وتوقف عن العمل فيها، ونقول: ختم المعمل زجاجات الشراب، إذا أنهاها وأكملها، وظهر ذلك بعملية التغطية والإغلاق لها، لأنها أشياء مادية لا يمكن أن يتم ختمها إلا بإضافة فعل التغطية أو الإغلاق لها ليتم ختمها، وحفظ عملية الختم من أن تزول بصورة انسكاب الشراب، أو ضياعه، أو الزيادة عليه غشاً، ففعل التغطية أو الإغلاق لا علاقة له بفعل الختم، وإنما ظهر هذا الفعل في الواقع كفعل مساعد لتحقيق فعل الختم بالنسبة للأشياء التي لا يمكن أن يتم ختمها إلا بتغطيتها أو إغلاقها.

فمفهوم الختم واحد في كل استخداماته، وهو الإنهاء للشيء المبدوء به سابقاً، ومنع الزيادة عليه أو النقصان، وظهر من جراء هذا المفهوم فعل التصديق، والتوثيق، والحفظ، والإكمال، والتواصل، والاستمرار لكل عمل مختوم .

لذا؛ لا يصح فهم ودراسة القرآن على الشائع في استخدامات الناس، أو من التراث والشعر...، فالقرآن نزل بلسان عربي، ولم ينزل بما شاع بين الناس، ولم يترك دلالات كلماته للعرف، وموت وحياة الكلمات بين الناس، فاشتهار استخدام صورة من دلالة كلمة، لا يعني أن نحصر دلالة هذه الكلمة في هذه الصورة، فما بالك لو كان استخدام هذه الصورة خطأ من أساسه، نحو استخدام كلمة (خاتم) على المحبس أو الحلقة .

فمفهوم كلمة (خاتم) في اللسان العربي لا تدل على الزينة أبداً، وإنما قد يترتب على استخدامها ظهور دلالة الزينة من جراء فهم محل الخطاب دون نفي لدلالة كلمة (خاتم)، فعندما قال الله: (خاتم النبيين) ظهر مفهوم الفضل والعظمة للنبي من جراء جعله خاتماً لهم، وليس ذلك دلالة كلمة (خاتم) لساناً، فعندما نستخدم دلالة كلمة في الواقع يُرافقها ويحفّها ظروف تلازم تحقيق الدلالة لها في الواقع، نحو عملية التغطية والإغلاق لتحقيق فعل الختم للشراب أو الأطعمة المعلبة. وينبغي ملاحظة أن الأمر الذي نختمه إنما هو لمقصد الحفظ له، وعدم التلاعب فيه زيادة أو نقصاناً، والختم يأتي بعد الإكمال.

لذا؛ أكرر لا قيمة البتة من الناحية البرهانية لاستخدام الناس من السلف أو الخلف لكلمة (الخاتم) لأنهم لا يخلون من عجمة في لسانهم؛ لاتصافهم بالمحدودية المعرفية، والتساهل في الخطاب، أو استخدام الكلمة بصورة المبالغة، أو استخدام الكلمة ويقصدون بها الظروف الملازمة لتحقيقها، نحو قولك: (التغطية أو الإغلاق) مع العلم أن هذا ليس من دلالة كلمة (الختم)، وإنما هو ظرف لازم للأشياء التي لا يمكن أن يتحقق فيها عملية الختم إلا بتغطيتها، أو إغلاقها، فالمقصد هو الختم لا التغطية، ولكن التغطية هي التي ظهرت في الواقع، فأخذ

الناس الدلالة الظاهرة وصاروا يستخدمونها في حديثهم، ولو كان الأمر أحياناً لا يُقصد به فعل الختم، وإنما مجرد طلب التغطية للشيء .

أما قولك السابق : (إن كلمة خاتم المضافة إلى جمع العقلاء لا يمكن أن تعني إلا خاتم الزينة أو التصديق والذي يؤول إلى دلالة الأفضل . ولا تعني الآخر).

فهذا الكلام نتيجة ملاحظة استخدام الناس للكلمة في سياق المدح، أو في معيشتهم، وهذا استخدام قاصر كما ذكرت لك، ولا يستخدمون الكلمة في مفهومها الكامل، وإنما أخذوا منها جزءاً ، نحو أسلوب المدح باستخدام كلمة (خاتم)، فقد لاحظوا أن فعل الختم إذا تحقق بإنسان في الواقع ترتب عليه ضرورة أنه الأفضل والأعظم، فأخذوا هذه النتيجة واستخدموا كلمة (خاتم) ليدلوا على مقصدهم، ولا يقصدون دلالة كلمة خاتم في الواقع، أو يقوم الناس بأخذ الظرف الذي لازم ظهور فعل الختم، ويستخدمون كلمة (الخاتم) ليدلوا عليه مع عدم قصدهم مفهوم كلمة (خاتم) لساناً، نحو إطلاق كلمة (خاتم) على المحبس أو الحلقة رغم انتفاء عنه فعل الختم .

أما السياق القرآني الذي استخدم كلمة (خاتم) فقد أتى ليؤكد مفهوم الخاتمية حقيقة، الذي هو الإنهاء والتوقيف للأمر المختوم بقصد الحفظ، والتصديق، والتوثيق، والإكمال، والاستمرار له على أرض الواقع، وظهر نتيجة تحقق الختم بالنبي محمد مفهوم أنه الأفضل والأعظم بين الأنبياء، وبظهور هذا المفهوم اللازم للنبي محمد ترتب عليه ظهور مفهوم المدح، وقد تطرقت إلى ذلك في ردي السابق.

أما قولك : (التصديق لا يعني الإنهاء) فيوجد علاقة جدلية بينهما .

فالتصديق للشيء بمعنى الاعتقاد بثبوته وحصوله، قطعاً لا يدل على إنهاء الأمر. كما أن نهاية الأمر لا تدل على صدقه، فالأمر ليس كذلك، وكلمة (الخاتم) لا تدل على مجرد الإنهاء، أو مجرد التصديق، كقولك : انتهت الأسئلة . قطعاً لا تدل على تصديقها، وبالتالي فهي غير مختومة، أما قولك : التوقيع الموجود على الورقة فهو للتصديق على هذه الورقة غير مزورة . فهذا

يا سيدي عمل توثيقي فقط لا علاقة له بالختم قط . ووضع التوقيع في أعلى الورقة ، أو أسفلها عمل لا قيمة له من الناحية البرهانية لوجود التساهل في الاستخدام .

الخلاصة :

1- **التصديق** : الاعتقاد بثبوت شيء وصوابه، ويُستخدم بين الناس لتوثيق معاملاتهم .

2- **الإنهاء** : يدل على توقف وانقطاع الشيء، اكتمل في الواقع أو لم يكتمل.

3- **مفهوم (الخاتمية)** هو إنهاء شيء أو توقيفه لاكتماله بقصد حفظه واستمراره ، ومنع الزيادة عليه أو النقصان.

ومن هذا الوجه أتى فعل ختم المعاملات، وذلك لحفظها وإثبات نهاية مضمونها وإضفاء عليها صفة الصدق، ومنع تحريفها زيادة أو نقصاناً ، لذا؛ ينبغي وضع الختم دائماً في آخر المعاملة .

وعندما أتى استخدام كلمة (خاتم) للنبيين أفادت إنهاء نزول وحي النبوة، وذلك لاكتمال الدين، واقتضى ظهور عملية الحفظ للدين واستمراره، والتصديق للبناء السابق، والتواصل مع الأنبياء، فظهر فعل التوثيق، وظهر فعل المدح للنبي عندما جعله الله خاتماً .

وأتت جملة (لكن خاتم النبيين) بسياق الاستدراك لتؤكد هذه المفاهيم كلها، وترد على من قال بأن محمداً أبتر، لا أولاد ذكور له يُحيون ذكره، وبالتالي، فمن الخطأ أن يُحصر مفهوم الخاتمية بمعرض الرد على هؤلاء، وينبغي تفعيل دلالة المفهوم والأخذ بكل صور دلالاته في الواقع .

أما استدلالك بآية{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً } (النساء69) على إمكانية استمرار وجود مقام النبوة، فَهماً من عطف الصديقين والشهداء والصالحين عليه، وقلتَ : (إنك مادمت تؤمن بإمكانية وجود صديقين وشهداء وصالحين ، فعليك أن تؤمن بإمكانية وجود أناس يَصلون درجة النبوة أيضاً ، لكنهم ليسوا بأنبياء مستقلين ..)

أخي هاني

لا مانع عقلاً أو شرعاً من وصول بعض الناس إلى مستوى مقام النبوة اكتساباً، ويصح أن نطلق عليهم اسم النبيين لساناً، ولكن لا يُضافون لله، لأن هذا المقام اصطفاء من الله ﷻ وليس اكتسابياً!، أما استدلالك بالنص على استمرار وجود نبيين من الله، فالواقع يُكذب ذلك ابتداءً.

أ- أين النبيين بعد النبي محمدﷺ طوال ألف عام ونيف !؟

ب- أين النبيين بعد الإمام المهدي والمسيح الموعود !؟

فنحن، والمجتمعات السابقة، التي لا يوجد فيها نبيين كما هو معلوم ضرورة، نطيع الله ورسوله ، فأين النبيين من الله حتى نكون معهم وبصحبتهم في الدنيا طوال هذه المدة !؟ ألا ترى أن هذا المفهوم غير واقعي ! ولو كان صواباً لاقتضى استمرار النبوة دون توقف أو انقطاع إلى يوم الدين، حيث يخلف النبيّون بعضهم بعضاً !. وانظر إلى انقطاع النبوة الإلهية بين النبي عيسى، والنبي محمد؟

فلا مانع من وصول بعض من الناس إلى مستوى مقام النبوة، ويمارسون عمل النبيين دعوة وتعليماً، وتجديداً لفهم أمور الدين، والإشراف على الناس لتزكيتهم، ولكن لايضافون لله .

أما قولك: (أما وصفك النص القرآني بأنه منزه عن المبالغة، فينقضه قوله تعالى: {وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} (يوسف31)،وقوله{ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران 119) وغيرها من الآيات).

ينبغي أن تعلم أن كلام الله حق وصدق، **لا يوجد فيه مبالغة أو مجاز قط**، فكلمة قطع غير كلمة بتر، والنساء قَطَّعن أيديهن حقيقة، بمعنى الجرح والخدش، وما شابه ذلك، وعندما يقول الله (عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ) فكلامه صدق وحق، وبالتالي فالعض حصل منهم على وجه الحقيقة، وكثير من الناس في الواقع عندما يتعرضون لموقف إغاظة أو غضب يضرب نفسه أو يعض أنامله، فلماذا الاستغراب؟ وصرف حقيقة النص إلى المبالغة يلزم منها اتهام النص القرآني

دون قصد بالوهم، ومخالفة الحقيقة، والكذب؛ لأن أسلوب المبالغة يدل على نفي وجود صورتها حقيقة في الواقع.

وأنا لا أُعَوِّل على التسميات كثيراً، فلكل ناس أو جماعة اصطلاحات (الإمام المعصوم، والولي، والمهدي المنتظر، والمسيح الموعود، والمخلص ...الخ)، فهذه تسميات مُؤدلجة يُقصد منها تعبئة الناس وحشدهم، وجذب انتباههم من خلال استخدام المخزون الثقافي لكل جماعة، ولا تخلو جماعة من إيمانهم بمخلص يُضفون عليه صفات غيبية، وقوى عظيمة، فأنا **أعتمد على القرآن، والعلم، والواقع، والتفكير، كمصادر لمفاهيمي، ومقياس لصواب الأفكار، فالعمدة والعبرة بمضمون الدعوات ، وليس بأشكالها أو مصطلحاتها**، فمفهوم نبي ظلي، وتابع للنبي الأصل محمد، مفهوم مفرغ من محتواه، ولا قيمة له البتة على أرض الواقع، بل وجعل الإيمان به شرط للنجاة من النار، مفهوم غير صواب .

فكما قلتَ حضرتك: إن النبي (غلام أحمد) هو تابع وظل للنبي محمدﷺ، ويدور في فَلك دعوته، فكيف ننفي صواب، وكمال إيمان رجل لم يصدق نبوة غلام أحمد الظلي ؟ مع العلم أنه يؤمن بالنبي محمد الأصلي، ويدور في فلك دعوته ، ويلتزم بالقرآن ، أي يؤمن بالدعوة التي يدعو إليها غلام أحمد نفسه، فهل المطلوب هو الإيمان بالدعوة، أو الإيمان بالشخص نفسه !؟

ما يؤكد على عدم شرطية التصديق بإمامكم للنجاة يوم القيامة، لأن الشرط، هو الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح؛ وفق المنفعة للناس منضبط بشرع القرآن، فهل إمامكم يزيد على ذلك ؟ فإن كان يزيد، فهو مردود عليه -كما تقولون أنتم- وإن لم يزد على ذلك شيئاً -كما تعتقدون حضرتكم- فنحن، وأنتم في فريق واحد، وما إمامكم إلاَّ أحد العلماء المجددين لهذا الدين الحنيف.

أما قولك (من قال: إن ابن النبي، لابد أن يكون نبياً)

أخي الكريم

أنا لم أذكر ذلك كشرط، وإنما ذكرت ذلك تأويلاً، وفهماً للحادثة التي جرت، وهي وفاة الأولاد الذكور للنبي وهم صغار، ونزول النص القرآني الذي ينفي صفة الأبوة عن النبي محمد؛ لأي من الرجال، أي إن تم عملية ولادة أي ولد ذَكَر للنبي ، لابد أن يموت وهو صغير قبل أن يصل إلى سن الرجال. انظر على سبيل الاستئناس قول النبي محمد عندما تُوفي ابنه إبراهيم: (لو عاش لكان نبياً).

أخي الكريم

ينبغي أن نتحرر من مقولة (من قال بقولك) أو (من معك على هذا القول) !، أما ردك على قولي(لا وجه للتفريق بينهما البتة) بقولك:(فهو غريب فالفرق بينهما مهول).

أخي الكريم

أنا لم أقصد بعدم وجود فرق بين مفهوم النبوة ، والرسالة، من حيث الواقع والوظيفة، وإنما قصدت دخولهما كلاهما في مفهوم الخاتمية ،لأن الخاتمية تعلقت بمفهوم النبوة (خاتم النبيين)، والفرق بين النبي القائد، والنبي التابع، قد حددته بقولي: **رسول نبي قائد، ورسول نبي تابع، وكلاهما أنبياء ورسل الله عموماً**، ولو كان قولك صواباً في إخراج النبي التابع من دلالة كلمة (خاتم) لكان ينبغي أن يأتي النص بصيغة أخرى مثل (**ولكن نبي الله وخاتم الرسل**) فنفهم إمكانية استمرار بعث الأنبياء التابعة، ولكن أتى بصيغة: {وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} مع العلم خطأ مقولة(**ولكن نبي الله وخاتم الرسل**) لأن استمرار الرسل ضرورة لإقامة الحجة على الناس، وليس كل رسول نبي بينما العكس صواب.

أما قولك (الأول يأتي بدين جديد، ويُلغي الدين السابق) فهذا كلام بعيد عن الصواب، لأن الأنبياء والرسل **دينهم واحد، وهو الإسلام** {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ }(آل عمران19)، الذي بدأ بنوح، وانتهى بمحمد صلوات الله عليهم، فتوحيد الله أساس لكل دعوات الأنبياء ،

أما الشرع الإسلامي فقد خضع لعملية تدرج وتراكم في نزوله، إلى أن اكتمل ببعث النبي محمدﷺ، وكان ينزل مع الشرع الإسلامي فيما سبق شرع عيني فيه صفة القومية ، والزمكانية، يتم تعديله أو نسخه مع نمو وتطور المجتمعات، إلى أن تم نسخه كاملاً حينما اكتمل نزول الشرع الإسلامي، فعملية النسخ كانت تتم بين شرع عيني سابق، وآخر لاحق، بخلاف الشرع الإسلامي فمنذ بدء نزوله على أول رسول نبي كانت أحكامه تنزل بصفة الإنسانية، والعالمية، وتأخذ صفة الثبات والاستمرار، إلى أن اكتمل ببعث النبي الخاتم محمد ﷺ.

إن الاستدلال بمادة الحديث النبوي ، وتتبع الكلمات التي تخدم فكرتنا، ليس هذا العمل بصواب ، لأن متن الحديث -كما تعلم حضرتك -لم يتم نقله بالحرفية ، غير مسألة التحريف، وأنا عندما ذكرت لك الرجوع لمادة الحديث، ذكرت أيضاً: **إن الحديث ليس برهاناً بذاته،** وإنما لألفت نظرك إلى أن التراث فيه كل شيء، ولا يعدم رجل من استدلال على فكرته بحديث، أو قول مأثور.

أما قولك: إن القرآن دواء ولابد للدواء من طبيب ، فهذا كلام صواب ، ولكن ينبغي أن تفرق بين من يصنع الدواء ، ومن يصفه للمريض ، فنزول القرآن قد اكتمل والنبوة خُتمت، ما يؤكد على أن الأطباء ما ينبغي أن يتدخلوا في تركيبة الدواء، وإنما مهمتهم، الدراسة واختيار الدواء المناسب للمريض حتى يشفى، وهذه المهمة مُناطة بالعلماء على كافة الاختصاصات، وكلهم عيال على القرآن والعلم، أما مسألة بعث نبي من الله جديد، فلا مانع من ذلك نظرياً بشكل سطحي، ولكن يوجد مانع عقلي، ونقلي متضافرين مع بعضهما:

-**البرهان النقلي** : **اكتمال نزول الدين**، **وإتمام النعمة**، **ورضى الرب** لنا الدين، **وختم النبوة الإلهية بنوعيها** (القيادية والتابعية) بالنبي محمدﷺ صراحة.

-**البرهان العقلي** : وصول الجنس الإنساني إلى بدء سن الرشد والوعي، وتم إدراك ذلك من البرهان النقلي(الوحي الإلهي) ذاته من حيث اكتمال الدين، وصفة الخاتمية ، وإلاَّ، لماذا تمَّ اكتمال الدين، وختم النبوة في ذلك الزمن ؟ولماذا لم يتم ذلك في زمن عيسى عليه السلام ؟ بل، لماذا

لم يكن ذلك في زماننا هذا ؟ فهذا دليل عقلي على أنَّنا وصلنا إلى بداية الرشد، **الذي يقتضي رفع الوصاية الإلهية المباشرة تكريماً ورحمة للجنس الإنساني، فتم انسجام بين عملية اكتمال الدين، وصفة الخاتمية للنبي محمد، ووصول الإنسانية إلى بداية سن الرشد، والوعي**.

وعملية الهداية من الله ﷻ قد تمت في **القرآن** ابتداء، **والعلم ثانياً**، ولقد ذكرت لك سابقاً: إن بعث الأنبياء في بني إسرائيل، إنما هو لانتفاء اكتمال الدين، وعدم خاتمية النبوة بأحد منهم، وانتفاء وصول المجتمع إلى بداية سن الرشد،كل ذلك اقتضى تكرار بعث الأنبياء للأخذ بيد المجتمع والرقي به، فلا مسوغ أن تذكر هذه النقطة بعد الآن قط .

وجميع النصوص القرآنية التي ذكرتها في مقالك السابق ، لا يوجد فيها دلالة قطعية على مفهوم استمرار بعث الأنبياء ، لذا؛ لم أناقشها سابقاً، والعمدة في مسألتنا هي **آية الإكمال، وآية الخاتمية،** فإن استطعت أن تُثبت مفهومك من خلالهما بصورة قطعية، تكون قد أثبتَّ صواب مفهوم استمرار النبوة بعد النبي محمد، وإن لم تستطع ذلك، يكون قد انتفى عن مفهومك صفة الصواب، وصار مفهوماً ظنياً خاصّاً بك، وما ينبغي أن تجعله مقياساً لصواب إيمان الآخرين قط، فضلاً عن وصفهم بالضلال، لأن الضلال يقابله مفهوم الهدى، ويقابل مفهوم الصواب، مفهوم الخطأ، ومن يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً، ويلتزم بالشرع القرآني، يكون على هدى من الله، مع احتمال الخطأ في قناعته في بعض المفاهيم ضمن دائرة الهدى، وهذا لا يخرجه إلى دائرة الضلال .

وإن افترضنا صواب مفهوم استمرار النبوة الظلية التابعة للنبي محمدﷺ، يعترضنا بعض الأسئلة، وهي:

1- أين النص القرآني القطعي الدلالة ، الذي يأمرنا أن نصدق بنبوة هذا النبي الظلي؟

2- أين النص القرآني القطعي الدلالة، الذي اشترط للنجاة يوم القيامة التصديق به ؟

3- هل المطلوب الإيمان بشخصه، أو الإيمان بدعوته ؟

4- إن كان بعث النبوة بعد محمد ممكنة ، و ضرورة ، ورحمة ، وهداية ، لماذا انحرم منها المجتمعات السابقة أكثر من ألف عام، وهل كان إيمانهم صواباً، أو شرعهم ناقصاً ، وهل ناجون يوم القيامة !؟

5- لماذا لم يتم استمرار بعث الأنبياء بعد الإمام ميرزا غلام أحمد؟، هل توقفت الرحمة الإلهية،أو انقطعت صفة الهداية ،أو لم يعد ضرورة لذلك !؟

6- لقد ذكرت في مقالي(الخاتمية) أنَّ الله قد جعل النبوة حصراً في ذرية نوح وإبراهيم أو أحدهما، سواء من طرف الوالد أو الوالدة ، أو كليهما ، فهل ينطبق ذلك على حضرة ميرزا غلام أحمد !؟ وهذا النسب ينبغي معرفته في المجتمع الذي يُبعث فيه النبي ضرورة، ولا يصح إثباته من خلال حُلم لصاحب العلاقة نفسه!.

وتقبل تحياتي العربية ....سامر

مفهوم
السنة غير الحديث

يسرني أن ألتقي بكم في هذا المركز الإسلامي المبارك، إن شاء الله، للتحاور وتداول وجهات النظر، والاستماع إلى الآراء الأخرى لتزكية الأفكار، ونقدها النقد البناء الإيجابي، وتحديثها، لأن لكل زمن معطيات، واستخدام للأفكار بصورة اجتماعية وسياسية، ومن هذا الوجه ينبغي الانتباه أثناء دراسة الأفكار، واستحضار المعطيات التاريخية التي كانت الباعث على صياغة الأفكار بهذه الصورة، التي تخدم مصالح الفئة المستبدة حينئذ، فمن المعلوم أن الصراع السياسي كان وراء صياغة معظم المفاهيم الإسلامية، وولادة الفرق والطوائف، ولا ننسى أيضاً؛ دخول الوافدين من الثقافات الأخرى إلى الإسلام، لقد أدخلوا معهم ثقافتهم، وتم مزجها بالثقافة الإسلامية، ناهيك عن كمون العقلية الجاهلية في المجتمع الإسلامي، وظهورها في الثقافة الإسلامية كآلية عقلية تم استخدامها في فهم الإسلام، وخاصة بعد وفاة النبي ﷺ، إذ بدأت تظهر رويداً، رويداً، إلى أن ظهرت تماماً بعد انتهاء العصر السياسي الراشد، وولادة عصر القهر والغلبة، وتم قيادة الناس من خلال الاستبداد السياسي، والاستعباد الاجتماعي، والاقتصادي، وظهرت الأدبيات التي تُكرس هذا المنحى أصولاً، ولساناً، وفقهاً، وشعراً، وعقيدة، وفكراً، فصارت الثقافة الإسلامية ثقافة استبدادية، واستعبادية كامنة في نفوس المجتمع، فإن قام المجتمع بتغيير مستبد حاكم، فيكون ذلك باستبداله بمستبد آخر، **لأننا لا نعرف إلا ثقافة الاستبداد**، وكذلك فيما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي، إن قام الحاكم بإصلاح ظلم وفساد في جانب، فيكون ذلك على حساب جانب آخر، أي ينتقل الظلم والفساد من جانب إلى آخر، والنتيجة واحدة، وربما أسوء، ومَرَدُّ ذلك إلى ثقافة الاستعباد المهيمنة على قلوب الشعوب، حتى صار عند الحاكم قناعة ومفهوم سياسي أن الشعوب لا تُقاد إلا بالعصا ، والجوع ، والحرمان – جَوِّع كلبك يتبعك– ***وظهر مفهوم رعاية الناس قياساً على القطعان الحيوانية ورعايتها، وانتفى مفهوم العناية بالناس، فالرعاية هي عمل يُقصد به مصلحة الراعي، وليس الرعية،***

فالإنسان يرعى البقر ليس حبّاً لها، وإنما ليستفيد هو منها، فهو يقوم بتسمين العجول ليأكلها. ***بينما العناية موجهة إلى الآخر لمنفعته، ومصلحته، وليس إلى الفاعل !.*** فالحاكم يجب أن يقوم بالعناية بالمجتمع، وليس برعايته، ***والسياسة تتحول من سياسة الرعاية، إلى سياسة العناية، والناس من الرعايا إلى المواطنين*** .

فالثقافة التي وصلت إلينا من خلال التراكم التراثي لثقافة المجتمعات السابقة هي في معظمها مفاهيم تكرس الاستبداد، ومعظم المحاولات التحررية التي قامت في التاريخ، إنما قامت على أساس استبدال مستبد بمستبد آخر، وهذا يقتضي تعبئة المفاهيم بما يخدم مصلحة المستبد الجديد، ومن هذا الوجه تم وضع آلاف الأحاديث على لسان النبوة كذباً وافتراء، يحاول كل حزب إضفاء الشرعية على حركته، وأهدافه، وكان ذلك يتم غالباً بعد عملية القهر والغلبة والاستيلاء على السلطة، فلم يصل منهم إلى قيادة الأمة أحد بصورة شرعية ابتداء غالباً، وهذا هو التاريخ شاهد على ما أقول، فحكام اليوم ليسوا بأسوأ من حكام الأمس !، حتى أن الإمام (جمال الدين الأفغاني ، أو محمد عبده)، يقرر هذه الحقيقة والمأساة (يائساً من رشاد الأمة) فيقول: **لا خلاص للأمة إلا بوجود مستبد عادل!!.**

***هذا هو الوضع في الثقافة الإسلامية الحالية، ثقافة استبدادية، وممارسة استعبادية، ومع ذلك يطالب المثقفون بإزالة الاستبداد لُيحِلُّوا مكانه استبدادهم*، والنتيجة صراع بين المستبدين، والضحية هو المجتمع المستباح ماله، والمسروق جهده، والمنهوب ثروات وطنه.**

إذاً؛ نحن الآن وجهاً إلى وجه أمام التراث الإسلامي الممزوج بسياسة الصراع على السلطة، القائم على فكر الاستبداد والاستعباد. ***لذا؛ ينبغي فرز الأفكار وفصلها عن الصراع السياسي التاريخي، ودراستها بصورة موضوعية دون ربطها بالرجال، والأحداث، وتنقيتها من ثقافة الاستبداد والاستعباد.***

أيها الأخوة

إن التاريخ أحداث قد مضت، فلا يمكن لإنسان أن ينتمي الآن إلى الأمويين، أو ينتمي إلى المعارضين لهم - سنة أو شيعة-، والمعارك التاريخية أيضاً قد انتهت، وبالتالي؛ لا يمكن أن نصحح نتيجة معركة، أو ننصر المظلوم منهم، ناهيك عن استحالة إعادة عظماء الأمة الشهداء إلى الحياة.

إن النقاش والجدال الذي جرى سابقاً في المجتمعات السالفة، هو نقاش يُعبر عن تطلعاتهم وحاجاتهم، وكان في أغلبه تقف السياسة وراءه، مثل مسألة خلق القرآن، ومسألة القضاء والقدر، ومسألة العصمة والإمامة، وما شابه ذلك من مفاهيم، الأصل فيها أنها موجهة لإضفاء الشرعية، وإسقاط المسؤولية عن الحاكم، أو لنفي شرعيته، وتحميله المسؤولية كاملة أمام الرب، والعباد، أو لإعطاء المعارضة غطاء شرعي.

إن الأزمة التي يمر بها المجتمعات العربية والإسلامية، هي أزمة ثقافية في الدرجة الأولى، وما الأزمات الأخرى السياسية، والاقتصادية، وغيرها، إلاّ تبع للأزمة الثقافية، وأي علاج يتجاوز الأزمة الثقافية إلى غيرها من الأزمات فهو علاج مؤقت، ومُسَكِّنْ لآلام الأمة، وسرعان ما ينتهي مفعول المُسَكِّنْ، ويظهر الألم.

فالثقافة أولاً، وثانياً، وثالثاً، وينبغي البدء من المفاهيم الكلية، التي تحكم ثقافة المجتمع، وتصيغ العقل الإسلامي، فعرض مسألة أن لابد من قَبُول الرأي الآخر، وحرية التعبير، دون وجود بناء وأساس ثقافي نظيف ومتين، سوف يذهب ذلك الجهد سدى، ولن يفلح أبداً، ***لأن هذه الأفكار هي ثمار لأفكار كلية سابقة عنها، لابد أن توجد في المجتمع أولاً، فكيف من يحمل فكر تكفيري تقنعه بقَبُول الرأي الآخر؟!***، كيف تأمن لمن تقوم ثقافته على إقصاء الآخر.

لذا؛ ينبغي بناء الثقافة على المفاهيم العلمية، والإنسانية، من خلال كتاب الله الممثل بآيات الآفاق والأنفس، وآيات القرآن، ليصيرا مع بعضهما بُعْدَين للرؤية العلمية والإيمانية، وهذه الخطوة مُناطة بالعلم، والفكر والتفكير، فإن غاب الفكر؛ حلَّ محله الكفر، وإن غاب التفكير؛ حل محله التكفير، وإن غاب العلم والوعي؛ حلَّ محله العنف، والاستبداد، والاستعباد.

أيها الأخوة الكرام

إن الفكر هو انفتاح على الآخرين، وتحديث للمفاهيم، والكفر انغلاق على ما بأنفسنا، والتسمم بمفاهيمنا، ونحن بحاجة إلى أمة راشدة أكثر من احتياجنا لحاكم راشد، والتاريخ يشهد أن الأمة عندما حكمها حاكم راشد، وهي لم تكن راشدة؛ قامت بقتله، واغتياله!، فالأمة الراشدة ينبثق منها حاكم راشد، بينما العكس ليس صواباً، فالحاكم الراشد لا يستطيع أن يقود أمة هابطة ومتخلفة،لأن النهضة حركة مجتمع ، وليست حركة فرد واحد.

إن هذه المحاضرة هي خطوة في هذا الطريق الطويل من الجهاد؛ لإعلاء كلمة الله، وتحرير الناس من عبوديتهم لبعضهم بعضاً، وسوف يتبعها إن شاء الله دراسة، ومحاضرة لمجموعة من المفاهيم الكلية، التي تحكم ثقافة المجتمع، وتؤطره، نحو، مفهوم فصل الدين أو دمجه في الدولة، ومفهوم مصدرية الإجماع الشرعي، ومفهوم ألحاكمية، ومفهوم الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول للنص القرآني، ونقد قاعدة (لا اجتهاد في مورد النص)، ونقد قاعدة (الأصل في الأفعال التقيد)[1]، ومفهوم العصمة، وكيف نتعامل مع النص القرآني، ومفهوم الحرية، ومفهوم أهل الكتاب، والشرك والكفر....إلى آخر المفاهيم الكلية التي صاغت العقل الإسلامي، وعلى موجبها يتم التفكير والتعامل الاجتماعي.

وهذه الأفكار الكلية، هي التي ينبغي تغييرها في أنفسنا كمجتمع، حتى يأخذ قانون التغيير الاجتماعي مجراه، ويتم تغيير ما بالقوم من تخلف، وذل، وعبودية وانحطاط.

واخترت من المفاهيم الكلية للبدء بها موضوع (**السنة والحديث**) لأهميتهما عن غيرهم.

---

[1] راجع كتابي (دراسة نقدية لمفاهيم أصولية).

الترادف في اللسان العربي[1]

أيها الأخوة والأخوات الكرام

إن مناقشة أي موضوع ثقافي يقتضي منّا أن نعرض قبله عدة مواضيع أخرى متعلقة به، لعدم وجود الدراسة لها سابقاً، والموضوع الذي نحن بصدده مرتبط بها بصورة لازمة، هذا الموضوع؛ هو مسألة **الترادف في اللسان**. لأن هذه المسألة هي بمثابة حجر الأساس لدراسة الثقافة الإسلامية الممثلة بالنص القرآني.

إن ظاهرة الترادف في اللسان قد اشتهرت بمفهوم وجود عدة ألفاظ مختلفة والمعنى واحد. وبناء على هذا المفهوم الشائع، تناول العلماء هذه الظاهرة.

فمنهم من أنكر هذه الظاهرة، ومنهم من أثبتها، وكلاهما استخدما مصطلح الترادف بالمعنى الشائع.

وعند التحقيق، والدراسة لظاهرة الترادف، وصلنا إلى أن الترادف ظاهرة علمية يقوم الواقع عليها، وكون اللسان هو انعكاس فكري تفاعلي مع الواقع، وُجدت ظاهرة الترادف في اللسان العربي كصورة صوتية، ووظيفية للواقع.

إن الواقع هو مجموعة من المنظومات، التي تتبع في النهاية المنظومة العامة الكونية الكبرى، نحو المنظومة الشمسية، فالكواكب فيها مترادفة مع بعضها، بمعنى؛ أنه يوجد علاقة ونظام يجمعهم جميعاً لتأدية وظيفة كلية؛ مع وجود ذاتي لكل كوكب، وعدم انتفاء ماهيته.

فالترادف، هو من ردف الشيء بالشيء. إذا ألحقته به لاشتراكهما بشيء واحد. وهذا الاشتراك؛ لا ينفي الاختلاف بينهما في الوقت ذاته. ***فالترادف للأشياء لا ينفي ماهيتها، فالأرض غير المريخ، وغير الزهرة، وعطارد.***

(1) راجع كتابي (علمية اللسان العربي وعالميته)

وكذلك في اللسان العربي يوجد منظومات، وكل منظومة قائمة على الترادف بين كلماتها؛ مع الحفاظ على الاختلاف، والتباين فيما بينها.

انظروا مثلاً إلى هذه المنظومة اللسانية:

كل كلمة تبدأ بحرفي **القاف والطاء** تدل في عمومها على الفصل والتفريق للشيء نحو: قَطَمَ، قطع، قطر، قطب، قطل، قطف...الخ.

فكل هذه الكلمات لا تخرج عن دلالة الفصل والتفريق والصرم، فهي مترادفة من هذا الوجه، أي تابعة لمنظومة واحدة، ولكن لكل واحدة منها صورة وإسقاط على الواقع مختلفة عن الأخرى، وهذا التباين والاختلاف كان نتيجة الحرف الثالث الذي أضيف للكلمة، فدلالة كلمة (قطع)، غير دلالة كلمة (قطم)، أو (قطف).

وانظروا أيضاً لهذه المنظومة اللسانية:

كل كلمة تبدأ بحرف **الغين** تدل في أصلها وعمومها، على الغياب، نحو: غاص، غطس، غاب، غامق، غبي، غرق، غفل، غرور....الخ.

هذا وجه للترادف في المنظومة اللسانية الواحدة، ويوجد ترادف أيضاً بين ألفاظ من منظومتين مختلفتين نحو (جاء وأتى، وحضر وقَدِمَ)، (وأراد وشاء)، (وذهب وخرج، وعبر، وولج، وخرق)...الخ، والعلاقة بين هذه الكلمات علاقة خصوص وعموم.

إذاً؛ الترادف كظاهرة علمية واقعية موجودة في اللسان العربي، ولكن ليس بالمعنى الشائع، وإنما بالمفهوم العلمي الذي ذكرناه، ومفاده:

(إن اختلاف الألفاظ يؤدي إلى اختلاف المعاني قطعاً، وأي زيادة في المبنى على صعيد الكلمة أو الجملة إنما هو زيادة في المعنى).

وبناء على ما ذكرت من مفهوم الترادف؛ نأتي الآن إلى بيان الفروقات بين الكلمات المستخدمة في هذه المحاضرة، لضبط الموضوع، وسهولة فهمه، وهذه الكلمات هي: **بعث وأرسل، والنبي والرسول، والسنة والحديث.**

الفرق بين بعث وأرسل

- **بعث** : كلمة تدل على الإثارة والتحريك للشيء ذاتياً .
- **أرسل** : من رسل كلمة تدل عل الحركة الحرة الممتدة بالتزام للشيء .

فدلالة البعث أشد فاعلية من دلالة أرسل، فالبعث قوة وحيوية متجمعة في المبعوث، بينما أرسل تدل على الامتداد فقط، فعندما نقول عن أحدهم: أنه المبعوث للملك، فهذا يدل على أهلية هذا الإنسان علمياً، وثقافياً، ووعياً، ورشداً، وصلاحيته لتمثيل الذي بعثه، بينما الرسول هو حامل لمهمة ينبغي توصيلها فقط لا يُشترط له العلم أو الثقافة.

الفرق بين النبي والرسول

– **النبي**: من نبأ وهي كلمة تدل على الإخبار والإعلام لشيء مهم من خارج دائرة علم المتكلم. وسُمي النبي نبياً لأنه يُنبئ عن الله.

فالنبي؛ **هو رجل بعثه الله في قومه**، واختاره لمقام النبوة لاتصافه بالأهلية العلمية والثقافية والسمو الأخلاقي، وأوحي إليه بهذا التكليف، والتشريف، ليقوم بعملية الدعوة، والتعليم لمجتمعه، وبذلك صار رسولاً أيضاً، سواء نزل عليه رسالة خاصة أم كان متبعاً لشرع من سبقه فهو على الحالتين رسولاً نبياً.

– **الرسول**: هو من يُكلّف بتوصيل شيء لغيره، فيوجد رسل الله من الملائكة والبشر، ويوجد رسل الناس لبعضهم بعضاً.

نلاحظ أن فعل بعث متعلق بالنبي، وفعل أرسل متعلق بالرسول، وكل نبي رسول ضرورة، والعكس غير صواب، فالرسول كل من حمل رسالة سواء بتكليف من غيره، أو قام طوعاً بحملها وجعل من نفسه رسولاً سواء عن علم أم مجرد حمل وتوصيل لها فقط، لذا؛ قيل ربما حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه.

لذا؛ تأتي في القرآن كلمة نبي بعد كلمة الرسول أو الصدّيق أو الشهيد كترتيب تصاعدي لأن درجة النبوة أعلى من درجة الرسول أو الصدّيق، اقرأ قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ **رَسُولاً نَّبِيّاً**} مريم51، وقوله: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ **صِدِّيقاً نَّبِيّاً** }مريم41، {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ **رَسُولاً نَّبِيّاً** }مريم54. ،{الَّذِينَ **يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ** الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ }الأعراف157.

وانظر للترتيب التنازلي في قوله: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ **النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ** وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً }النساء69. **فكل نبي هو صدّيق وشهيد وصالح، والعكس غير صواب، كما أن كل نبي رسول، والعكس غير صواب.**

فيمكن أن يكون الإنسان رسولاً من خلال حمل الرسالة، ولا يكون نبياً، ويُعرف ذلك من استخدام كلمة (أرسل) في سياق النص القرآني دون ذكر لكلمة (بعث) اقرأ قوله تعالى: {لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾(المائدة 70).

ويمكن أن يكون **الرسول نبياً أصلاً**، ويُعرف ذلك من خلال استخدام كلمة (نبي) أو كلمة (بعث) قبل كلمة (رسول) اقرأ قوله تعالى:

{رَبَّنَا **وَابْعَثْ** فِيهِمْ **رَسُولاً** مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ }البقرة129

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً **فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ** مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ }البقرة213

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ }النحل36

{لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ **بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً** مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }آل عمران164

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ }الأعراف94

{وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ }الزخرف6

فكل نبي هو رسول ومنذر وبشير، والعكس غير صواب، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً }الأحزاب45 ،ويمكن أن يكون الإنسان مجرد رسول فقط، أو منذراً أو بشيراً، اقرأ قوله تعالى:

{وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ }فاطر24

{وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ }الزخرف23

إذاً؛ يوجد فرق بين النبي والرسول، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }الحج52، وقد يجتمع مع مقام الرسول مقام النبوة ليصير رسولاً نبياً، وقد ينفرد الإنسان بمقام الرسول فقط دون النبوة، وقد يضيف لمقام الرسول مقام العلم ليصير رسولاً عالماً، أو يبقى مجرد حامل رسالة يقوم بعملية النذير والبشير، وكلاهما حجة الله على الخلق، ولا يخلو زمان من رسول عالم ، أو رسول داعية إلى الله و نذير وبشير فقط، اقرأ قوله تعالى: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً }النساء165، فهذا النص عام منذ بدء وجود الناس على الأرض ومستمر إلى يوم القيامة، فالرسل السابقة قبل النبي محمدﷺ كان منهم رسلاً أنبياء وكان منهم رسلاً فقط دون نبوة إلى أن ختم الله مقام النبوة الإلهية ببعثة النبي محمد ﷺ {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }الأحزاب40، فتم إغلاق باب النبوة الإلهية، واستمر مقام الرسول فقط دون وحي النبوة، وذلك بنوعيه: رسول عالم، ورسول داعية، وكلاهما يقومان بعملية الإنذار والبشارة، وبهما تتم حجة الله على الناس جميعاً إلى يوم الدين.

والأنبياء يتفاضلون بالدرجات والعلم، اقرأ قوله تعالى: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً }الإسراء55.

وكل الأنبياء هم رسل الله ، ومع ذلك يوجد فرق بينهم انظر إلى نبوة موسى، ونبوة هارون والعلاقة بينهما: النبي موسى رسول نبي صاحب رسالة، بينما هارون رسول نبي تابع لقيادة النبي موسى، وكلاهما رسول ونبي، انظر قوله تعالى:

{وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً } (مريم 53)

{وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ } (الشعراء12)

وقال: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء 16)

فهارون هو نبي، وفي الوقت ذاته أرسله الله ﷻ مع موسى إلى فرعون، وجعله وزيراً لموسى يؤازره، و***الفرق بينهما يكمن في أن موسى نزل عليه رسالة، بينما هارون لم ينزل عليه رسالة، وإنما هو تابع لرسالة موسى يدعو إليها، لذلك تم وصف هارون من حيث الوظيفة بمقام الوزارة.*** قال تعالى: {وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي } (طه29)

فالنبي في مقام العالم المؤهل لقيادة الناس والعناية بهم، والصلة بينه وبين الله مستمرة لا تنقطع عن طريق الوحي، فيمكن أن يوحى إليه بعض الأوامر المتعلقة بقومه لحل مشاكلهم وإخبارهم ببعض الأمور لتقوية إيمانهم، ولكن لا ينزل عليه رسالة تشريعية، وإنما هو تابع لرسول سبقه صاحب رسالة، كما هو الحال في أنبياء بني إسرائيل، فكلهم تابعين لرسالة موسى، لم ينزل عليهم أي تشريعات، وإنما نزل عليهم أوامر وتعليمات ليقوموا باستخدامها في عملية الإرشاد والهداية، والتوجيه لرسالة موسى، فكانوا بذلك العمل قد تحقق بهم صفة الإرسال من الله لهم للناس، فصاروا بذلك مرسلين، ولكن دون رسالة تشريعية، إلا النبي عيس عليه السلام، فقد صار بمقام الرسول صاحب الرسالة، وأخذ حكمهم من حيث الحفظ والعصمة عن القتل.

ومن هذا الوجه فالنبي هو رسول ضرورة، لأن القيمة الحقيقية والثمرة للنبوة إنما هو للدعوة والتعليم والتبليغ. فإن انتفت الرسالة من حيث النزول، أو الدعوة إليها، تفرغ مقام النبوة من مضمونه، ومثل ذلك كمثل العالم العامل بعلمه دعوة وتعليماً، والعالم الساكت عن علمه والكاتم له لا يُفيد به أحداً، فهو بذلك صار من حيث النتيجة مثله مثل الذي لا يعلم تماماً.

إذاً؛ وظيفة الرسالة متحققة بالنبي، الذي نزل عليه رسالة جديدة، فصار بها رسولاً يدعو إليها، ومتحققة بالنبي الذي لم ينزل عليه رسالة مثل هارون من خلال دعوته للرسالة التي نزلت على أخيه، فصار كلاهما رسول رب العالمين، والقرآن استخدم هذه التعريفات والتفريقات بين الرسول النبي صاحب الرسالة(النبي موسى)، والرسول النبي الذي لم ينزل عليه رسالة(النبي هارون)، فأعطى لكليهما صفة الإرسال، ووصفهما بمقام الرسول، وفي الوقت ذاته فرق بينهما، **إذ جعل الرسول صاحب الرسالة معصوم عن القتل لإتمام رسالته، *بينما الرسول التابع جاز عليه القتل، وقد حصل في الواقع.انظر قوله تعالى:***

{لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ **وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ** بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ }آل عمران181

لقد أتى في النص كلمة (الأنبياء) وهي جمع لكلمة (نبيء) التي تدل على صفة مشبهة باسم الفاعل وهي لازمة غير متعدية، وهذا يدل على أن الأنبياء الذين قُتلوا هم ليسوا من أصحاب الرسالات، وإنما من الرسل الأنبياء التابعين للرسل النبيين القادة أصحاب الرسالات، أما مجيء كلمة (نبيين) في النص التالي: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }آل عمران21

فقد أتت بسياق الفعل المضارع (يقتلون) وكلمة (نبيين) جمع لكلمة(نبي) التي هي اسم فاعل وتفيد التعدي للغير، وهذا يدل على استمرار عملية القتل لهم إلى يوم الدين، وبما أن النبوة مختومة ببعثة النبي محمد دلَّ ذلك على أن القتل إنما هو لدعوتهم وليس لشخصهم ، وهذا مشاهد على مر العصور من قيام الكافرين بقتل الحق ومحاربته. لذا نلاحظ أن النبيين أولي العزم معصومين عن القتل المادي ، انظر قوله تعالى:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً }الأحزاب7، لاحظ كيف خَصَّص الله أخذ الميثاق الغليظ فقط من خمسة أنبياء {وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً }.

فهؤلاء هم أولي العزم ، وقتل النبيين حالياً موجه لدعوتهم ، وقتل الذين يأمرون بالقسط يشمل النوعين المادي المتعلق بشخصهم، والمعنوي المتعلق بدعوتهم وذلك لعدم عصمتهم من القتل.

فتكون وظيفة الرسول النبي على نوعين:

أ- وظيفة الدعوة والتعليم والقيادة للناس .

ب- وظيفة التلاوة والتبليغ لما أنزل الله على النبيين.

قال تعالى: { فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ }النحل35

{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ }الأنعام151

وينبغي الانتباه إلى أن النبوة لم تنف الصفة البشرية عن النبي، قال تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى }** (الكهف110).

الخلاصة:

النبي رسول ضرورة وهو مقامين: رسول نبي قائد مثل النبي موسى، ورسول نبي تابع مثل النبي هارون.ولذلك صحت المقولة :**كل نبي رسول ولا عكس.**

الرسول يمكن أن يكون نبياً، ويمكن أن ينفرد بمقام الرسول فقط، وهو ذو ثلاث مقامات بالترتيب التنازلي: رسول نبي ، ورسول عالم ، ورسول داعية.

والختم متعلق بالنبوة الإلهية دون الرسول أو النبوة الاكتسابية، بل؛ ما ينبغي ختم مقام الرسول والنبوة الاكتسابية لأنهما حجة الله على الناس إلى يوم الدين.

الاجتهاد وظيفة النبي والعلماء لا الرسول

وكون النبوة مقام علمي، والأنبياء سادة العلماء، فصفة الاجتهاد لهم أولى من العلماء، ***فالنبي أحق بالاجتهاد من العالم قطعاً*** ، وإلاَّ صار العالم المجتهد أفضل من النبي إن سُلِبَ حق الاجتهاد منه.

فالرسول النبي يقوم بالاجتهاد في عملية الدعوة، والتعليم، والاستنباط للأحكام والمعلومات من الرسالة التي نزلت عليه أو السابقة إذا كان تابعاً لغيره، وكذلك الرسول العالم دون الرسول الداعية.

{ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ }**النساء83**

{إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ} (النساء105)

مفهوم العصمة

أما بالنسبة لمفهوم **العصمة الربانية،** فالأنبياء ليس لهم أي عصمة من ذلك، فهم معرضون للقتل كما حصل مع أنبياء بني إسرائيل، وكذلك لكل الصفات الإنسانية من حيث الخطأ والنسيان، والكذب، والوقوع في المعصية، وذلك لأنهم يملكون إرادة حرة، والذي يملك إرادة حرة أفضل من مسلوب الإرادة، ومسير في سلوكه. ***والنبي كونه عالماً بالله ﷻ، فهو يعصم نفسه عن الكذب والمعاصي والفواحش، عصمة إرادية، نابعة من إيمانه بالله ﷻ. لذلك كان النبيون أفضل الناس وأعظمهم شأناً، ويأتي بعدهم العلماء.*** {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (فاطر28). وهذه العصمة الإرادية مطلوب من الناس جميعاً أن تتحقق بهم. قال تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} (آل عمران103).

أما العصمة بالنسبة للرسول النبي (صاحب الرسالة) فهي على وجهين:

الأول: عصمة من القتل، وذلك لإتمام رسالته، **وفي الحقيقة، العصمة موجهة إلى الرسالة وليس إلى شخصه**، فكل رسول نبي صاحب رسالة معصوم من القتل، نحو الرسل

أولي العزم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، صلوات الله عليهم. بخلاف الأنبياء، فيجوز عليهم القتل، مثلهم؛ مثل سائر البشر، كما حصل مع أنبياء بني إسرائيل.

الثاني:العصمة في عملية التلاوة لنص الرسالة، وهذا يقتضي حفظ النص في ذاكرة النبي، وحفظ النطق في لسانه، حتى لا يتم أي خطأ في عملية التبليغ، ويقتضي ذلك عصمته من أي عارض يؤثر على عملية تبليغه للرسالة، أو القدح فيها، نحو، الأمراض الجلدية المنفرة، أو الأمراض النفسية، من هذيان وهلوسة، وسحر، وما شابه ذلك.

فالرسول النبي إذا فرغ من تلاوة الرسالة، وعملية التبليغ، ينتهي دوره كرسول، ويبدأ دوره كنبي يقوم بالتفاعل مع الرسالة التي أنزلها الله، كونه أول المكلفين بها عملاً، ويدعو الناس إليها، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

مقام النبوة مرتبط بحياة النبي

النبوة الإلهية مقام اصطفاء، وليس اكتسابياً، وهو مقام علم ودعوة وقيادة للناس، ويجوز على النبي ما يجوز على الإنسان تماماً، وعصمته إرادية ليست ربانية، ويملك حق الاجتهاد كونه عالماً.

الرسول الإنساني من الله: مقام لتوصيل رسالة الله إلى الناس، ليس له من الأمر إلاّ التلاوة والتبليغ، وبالتالي لا يحق له الاجتهاد في نص الرسالة كمبنى ومعنى، وهذا التفريق بين مقام النبوة، ومقام الرسالة يوصلنا إلى **أن مقام النبوة مرتبط بشخص النبي نفسه ، وبالتالي يفقد مقام النبوة فاعليته بموت النبي مثل النبي هارون، بينما مقام الرسول النبي صاحب الرسالة مرتبط بالرسالة، فإن مات النبي لا تتأثر الرسالة لاستمرار وجودها وفصلها عن شخصه. مثل الرسول النبي موسى والصحف التي نزلت عليه.**

فيكون المجتمع الأول الذي عاصر نزول الرسالة علاقته مع مقام النبوة، ومقام الرسول معاً. **أما المجتمعات اللاحقة فعلاقتها مع الرسالة فقط دون النبوة، لموت صاحبها، فالنبوة**

خاصة، ومرتبطة بالزمكان، أما الرسالة فهي عامة مستمرة بعد موت النبي صاحب الرسالة ويحملها بعده الرسل من العلماء والدعاة.

ومن هذا الوجه صح الحديث الذي ورد عن النبي الذي يقول : (***أطيعوني ماذُمت فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله وحرموا حرامه***) مسند أحمد 6381/ وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم 1472

وبناء على ذلك التفريق نستطيع أن نقول:الطاعة مرتبطة بحياة الآمر، بينما الإتباع مستمر ويتعلق بالحي أو الميت لأن الإتباع يتعلق بالمنهج لا بالكلام أو الحديث، وبالتالي نبوة محمد لقومه ، ورسالته للناس جميعاً .

كما أخبر الله ﷻ بقوله: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً }(الأعراف 158)

أما عملية البعث فكانت في قومه، ولهم، لأنها مرتبطة بشخصه.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (الجمعة 2)، ***فعملية البعث والإرسال، أي النبوة والرسالة معاً، كانت لقوم النبي، ومن عاصره، أما بعد موته، فقد توقفت فاعلية مقام النبوة، واستمر مقام الرسول الذي تَمَثَّلَ في الرسالة ذاتها، فكانت الرسالة للناس جميعاً دون النبوة، وهذا ما هو حاصل في الواقع من حيث انتشار الرسالة الممثلة بالقرآن على الناس جميعاً، بخلاف حديث النبي فهو محل نقاش وقَبُول ورفض، واختلاف بين المسلمين***، مع العلم أن كلمة الرسول في اللسان العربي والقرءان أصل دلالتها هو الرسالة ذاتها، فالقرءان هو الرسول، وحامل الرسالة يُسمى رسول لعلاقته بالرسالة وحملها .

اكتمال الدين يقتضي ختم النبوة الإلهية

عندما تم اكتمال نزول الدين الإسلامي الذي بدأ في عهد نوح ﷺ، مروراً بإبراهيم وموسى وعيسى، وانتهاء بمحمد صلوات الله عليهم جميعاً {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }المائدة3 ، اقتضى ختم النبوة الإلهية لانتفاء الحاجة لوجودهم، واستمرت الرسالة الكاملة يحملها الرسل والنبييون الاكتسابيين من الأئمة والعلماء والدعاة، ويقومون بدور بُناة المجتمعات، كل في زمانهم، وحسب أدواتهم المعرفية، واحتياجاتهم، يعلمون الناس ويدعونهم إلى الحق والعدل، ويقومون بعملية الاستنباط من الرسالة لإيجاد علاجات، وأحكام للمستجدات في الحياة الاجتماعية، وقد جعل الله ﷻ مقياساً وقانوناً يُغَربل ويُصفي هذا التراكم الفكري الإنساني الهائل، الذي يَعلق بالرسالة مع مرور الزمن، وهو قوله تعالى: { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ } (الرعد17)

فالأفكار تموت من تلقاء نفسها عندما تفقد فاعليتها دون نقاش، أو حوار، أو جدال من أحد، والواقع شاهد على ما أقول، فمن يناقش الآن حكم الرسم، أو التصوير للكائنات الحية، وما شابه ذلك من أفكار**!؟** رغم أن المحرِّمين لها لم يغيروا رأيهم **! ولكن الأفكار ماتت لعدم جدواها في الواقع،** وهم أحرار في استمرارهم بحمل هذه الأفكار الميتة المرفوضة من أبنائهم قبل غيرهم من الناس.

مفهوم السنة

السنة: من سن، التي تدل على جريان الشيء و اطراده بسهولة، وكلمة جريان الشيء؛ تقتضي الاستمرار، التي بدورها تقتضي التكرار { فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً } (فاطر43)، فسنة الله، هي الطريقة التي استخدمها في عملية الخلق، وأعطاها صفة الثبات من جراء استمرارها، وتكرارها في كل عملية خلق.

فالماء، كلما تعرض للحرارة يتبخر، هذه سنة الله في الماء لا تتغير أو تتبدل.

وإذا أضيفت كلمة سنة للإنسان، فيقصد بها نمط حياته العملي الثابت عليه استمراراً وتكراراً، لا يتخلف أبداً عن فعله.

والتزام الإنسان بسنة معينة في حياته الاجتماعية، يقتضي ذلك عملية الإشهار له بين الناس، وهذا الإشهار يزداد يوماً بعد يوم، ***وتتوسع دائرة التواتر لهذه السنة ، كلما مضى عليها زمن، ويختفي السند،*** بمعنى أنه لا يمكن تحديد الرواة لها، وهذا معنى التواتر، الذي هو ما رواه، أو ما نقله جماعة عن جماعة يستحيل عقلاً تواطؤهم على الكذب. نحو تواتر النص القرآني، فهو لا سند له معروف أو محدد، بمعنى أنه لا يوجد لكل سورة منه سلسلة من الرواة معروفين، فهو نص متواتر إنسانياً، ثابت، ومُوَثق من قِبَلْ كل مجتمع تعامل معه إلى يومنا المعاصر. (ظاهرة اجتماعية) .

وينبغي العلم أن التواتر هو أداة معرفية يتعلق بحصول الحدث فقط، وليس هو أداة علمية يتناول دراسة الحدث أو الحكم عليه، لذا؛ التواتر يفيد حصول الحدث، ولا يفيد كيفية حصول الحدث.

مفهوم الحديث

الحديث: كلمة تدل على حصول الشيء بعد أن لم يكن، وسُمي الكلام حديثاً، لأنه يحصل بصورة جديدة تباعاً، كلمة تلو أخرى.

قال تعالى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً } (النساء87)

فالحديث لا يشترط له التواتر والثبات، والاستمرار؛ بل يغلب عليه الظن، وهو يخضع لعملية الصدق، والكذب، والخطأ، وذلك متعلق بمضمونه كمتن، ورواته كسند، ويستثنى من ذلك النص القرآني، لأنه تحول إلى حدث اجتماعي عظيم منذ بدء نزوله، فهو حديث الله عز وجل الصادق المطابق للواقع، وقد تم حفظه بصورة التواتر له في المجتمعات الإنسانية، أما سوى حديث الله، فهو أمر متروك حفظه للناس، سواء أكان حديث الأنبياء، أم غيرهم، ويجري عليه الصدق والكذب، والخطأ والتحريف، كما هو معلوم في الحياة الاجتماعية والثقافية.

إذاً، مدلول السنة غير مدلول الحديث، فينبغي التفريق بينهما في التعامل، والاستخدام، **والالتزام بدلالتهما اللسانية، وعدم الخلط بينهما.**

ومن خلال تتبع الآيات القرآنية نشاهد أن كلمة (**السنة والحديث**) لم يتم استخدامهما إلاّ بدلالتهما اللسانية، أي لم يتم حصر دلالتهما بصورة معينة مثل كلمة، الصلاة، والصيام، والحج، التي صارت اصطلاحات شرعية، إضافة لدلالتها اللسانية.

ويجب أخذ العلم أن كلمة (السنة والحديث) في القرآن لم تأت متعلقة بالنبي محمد قط، وإنما أتت متعلقة بالله، انظر إلى قوله: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً } (النساء87)

{فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً } (فاطر43)،

وبالتالي، فنحن غير ملزمين بمصطلحات القوم التي وضعوها، وهي غير حجة علينا، وهذه التعاريف وضعها الفقهاء، كل حسب اختصاصه وتوجهه.

- قال **علماء الأصول**: السنة هي ما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً يستنبط منه حكماً.
- وقال **علماء الفقه**: السنة هي ما يُندب فعله ويثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

– وقال **علماء الحديث**: السنة هي مجموعة الأقوال والأعمال والإقرارات وما همَّ به النبي، وصفاته الخَلْقِيّة، والخُلُقِيّة، وأخبار غزواته وحياته الاجتماعية.

– وقال **علماء الشيعة الإمامية**: السنة هي قول وفعل وإقرار النبي والإمام المعصوم.

إلى غير ذلك من التعاريف الموجودة في التراث الإسلامي.

وعلماء الأصول عندما يذكرون مصادر التشريع يقولون:

القرآن والسنة، والإجماع، والقياس. فيستخدمون كلمة السنة، ولكن حين التطبيق والدراسة **يحل محلها مادة الحديث النبوي كمصدر شرعي عوضاً عن السنة،** وهذه العملية من العلماء، **هي تدليس وتحريف، وخلط ما بين السنة، والحديث، لتمرير ما يريدون من أفكار تخدم السلطة الاستبدادية، وتكرس الاستعباد!.**

سنة النبي ، وحديث الرسول

ماذا يُقصد بسنة النبي، وحديث الرسول؟

سنة النبي: هي الطريقة المنهجية التي استخدمها في التعامل مع الرسالة الإلهية لإسقاطها على واقعه، وهي ما أطلق الله عليها صفة الحكمة.

وهذه الطريقة موجودة في فحوى الرسالة، فكل من يقرأ الرسالة الإلهية يستطيع أن يصل إلى هذه المنهجية (سنة النبوة).

قال تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ } (البقرة129)

ومن خلال تفاعل النبي مع الرسالة، والواقع مستخدماً الحكمة، جرى على لسانه الأحاديث المتعلقة بفهمه للرسالة، والواقع، **وهذه الأحاديث هي من تأليف النبي، وفهمه للرسالة، وليست وحياً أبداً، ولم يتعهد الله بحفظها لأنها مرتبطة بشخص النبي، وبزمانه ومكانه، والنبوة كما ذكرت هي خاصة في الزمان والمكان، والمجتمع،** بخلاف الرسالة فهي عامة وصالحة لكل زمان ومكان . **فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات،**

وحديثه تابع له، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وحديثه حفظه الله من التحريف.

وواقع مادة الحديث النبوي شاهد على ما أقول من كونها مادة لم يُرِدْ الله حفظها ابتداء، ولايصح استخدام كلمة حديث الرسول على الأحاديث النبوية لأن حديث الرسول هو القرءان ذاته، أما كلام الرسول الشخصي فيعزى إليه كشخص وليس كرسول.

انظر إلى هذه الإشكالات على سبيل المثال:

أ – اختراق مادة الحديث النبوي زيادة كما هو مشاهد في كتب الحديث.

ب– اختراق مادة الحديث النبوي نقصاناً، وهذا ثابت عقلاً، ونقلاً.

أما ثبوته عقلاً، فهو من ثبوت الزيادة، والزائد أخو الناقص، والأمر الذي يزيد؛ ينقص.

أما نقلاً، فمن خلال إهمال وإغفال رواية معظم أحاديث العهد المكي لمدة ثلاثة عشر عاماً، وإهمال رواية بضع مئات من خطبِ الجمعة التي خطبها النبي نفسه !.

ت– وجود تعارض وتناقض في الروايات بصورة مذهلة !.

ث– وجود روايات تنهى صراحة عن كتابة غير القرآن نحو قول النبي (**من كتب عني غير القرآن فليمحه**).

ج– عدم اهتمام كبار الصحابة برواية الحديث أو حفظه ! وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين الأربعة، مع العلم أنهم من حفظة القرآن، وقد اهتموا جداً بالنص القرآني كما هو معلوم من جمع المصحف في زمن أبو بكر، وتوحيد التلاوات في زمن عثمان.

ح– ورد عن النبي مجموعة من الروايات التي تؤكد على أن المصدر الإلهي الوحيد للتشريع هو القرآن نحو:

أ– قال النبي: [أمّا بعد؛ ألا أيها الناس؛ فإنما أنا بشر يُوشِك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْن، أولهما **كتابُ الله** ، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به –

وحثَّ على كتاب الله ورغب فيه- ثم قال: وأهل بيتي؛ أُذكرُكم الله في أهل بيتي. وكررها ثلاث مرات]. أخرجه مسلم برقم **4425**/وأحمد.

ب- قال النبي: [إن أُمِّرَ عليكم عبد مجدع -قال الراوي حسبتها قالت أسود- يقودكم **بكتاب الله تعالى فاسمعوا وأطيعوا**] مسلم 3422

ت- قال النبي: [**الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه، وما سكتَ عنه فهو مما عفا عنه**] ابن ماجه 3358/ الدار قطني والحاكم والبيهقي و البزار و الطبراني.

ث- قال النبي: [**أطيعوني مادُمت فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله، أحلّوا حلاله وحرّموا حرامه**] مسند أحمد 6381/ وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم **1472**

ج- - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنِى إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُوداً نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النبي ﷺ فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ « مَا هَذَا تَكْتُبُونَ ». فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ مِنْكَ . فَقَالَ « **أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ** ». فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ. فَقَالَ « **اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ وَأَخْلِصُوهُ أَكِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلِّصُوهُ** ». قَالَ فجَمَعْنَا **مَا كَتَبْنَا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ** قُلْنَا أَىْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَتَحَدَّثُ عَنْكَ قَالَ « نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّى وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ». الإمام أحمد

ح- عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً واتبعوه وتركوا التوراة".

أَبُو إِسْمَعِيلُ عَن صَالِحِ بْنِ عُمَرَ عَن عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ إِذَا حَدَّثَ عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا حَدَّثَ قَالَ إِذَا سَمِعْتُمُونِي أُحَدِّثُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **فَلَمْ تَجِدُوهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ حَسَنًا عِنْدَ النَّاسِ فَاعْلَمُوا أَنِّي قَدْ كَذَبْتُ عَلَيْهِ**. سنن الدارمي 593

خ- عن أبي سعيد الخدري ، أن النبي ﷺ ، قال : « **لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن من كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه** » . « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه

د- قال رسول الله ﷺ : **اعملوا بالقرآن أحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدى كما يخبروكم وآمنوا بالتوراة والإنجيل و الزبور وما أوتي النبيون من ربهم وليسعكم القرآن وما فيه من البيان.** السنن الكبرى للبيهقي

وما ذكرته إنما على سبيل الاستئناس، وليس على سبيل البرهان، فأنا أعلم أن كل مسألة من هذه المسائل يمكن أن يُوجد لها عُبَّاد الأسانيد تلفيقة معينة ليبرروا هذه الأمور، ويستمرون في استعباد الناس، نحو استدلالهم بحديث يُنسب إلى النبي كذباً وهو (يوشك رجل متكئ على أريكته يقول: ما وجدنا في كتاب الله من حرام حرمناه، وما وجدنا فيه من حلال أحللناه ، وما سكت عنه فهو مباح. ألا إنَّ ما حرم رسول الله مثل ماحرم الله)!. وهذا حديث يتناقض مع النصوص القرآنية بصورة قطعية، ويُوقع صاحبه في الشرك التشريعي مع الله ﷻ، غير تناقضه مع الأحاديث النبوية ذاتها مثل الأحاديث التي سبق ذكرها، ناهيك عن ظنية ثبوته (ونحن نجزم بكذبه) والظني لا يصلح للاستدلال به على مسألة إيمانية أو أصولية، والظني لا يرفع اليقين الذي هو القرآن!.

الحديث النبوي ليس تشريعاً إلهياً ثابتاً

لو افترضنا على سبيل المثال أن الأحاديث النبوية قد وصلت إلينا كلها دون زيادة أو نقصان، أو تحريف، وتم التأكد من صواب نسبتها إلى النبي بصورة موثقة إلى درجة اليقين، هل تصير هذه المادة الحديثية وحي إلهي تشريعي ملزمين بها ؟!

والجواب: لا، ليس وحياً عموماً، وغير ملزمين بها. لأن مادة الحديث النبوي هي من تأليف النبي وتفاعله مع الرسالة الإلهية. فحديث الله (القرآن)، غير حديث النبي، والعلماء فرقوا

بينهما بالتعريف فقالوا: الحديث النبوي هو المعنى من الله، واللفظ من النبي. أما القرآن فصياغته اللسانية، كمبنى من الله ﷻ، **وإذا تمعنا بتعريف العلماء للحديث النبوي نصل إلى أن الله ﷻ أنزل وحياً بالمعنى دون المبنى على النبي**. وهذا الكلام هُراء لا قيمة له، **وذلك لأن المعاني مرتبطة بالمباني، والمباني هي أوعية لحمل المعاني لا يفترقان أبداً،** وبالتالي، لا يمكن أن يتم نقل معنى لإنسان دون مبنى يحمل هذا المعنى. والوجه الآخر لبطلان هذه المقولة، **أن الإنسان لا يفكر إلا ضمن لسان يكون حاملاً ووسيطاً لفكره،** فإذا انتفى اللسان انتفى التفكير، وبالتالي، لا يمكن أن تجعل إنساناً لا يملك لساناً (لغة) أن يقوم بعملية التفكير، أو أن تتواصل معه فكرياً، **هكذا خلق الله الإنسان، لا يفكر إلا ضمن لسان، والتفكير غير التعقل الذي لا يتجاوز عملية الفهم، والتفاعل مع الواقع بصورة مباشرة، وهذا لا يحتاج إلى لسان (لغة) ليحصل، مثل الشعور بالحب أو الحزن، أو الخوف** ، فإذا أراد الخالق من الإنسان شيئاً تكلم معه بلسانه، والعجز والمحدودية في الإنسان، وليس في الخالق. وإذا ثبت أن مبنى الحديث من النبي كإنسان، وهذا ثابت في واقع الحال باعترافهم، ثبت ضرورة أن المعنى من النبي متلازم مع المبنى لا يفترقان. **فمادة الحديث النبوي هي أمر مرتبط بشخص النبي وتفاعله الزمكاني مع الرسالة الإلهية، وليست هي وحياً، وليست هي مصدراً تشريعياً، وإنما هي مادة تاريخية عظيمة، إنها التفاعل الأول مع الرسالة الإلهية الكاملة.**

وخطاب الله ﷻ موجه إلى الناس جميعاً، ونحن من الناس المعنيون بهذا الخطاب، فلماذا نُهمش أنفسنا ونخرجها من الخطاب الإلهي:

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً } (الأعراف 158)

أما مَثل الصلاة الذي يشهره مَن يدّعي أن القرآن بحاجة للحديث النبوي، ولولا الحديث النبوي لهلك القرآن، فهذا رجل لا يعرف ما يقول، ولا يعرف خطورة كلامه هذا، فهذا القول ينقض قول الله عز وجل بأن القرآن كتاب مُبين وبَيان ، وأن الله أكمل دينه وحفظه بالقرآن، بخلاف حديث النبي فهو لم يتعهد بحفظه ، بل وتعرض للتحريف، ولم ينزل وحياً أصلاً، ولكل قوم مرجعية خاصة بهم كما هو مشاهد.

والأمر بإقامة الصلاة كتشريع وجوب، ومقومات الركعة الواحدة (قيام وركوع وسجود) والحد الأدنى للصلاة كركعتين ، كل ذلك نزل في النص القرآني، أما عدد الركعات للصلاة التي أكثر من ركعتين فقد أتت من اجتهاد النبي، ووصلت إلينا عن طريق السنة النبوية ، أي توزيع عدد ركعات الصلاة في اليوم والليلة.

فتلازم أمر الله بأداء الصلاة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ }المائدة6 مع حديث النبي (***صلوا كما رأيتموني أصلي***) فالصلاة مبنية على عملية الرؤية ، وليس على الأحاديث .

لذا؛ كانت الصلاة بصورتها العملية متواترة في المجتمعات الإسلامية من قبل وجود أئمة المذاهب الأربعة، والبخاري ومسلم، وأبو داوود والترمذي والنسائي، والأوزاعي والثوري، وجعفر الصادق ....، ولا منيّة لأحد في وصولها إلينا !، ولا يوجد اختلاف بين المسلمين في صورتها من قيام وركوع وسجود، والاختلاف بين المسلمين إنما هو في الجزئيات المتعلقة بالصلاة، وهذه الأمور هي من مادة الحديث النبوي، وليست وحياً،مثلاً، عندما نزلت آية **{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ }** (الواقعة74) قال النبي: اجعلوها في ركوعكم، وعندما نزلت آية **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى }** (الأعلى1)، قال: اجعلوها في سجودكم.

فهذه الأدعية والأذكار هي اختيار نبوي لأمته، الأَوْلى الالتزام بها مع صواب الصلاة بغيرها من الأدعية والأذكار القرآنية التي يتأولها الإنسان كمضمون.

وكذلك طقوس ومناسك الحج ، اقرأ قوله تعالى : {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (البقرة128)، وقول النبي : (**خذوا عني مناسككم**).

حديث الرسول هو القرآن ذاته

أما بالنسبة لحديث الرسول كشخص فهو مادة غير موجودة، وما ينبغي أن يكون له حديثاً كرسول، ولو حَدَّثَ من عنده، ونسب ذلك إلى الله لتم إعدامه فوراً، وأحاديثه الخاصة تسنى باسمه أو تعزى إلى مقام النبوة فنقول:أحاديث نبوية.

قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} (الحاقة 44-46)

فمادة الحديث النبوي حصراً مرتبطة بمقام النبوة دون مقام الرسالة، أما حديث الرسول فهو حديث الله ذاته (القرآن).

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً }الكهف6

{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} (الزمر23).

{أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ }النجم59

وما على الرسول إلا البلاغ لحديث الله.

{مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ }المائدة99

نقاش مجموعة من الآيات

وحان الوقت الآن لعرض مجموعة من الآيات المتعلقة بموضوعنا، وأظن أن كثيراً من الأخوة الحضور قد عرضت لهم في أذهانهم أثناء المحاضرة، وبإلحاح شديد، ولكن قبل ذلك ينبغي استصحاب الفرق بين النبي، والرسول، لأن الخطاب القرآني يفرق بينهما، وهذا التفريق كان نتيجة الفرق الواقعي بينهما من كون **مقام النبوة الإلهية خاص شخصي مرتبط بالزمكان، ومقام الرسول عام لارتباطه بالرسالة ومستمر بعد وفاة النبي** .

والمجتمعات اللاحقة ملزمة بالرسالة، وليس بالنبوة، لانتفائها وموت صاحبها.

إن دراسة النص القرآني لا تكون من خلال اقتطاع جملة أو جزء من نص كامل، وبناء المفهوم على ذلك نحو جملة**{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ }** (الماعون4)، وجملة{فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم} (النساء3)،وجملة{ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ } (النساء34)، **بل لابد من قراءة النص كاملاً ضمن سياقه، وربطه مع منظومته التي ينتمي إليها، ومن ثم القيام بعملية الترتيب الأولوي للنصوص للوصول للمقصد والحكم.**

أطيعوا الله والرسول

وعند التقصي، والبحث في النصوص القرآنية، وجدنا نصين يمكن أن يكونا محور، وقاعدة للبحث وهما:

1-{قُلْ **أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ** فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } (آل عمران 32)

2- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ** وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} (النساء 59)

وعلماء التفسير لم يفرقوا بين وجود فعل طاعة واحد مشترك لله والرسول في النص الأول، وتكرار فعل الطاعة وفصله للرسول، وعطف عليه أولي الأمر في النص الثاني، وأعطوا لمفهوم الطاعة للرسول في النصين معنى واحد.

وهذا العمل منهم خطأ فاحش، لأن أي زيادة في المبنى إنما هي زيادة في المعنى، ووجود هذه الكلمة مكررة دون معنى زائد، هو حشو، ولغو منزه عنه النص القرآني.

إذاً، ينبغي أن يكون اختلاف في المعنى بين الآيتين.

فلو قال قائل: **سافر** زيد وعمرو إلى دمشق .

نفهم من ذلك أن سفر زيد وعمرو مشترك مع بعضهما في وقت واحد.

بينما لو قال: **سافر** زيد و**سافر** عمرو إلى دمشق.

لفهمنا أن سفر كل منهما مستقل عن الآخر، ومنفصلين.

فنصل من خلال هذا الشرح إلى أن طاعة الرسول في القرآن هي نوعين:

الأول: طاعة متصلة بطاعة الله: {أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ}.

الثاني: طاعة منفصلة عن طاعة الله: {أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ}

والطاعة المتصلة هي طاعة في أصلها لله ﷻ، وذُكر الرسول معه متصلاً، لأن طاعة الله لا يمكن أن تتم إلا من خلال طاعة الرسول فيما يتلو علينا من أوامر الرب،نحو قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } (الأنعام 151).

وتكون دلالة كلمة (رسول) في نص الطاعة المتصلة الرسول النبي، وليس مطلق الرسول، وصراحة يقصد بها الرسالة ذاتها لأنها الرسول في واقع الحال وهي مستمرة إلى يومنا المعاصر.

بينما الطاعة المنفصلة أتت بعد فعل الطاعة لله ﷻ في أوامره الشرعية، وبعد الانتهاء من ذلك جاء الأمر مستقلاً بطاعة الرسول ، وعُطف عليه مباشرة أولي الأمر دون تكرار فعل الطاعة لهم، وذلك يدل على أن فعل الطاعة مستمر من الرسول إلى أولي الأمر، **وهذا يدل على أن مادة الطاعة لهم غير متعلقة بالدين من حرام وحلال وواجب، لأن ذلك داخل في فعل الطاعة لله الأول.**

إذاً؛ طاعة الرسول وأولي الأمر في النص، يقصد بها الدائرة التي هي خارج عن دائرة الدين، وليس هي إلا دائرة المباح، فتكون طاعة الرسول في نص الطاعة المنفصلة تدل على دلالة الرسول على إطلاقها كنبي وقائد اجتماعي لقومه حينئذ، ولكل رسول يأتي بعده يأمر وينهى وينظم العلاقات ضمن دائرة المباح. وهذا لأن الأمر بالطاعة في القرآن لم يأت إلا متعلق بالكائن الحي، فالله حي وبالتالي نحن مأمورين بطاعته، والرسول الذي يجب أن نطيعه يجب أن يكون حياً ، وتحقق ذلك بحياة النبي في قومه، وبحياة كل رسول بعده في قومهم، ومن هذا الوجه لم تأت الطاعة مقترنة بالنبي في القرآن قط، وإنما أتت مقترنة بكلمة الرسول لتشمل الرسول النبي في حياته، والرسل العلماء والدعاة من بعده.

أما كلمة (الإتباع) فلا علاقة لها بالطاعة، لأن الطاعة مرتبطة بالقول، والقول مرتبط بحياة القائل، بخلاف الإتباع فهي تدل على المنهج والطريقة ، ولا علاقة لها بحياة المُتَّبع أو موته، فيصح الإتباع للحي أو الميت على السواء لأن الإتباع للمنهج وليس للقول.اقرأ قوله تعالى:

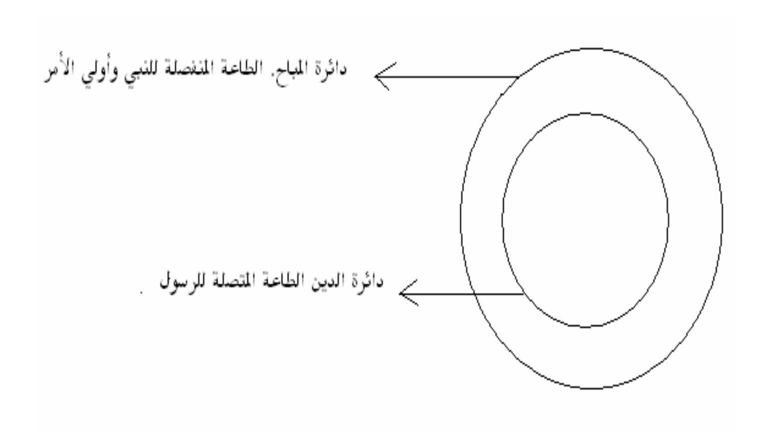
{قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }آل عمران95

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } آل عمران68

{وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً }النساء125

والإتباع للنبي إبراهيم هو إتباع لمنهجه وليس لأقواله، وكذلك الإتباع للنبي محمد في قوله تعالى على لسان النبي:

{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ **فَاتَّبِعُونِي** يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }آل عمران31، فالإتباع له إنما هو إتباع للمنهج الذي يسير عليه في القرآن.



{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا }

قال تعالى: {مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }(الحشر7)

وواضح من سياق النص أن فعل (**آتاكم، ونهاكم**) أمران متعلقان بتوزيع الفيء، لذلك فسر العلماء فعل (آتاكم) بمعنى أعطاكم، فهو أمر سياسي اجتماعي من صلاحية الحاكم ضمن دائرة المباح.

ومن الخطأ الفاحش اقتطاع جملة من النص وهي{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا }وبناء مفاهيم مسبقة عليها كما هو سائد في التراث الإسلامي، وخاصة التيار السلفي. رغم أن هذه الجملة تدل على ما ذكرت سابقاً، لو عرفتم الفرق بين دلالة كلمة (أتى) وكلمة (جاء).

فكلمة الرسول في النص على إطلاقها يُقصد بها ابتداء الرسول النبي، وتستمر بعد وفاته إلى الرسل العلماء والدعاة والأمراء، وليس مقام الرسالة.

ويمكن أن يأتي الخطاب صريحاً مستخدماً كلمة النبي. قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } (التحريم1)

الخطاب المتعلق بالنبي للتوجيه والتعليم ، لا للتشريع

إن كل خطاب موجه إلى النبي صراحة أو ضمناً، هو خطاب تعليمي، وتوجيهي للأحسن والأفضل، والحل الأمثل للظرف الراهن، وليس تشريعاً. أما الخطاب الذي يبدأ بفعل (**قل**) فينبغي معرفة المقصد من خلال فحوى النص، فإن كان النص متعلقاً بأحكام نحو:

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ } (البقرة222).

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ } (الأنفال1)

فالمخاطب بفعل (**قل**) هو الرسول النبي.

وإن كان فحوى النص توجيهي وتعليمي نحو:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (الإخلاص1). {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } (الناس1) ، {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } (الزمر64) فيكون المخاطب بفعل (**قل**) هو النبي.

وإن جاء الخطاب مستخدماً كلمة الرسول، فدلالة النص إن كانت متعلقة بأحكام، أو بطاعة متصلة مع طاعة الله، فيكون المقصود هو خطاب الرسول النبي (مقام الرسالة).

أما إذا كان متعلقاً بتوجيهات، وتعليمات، أو تكرر بعد فعل الطاعة لله، فالمقصد هو مقام الرسول عموماً الذي يستمر بخطاب كل رسول حي إلى يوم القيامة.

كون **كل نبي رسول، والعكس غير صواب.**

إذاً، استطعنا أن نصل إلى التفريق في الخطابات الإلهية المتعلقة بالرسول، والرسول النبي، وذلك من خلال إقامة جدول نقسمه إلى قسمين، ونضع عنوان للأول الطاعة المتصلة، ونكتب تحته مقام الرسالة (الرسول النبي) . والثاني : الطاعة المنفصلة، ونكتب تحته مقام الرسول وأولي الأمر.

ونستعرض آيات القرآن المتعلقة بطاعة الرسول، ونصنفها حسب الجدول كل واحدة حسب محتوى النص.

طاعة متصلة (مقام الرسالة) الرسول النبي	**طاعة منفصلة (مقام الرسول وأولي الأمر)**
(**أطيعوا** الله والرسول) (ويسألونك عن الأنفال قل) (ويسألونك عن المحيض قل) (من يطع الرسول فقد أطاع الله)	(**أطيعوا** الله و**أطيعوا** الرسول وأولي الأمر منكم)، (قل هو الله أحد) (وما آتاكم الرسول فخذوه..) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك)

هل يوجد وحي تشريعي مُلزم خارج القرآن

سأناقش أهم ثلاث شبهات؛ يعرضها أهل الإسناد في الاستدلال على أن حديث النبي هو وحي تشريعي من الله، وملزم لكل المجتمعات خلال الزمن.

الشبهة الأولى: استدلالهم على نزول الأمر الإلهي باستقبال جهة الشمال في الصلاة خارج النص القرآني، وذلك فهماً من قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } (البقرة144)

وتم نسخ هذا الحكم بالقرءان فيما بعد، وقالوا: هذا دليل على أن النبي كان يوحى إليه أحكاماً شرعية خارج النص القرآني، ما يدل على أن التشريع الإلهي نزل بصورتين : أحدها في القرءان وهي الأساس ، والثانية بواسطة الحديث النبوي، وبالتالي فحديث النبي وحي من الله ملزم لكل المجتمعات خلال الزمن .

والجواب على هذه الشبهة هو، أولاً، ينبغي أن نضبط محل النقاش، والحوار، فنحن لم ننفِ نزول وحي على النبي خارج النص القرآني، وإنما ننفي نزول وحي تشريعي إنساني دائم ملزم خارج النص القرآني، فهل يصح أن يلتزم أحد الآن باستقبال جهة الشمال في صلاته !؟ ولأن الله لم يُرد لهذا الحكم صفة الديمومة والثبات؛ أنزله خارج النص القرآني، وأنزل نَسخَه بالنص القرآني ليعطي للحكم الجديد صفة الثبات والديمومة، ما يؤكد أن كل حكم شرعي دائم ينبغي أن ينزل في القرآن فقط، وما نزل في القرءان لا يصيبه النسخ أبداً، أما التشريع الإلهي الظرفي فقد نزل على النبي خارج النص القرآني لأنه خاص بمعطيات وحيثيات معينة مرتبطة بزمن النبي، ولا يصح الالتزام به بعد اكتمال نزول القرآن، وبالتالي فالقرآن قاضٍ على الحديث النبوي، وحاكم ومهيمن عليه.

هل عموم نطق النبي وحي؟

الشبهة الثانية: استدلالهم بقوله تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم3-4) على أن كل ما ينطقه النبي هو وحي من الله .

إن لفهم النص ينبغي إرجاعه إلى مكانه ضمن سياقه الذي أتى فيه، والتفريق بين كل من (**اللفظ، والقول، والحديث ، والكلام، والنطق**).

اللفظ: هو خروج أصوات من الفم لا معنى لها نحو التأوه والأنين..

القول: هو لفظ ذو معنى ودلالة يخرج من الإنسان.

الحديث: هو قول جديد.

الكلام: هو قول يترك أثراً في سامعه.

النطق: كلمة تدل على القوة الكامنة في الإنسان فيزيولوجياً ونفسياً لاستصدار مجموعة من الأصوات بقانون فيزيائي ضمن نظام معين. ولذلك سُمِّي الإنسان حيواناً ناطقاً.

والإنسان محاسب على أقواله، وليس على ألفاظه{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (ق18)، **إذاً؛ النطق هو عملية آلية واعية يتم استخدامه في الكلام والحديث والقول.**

والنص القرآني المعني بالشرح يتكلم عن مادة الوحي التي يتلوها الرسول على الناس، وليست هي إلاَّ القرآن، وهذا واضح من سياق النص مع النصوص الأخرى، فالرسول ليس له من تدخل في أمر مادة الوحي سوى أن الله يستخدم جهاز نطق الرسول لتلاوة النص القرآني. وهذا دليل على أن النص القرآني من الله مبنى وصياغة لسانية، وبالتالي لا يصح الاستدلال بهذا النص على عموم نطق النبي من كلام، وقول، وحديث لأن ذلك باطل من حيث الواقع، ولا يقول أحد من العقلاء بذلك، فهذه الأمور هي من تأليف النبي، وتفاعله كنبي وبشر. والمقصود بالنص هو كلام، وقول، وحديث الله ﷻ فقط.

هل الذِكر هو حديث النبي، أم القرآن؟

الشبهة الثالثة: استدلالهم بقوله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ۞بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل43-44) على أن كلمة (الذكر) في النص الثاني يقصد بها مادة الحديث النبوي، ما يدل على أنه وحي من الله ، ووظيفته بيان للنص القرآني ، ولا يمكن الاستغناء عنه أبداً.

إن علماء السلف يقتطعون من هذين النصين المترابطين معاً مضموناً، جملة، وهي{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ **إليهم** }و بنوا مفهومهم الأبتر على ذلك.

وقالوا : الذي نزل إلى الناس هو القرآن، فيكون الذكر يقصد به السنة، وبالتالي السنة وحي نزل على محمد ليستخدمها في عملية البيان للقرآن، وعند التطبيق والممارسة لهذا المفهوم، لا يجدون أمامهم سوى مادة الحديث النبوي، فيأخذونه تحت اسم السنة، ويتخبطون بذلك المفهوم، وسبب كل ذلك هو اقتطاع جملة من سياقها، أو أخذ النص دون إرجاعه إلى منظومته.

وظيفة البيان متعلقة بالحديث النبوي ، أم بالقرآن؟

إن أهل الذكر في النص الأول هم أهل الكتاب، والذكر الذي نزل إليهم هو التوراة والإنجيل. أما كلمة الذكر الثانية {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ }فهي القرآن، والذي نزل إليه الذكر هو النبي محمد. وجملة{ مَا نُزِّلَ إليهم} غير عائدة إلى كلمة الذكر التي قبلها مباشرة، وإنما عائدة إلى الذكر السابق الذي نزل للناس. فالنص يحتوي على فِعْلَي نزول.

الأول: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ }والمخاطب به محمد، والذكر الذي نزل إليه هو القرآن، ليقوم بتلاوته على الناس جميعاً.

الثاني: {مَا نُزِّلَ إليهم}وهو فعل نزول إلى الناس سابقاً، وليسوا هم إلاّ أهل الكتاب والذكر الذي نزل إليهم هو التوراة والإنجيل.

ففعلا النزول غير عائدين إلى مادة واحدة، وإنما لكل منهما مادة مستقلة فتكون وظيفة التبيين للرسول{ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ} هي استخدام الذِكر الذي أنزل حديثاً، وليس هو إلاَّ القرآن في عملية التبيين للذكر الذي نزل سابقاً، وليس هو إلاَّ التوراة والإنجيل، ويكون البيان من جراء عرض وتلاوة الذكر الحديث (القرآن) على مسامع أهل الذكر القديم (التوراة، والإنجيل) ليقوموا بتدقيق ذكرهم القديم على موجب الذكر الحديث، فيظهر لهم مواضع التحريف، ويظهر لهم ما قد تم نسخه، أو تعديله بالذكر الحديث، وما تم إقراره واستمراره لصلاحيته. لذلك أنهى الله ﷻ النص بقوله: {وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } .

إذاً، وظيفة البيان، التي يقوم بها الرسول بواسطة الذكر الحديث (القرآن)، إنما هي وظيفة تاريخية لذكر قديم (التوراة والإنجيل)، ليتم تصويب، وتعديل القديم على ضوء الحديث ونوره. هذا تفسير وظيفة التبيان للرسول بالنص السابق، ولا علاقة له بمادة الحديث النبوي إطلاقاً، وبالتالي فاستدلال بعض العلماء بهذه الجملة المقتطعة من النص خطأ فاحش، وينبغي إرجاعها إلى سياقها، وقراءتها وفق النص كاملاً ضمن المنظومة الكلية، **التي تنص على أن القرآن هو بيان بنفسه، ومبين لغيره، لاحظ أن كلمة(مبين) اسم فاعل وهي تدل على تعدي الفعل للغير! والمبين لا يحتاج للإبانة!، فهو بيان ومبين ونور هدى وشفاء لما في الصدور.**

وصفة المبين للقرءان لاتعني أنه سهل الفهم على كل الناس، فهو أشبه بالبيان الذي يأتي مع الأجهزة الإلكترونية(كتلوك) فهو موجه لكل الناس، ولكن الذي يستطيع التعامل معه قلة منهم، ويستعين الناس لفهمه بناس عندهم خبرة، وهذا ليس نقصاً أو غموضاً بالبيان ذاته، وإنما نقص وقصور في إدراك الناس له، فالمشكلة في فهم الناس وليس في البيان.

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (يونس 15)

{هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } (آل عمران 138)

تعليق على مقال: (السنة غير الحديث)

للأستاذ هاني طاهر من جماعة الأحمدية

يتفق الأخ معنا في دور الحديث بالنسبة إلى القرآن، وفي دور السنة إلى حدّ جيد.

فالسنة تطبيق عملي للأوامر القرآنية المجملة كالصلاة والحج. وقد وصلت بالتواتر.

أما الأحاديث فهي أقوال النبي ﷺ التي لا تزيد على ما في القرآن ولا تنسخ آياته ولا تخصصها، بل هي شرح وتفسير وتوضيح لها. ولا ريب أن شرح النبي وتفسيره أفضل من شرح الآخرين. وليس معقولاً أن لا يكون الصحابة قد سألوا النبي ﷺ عن آيات وأحكام قرآنية، وليس من المعقول أن لا يكون قد أجاب، بل لا بد أنه قد شرح وفسر وبيَّن، وقد وصلنا شيء من هذا، ونحترمه ونجلّه ونقدره.

كما وصلنا أحاديث باطلة بيْن هذه الأحاديث الصحيحة. ورأينا أن مدرسة السند ليست دقيقة في حكمها، بل لها أخطاء عدة رغم محاولاتها. وليس يعنينا كثيراً أن نفسر سبب أخطائهم هذه، سياسية كانت أم غير ذلك. المهم هو النتيجة، وهي أننا نملك الآن أحاديث تخالف القرآن وأحاديث لا تخالفه، فالحل هو الغربلة التي لن تضرنا حتى لو أخطأنا أحيانا في الحكم على الحديث، **ما دمنا نؤمن أن ليس للحديث أن يزيد على ما في القرآن، بل هو شرح وتوضيح**.

أما القول أن الرسول لم يكن إلا أداة لنطق القرآن، فهو قول مسيء للنبي، ومثله القول إن أحاديثه ﷺ كالقرآن كما تقول المدرسة السلفية. فالنبي هو تطبيق عملي لما في القرآن، وأقواله وأفعاله لابد من تحرّيها لمعرفتها والتزامها، فهو خير نموذج تطبيقي (كان خلقه القرآن)، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً } الأحزاب(21)

وهذه مسألة بدهية لا ينقضها أي تحليل لغوي لأصل الألفاظ.

ثم ما الفائدة التي يجنيها الكاتب من هذه الدعوى ؟ أليس الأولى به أن يأخذ بقولنا الذي ينزه الرسول ﷺ عن مخالفة القرآن، وفي الوقت ذاته يحترم أقواله ويتبع سنته ويهتدي بهديه؟

النبوة والرسالة:

القضية التي خالفنا فيها الأخ هو في التفريق بين النبي والرسول، رغم أنه عرَّف النبي بالنبي التابع، والرسول بالنبي التشريعي حسب اصطلاحنا الذي لا نفرق فيه بين النبي والرسول وإن كنا نقسمهما قسمين. بمعنى أن النتيجة واحدة، لكن تقسيم السيد سامر يصطدم بآيات قرآنية واضحة ساوت بين الرسول والنبي، وهو لم يجد لها حلاً. وهذه أهمها:

1- قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ } (سورة البقرة: 214).

فالواضح أن الأنبياء ينزل الله معهم كتاباً، سواء أنزل عليهم أم كان قد نزل على نبي سابق لهم.

2- قوله تعالى{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً } (سورة النساء: 166).

لقد جاءت هذه الآية مباشرة بعد ذكر مجموعة من أنبياء بني إسرائيل وغيرهم، وقد كان بعض هؤلاء أنبياء تشريعيين، وكان بعضهم أنبياء تابعين. وبعضهم أوتي كتاباً، وبعضهم لم ينزل عليه كتاب. وسمي هؤلاء جميعًا رسلاً.

أمّا الآيات التي سبقت هذه الآية فهي قوله تعالى{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ۞وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ۞رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً } (سورة النساء: 164-166).

3- قوله تعالى{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ} (البقرة: 88 ولا خلاف في أن الأنبياء الذين أُرسلوا إلى بني إسرائيل من بعد موسى لم تكن معهم شريعة، بل كانوا تابعين لشريعة موسى عليه السلام، وحيث إن الله تعالى سمّاهم رسلاً، فلا بدّ أن يكون المبعوث من عند الله رسولاً حتى لو كان تابعًا، لذا فكل نبي رسول.

4- وصف الله تعالى نبيّه إسماعيل عليه السلام بأنه رسول نبيّ رغم أنه لم يؤت شريعة من عنده سبحانه وتعالى. قال تعالى{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً} (سورة مريم: 55).

أولو العزم:

أما تحديد أولي العزم من الرسل بخمسة أنبياء فلا أرى دليلاً عليه، بل الأنبياء جميعاً هم أولو عزم وأصحاب عزيمة.

هل يُقتل النبي؟

التفريق بين النبي صاحب الشريعة وبين النبي التابع من حيث إمكانية القتل لا دليل عليه، بل إن الله تعالى قد توعد المتقوّل عليه بالقتل، أما النبي – سواء أكان تشريعياً أم تابعاً- فلم تتطرق له الآيات.

لكن العقل يوجب أن يكمل النبي مهمته قبل موته، لذا؛ لا يمكن أن يُقتل قبل إكمال المهمة. والنبي له مهمة عظيمة، سواء أكان تشريعياً أم تابعاً، رغم أن مهمة النبي التشريعي أعظم.

ولا بد من الاعتراف أن عدم قتل أي إنسان قد نسب أقوالاً بحرفيتها إلى الله تعالى لهو دليل على صدقه. أما أن يدعي بعض الرؤى أو أن يفهم أنه مهدي أو أنه رسول الله من خلال أوهام، فهذا لم يتوعد الله تعالى بقتله، لأنه لم يتقول عليه. فبولس لم يتقول على الله؛ فكل ما قاله هو رؤيا ادعى فيها أن المسيح قد تجلّى له، فهو لم ينسب إلى الله شيئاً. بل أقصى ما يقال فيه أنه اخترع رؤيا. وهذه الرؤيا لا يُلزم أحد بتصديقها. والباب لم يتقول على الله، بل رأى أنه

الباب للإمام المهدي، أي المقدمة. والبهاء لم يدع النبوة ولا الرسالة قط، بل تكلم بطريقة صوفية غريبة علينا، ولكن الذي يهمنا أنه لم يقل إني رسول الله بالمرة، ولم ينسب إلى الله كلامه.

أما حضرة ميرزا غلام أحمد عليه السلام فقد نسب إلى الله تعالى أقوالا كثيرة جداً، جداً، وأقسم على ذلك مرات عديدة جداً، وباهل الخصوم على دعواه مراراً، ودعا الله أن يهلكه إن كان كاذباً في نسبة هذه الأقوال إلى الله تعالى، وأعلن أن الله تعالى أيده بمعجزات مثل الخسوف والكسوف والطاعون، وتعلُّم اللغة العربية في ليلة واحدة، ونَسَب إلى الله تعالى خطبة تزيد عن عشر صفحات، وغير ذلك كثير، كثير..، فالقرآن يوجب قتله إن كان كاذباً في دعواه، وحيث إنه لم يُقتل فهو دليل دامغ على صدقه.

واستثناء الأخ الكاتب نبي الله عيسى عليه السلام، وقوله إنه (قد صار بمقام الرسول صاحب الرسالة وأخذ حكمهم من حيث الحفظ والعصمة عن القتل.) فلا أرى أي دليل عليه. بل يوحي أن الكاتب يُشكل الفكرة قبل أن ينظر في الأدلة، ثم يُجيّر الأدلة لصالحها.

هاني طاهر 17-9-2007

رد إسلامبولي على هاني طاهر

الأستاذ هاني طاهر المحترم

تحية طيبة وبعد .

بما أنك نفيت عن الحديث النبوي صفة الحفظ والاستمرار ، فكفى الله المؤمنين القتال، كيف تطلب مني الاستدلال بمادة ظنية، مادة أصابها التحريف والاندثار،والزيادة والنقصان، وينتفي عنها صفة الوحي التشريعي الملزم ، وغير قائمة بذاتها وتحتاج غيرها لكي يعطيها مصداقية .

حضرتك قلتَ : (ليس للحديث أن يزيد على ما في القرآن، بل هو شرح وتوضيح) .

إذاً ، لا نحتاج لمادة الحديث النبوي، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، وربط خطابه بمحله من الواقع ، وقد حفظه الله للناس إلى يوم الدين، وهو الذي يُبيّن الحديث أو السنة لا العكس.

أما استنكارك لقولي : (إن الرسول لم يكن إلا أداة نطق للقرآن)

لقد ذكرتُ أن نبوة محمد لقومه، دعوة، وتعليماً، وقيادة ، والعمل على تزكيتهم .

أما مقام الرسول المتمثل بالرسالة، فهو للناس جميعاً ، ومحصور في عملية التبليغ {وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ }الرعد40 {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (النور54) ، **فصار الرسول بالنسبة لتلاوة النص القرآني أداة نطق فقط ، لا يزيد فيه أو ينقص**) .

لذا، لا قيمة البتة عن الدفاع عن الحديث، ووصفه بكذا؛ وكذا ، ووجوب الأخذ به وتقديسه ....الخ ، وعملياً نقول : **إنه مادة أصابها التحريف ، وهو ليس بوحي تشريعي ملزم ، والقرآن مستغن عنه ....الخ**، فهذا تهويل وتناقض غير مبرر .

وما أقوله ليس دعوى لإهمال الحديث النبوي ، أو عدم احترامه ، وإنما لتحجيم التعامل معه ، ووضعه في مكانه المناسب ، والتعامل معه وَفق رؤية قرآنية علمية واقعية، ورفض مقولة ما أحوج القرآن للحديث، ولولا الحديث لهلك القرآن، وأمثال هذه المقولات الضيزى .

أما موضوع قتل الأنبياء (الرسل التابعة) وعصمة الرسل القائدة .

فالبرهان عقلي، ونقلي وهو الظاهر من قوله تعالى في أخذ الميثاق الغليظ من خمسة أنبياء فقط المذكورين بالنص، و ما ذكرته حضرتك ، فالرسول القائد يحمل رسالة لابُد من توصيلها وإكمالها، أما الرسل التابعة فلا يوجد معهم رسالة إلهية، وإنما رسالتهم دَعوية تعليمية مرتبطة برسالة سابقة . وعملياً قد تم قتل مجموعة من الأنبياء كما ذُكر في القرآن .

أما عصمة النبي عيسى عليه السلام عن القتل ، فبرهانه الرسالة التي نزلت عليه، فهو رسول قائد، وليس رسولاً تابعاً . رغم أن الرسل كلهم يتبعون بعضهم في الثوابت .

فكل الأنبياء هم رسل بالمعنى العام، كونهم مكلفون جميعاً بالدعوة، والتعليم، والتزكية للناس ، وكل الأنبياء رسلاً ضرورة ، فمقام النبوة أعظم من مقام الرسالة، ولكن يوجد تفريق بين نوعين من الرسل ، وهذا واضح من خلال جمع آيات القرآن، وهو مقام **الرسول القائد** الذي تمثل بالنبي موسى عليه السلام، **ومقام الرسول التابع** الذي تمثل بالنبي هارون، ومن خلال هذا التفريق نقول :

كل نبي رسول، والعكس غير صواب، ونقصد بالرسول، الرسول القائد والتابع .

أمّا توعد الله بقتل الإنسان الذي يَتَقوّل عليه ، فهذا ليس على إطلاقه ، فالنص خطاب متعلق بالنبي محمد{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ } (الحاقة 44-45) ولم يأت النص (ومن يتقول علينا)، فهو خاص للإنسان الذي اصطفاه الله لرسالته ، وثبتت نبوته بالبرهان ، فهذا الإنسان العظيم، لن يتقول على الله عز وجل، ويمنعه عن ذلك إيمانه، وعلمه،

وخشيته من الله، مع قدرته على التقوّل، كونه إنساناً يملك إرادة حرة، فنزل النص القرآني ليعطي مصداقية، وتوثيقاً لما يقوله هذا النبي، وينسبه إلى الله ليطمئن الناس في التعامل معه.

ولا يوجد في النص دلالة على أن التهديد عام لكل من يدَّعي النبوة، ويفتري على الله، فمعرفة كذبه، وبطلان دعوته، تُرك لتفاعل الناس عقلاً، وتفكيراً من خلال السمع والبصر والفؤاد .

أما البَهاء، فقد ادّعى النبوة، والرسالة المستقلة عن الإسلام، ويوجد عنده وحي خاص. راجع موقع البهّائيين على النت .

أما ملاحظتك الأخيرة، فهي وجهة نظرك، لا محل لها من الإعراب وهي قولك : (بل يوحي أن الكاتب يُشَكّل الفكرة قبل أن ينظر في الأدلة، ثم يُجيّر الأدلة لصالحها).

وتقبل تحياتي العربية ،

وكل عام وأنتم بخير،

سامر

نقاش رأي د. محمد شحرور
في إباحته للعلاقة الجنسية بين العُزّاب

إن الموضوع على درجة من الأهمية ، والخطورة، وذلك لتعلقه بنمط حياة الشباب من النوعين (الذكر والأنثى)، لاسيما بالانفتاح الإعلامي المرئي على العالم كله، والموضوع بحاجة إلى دراسة قرآنية جديدة ، وضبط المفاهيم التي استخدمها القرآن ، مع أخذ العلم أن الخطاب القرآني خطاب لكل الناس مع اختلاف عامل الزمان والمكان، ما يدل على أن التشريع القرآني تشريع إنساني حدودي، وبالتالي لا يُعَوَّل على عدم قَبول ثقافة معينة لصورة من صور النكاح المتضمنة في النص القرآني، لأن هذه الصورة ليست للإلزام، وإنما هي مجال للتحرك، واختيار الحل المناسب للظرف المعين، فمن الطبيعي أن يرفض مجتمع ما؛ صورة للنكاح حسب ثقافته ، وهذا حقه ، ولكن ينبغي أن لا يَعُدَّ ذلك حكم الله في المسألة، وبالتالي لا يحق له أن يُنكر على مجتمع آخر ارتأى صورة أخرى للنكاح، فالحكم الإلهي أتى حصراً في القرآن، وكل ما هو خارج النص القرآني هو رأي غير ملزم لأحد ، إلا في حال تبنته الدولة ، فيصير قانوناً يُلزم الإنسان الذي يحمل التابعية للدولة ، ولا يُعطى لهذا الاختيار صفة الحكم الإلهي (الحرام أو الواجب الديني) ، وممارسة النكاح بين الذكر والأنثى هو أصل فطري لإشباع غريزة النوع.

لذا؛ لم يتعرض الدين إلى حكم إباحته لأنه تحصيل حاصل، وإنما تعرض لوضع نظام ينظم إشباع الغريزة ، اعتماداً على أن الإنسان جعله الله في مقام الخلافة في الأرض ؛ ليستعمرها بالصلاح والخير، وهذا يقتضي مفهوم التسخير لكل مقومات الحياة له ليستخدمها في مهمته، ومفهوم الخلافة والتسخير قائمان على العقل والحرية عند الإنسان ، وهذا يقتضي المسؤولية والحساب ، ومن هذه المفاهيم كلها؛ تم الوصول إلى قاعدة تشريعية إلهية أساسية وهي (الأصل في الأشياء الإباحة إلا النص)، فالحرام بحاجة إلى نص إلهي يحدده، بخلاف المباح ، فهو لا يحتاج إلى نص يبيحه ، لأنه يندرج تحت الأصل ، وبمعنى آخر، الحرام مقيد بالنص عيناً أو ما يدل عليه، والحلال مطلق، وترك الشارع للمجتمع الإنساني أن ينظم ممارسة المباح على أرض الواقع، ومن هذا الوجه ، قيل: لا يطبق المباح إلا مُنَظَّماً ، لأن عدم تنظيم ممارسة المباح يؤدي إلى تضارب مصالح الناس ، والإضرار بهم .

التوثيق واجب في النكاح

لنر الآن هل أطلق الشارع في القرآن ممارسة النكاح، أو قيده بصورة معينة؟ أول أمر نراه في النص القرآني ، هو اهتمامه بالأسرة والمحارم ، والعلاقات بينهم ، وجعل ذلك مقصداً للتشريع، وعلة له ، فَنَصَّ على تحريم نكاح المحارم، وبعض العلاقات التي أُلحقت بهم ، مثل زوجة الأب ، وأعطى صورة أخرى حكم التحريم المؤقت، مثل الجمع بين الأختين في نكاح واحد، وهذه المسائل معروفة في كتب الفقه ، وخارج هذه العلاقات تركها الشارع للأصل، الذي هو الإباحة، ولكن لم يتركها لهوى الناس ، وإنما وضع لها أحكاماً ليتقيد الإنسان بها، ويُنظم عملية إشباع شهوة الجنس في المجتمع .

أول حكم نلاحظه في تنظيم هذا الإشباع الجنسي ، هو أن يكون ذلك تحت حماية المجتمع الذي ينتمي إليه الإنسان، وذلك لحفظ حقوق المرأة ، وحمايتها ، وحفظ ما يترتب على هذه العلاقة من أولاد، أو تأثير أخلاقي على المجتمع، فعقد نكاح الذكر على الأنثى ليس مجرد عقد عادي كمثل عقود البيع، حيث يتم ذلك بين اثنين فقط تلاقت إرادتهما على الإيجاب والقَبول دون الحاجة إلى شهود ، لأن البيع يتم من خلال الاستلام للشيء ، وتسليم ثمنه ، وكل واحد يذهب في حال سبيله ، وعلى افتراض وقوع غبن أو خطأ في عملية البيع، فنتيجة ذلك لا تتجاوز الاثنين مع إمكانية الإصلاح ، بخلاف عقد النكاح ، فهو عقد اجتماعي يؤثر نجاحه أو فشله على المجتمع إيجاباً أو سلباً، فهو غير محصور بين اثنين، كما أنه يتعلق بالإنسان نفسه، لا بالأشياء .

والشارع أشار إلى هذا المقصد الاجتماعي ، وأوجب أن يكون العقد بإشراف المجتمع وحمايته، وأي عقد للنكاح لا يحميه المجتمع بقانونه وثقافته فهو عقد فاسد، وهذا غير العقد الباطل المتعلق بالحرام أصلاً ، مثل نكاح المحارم ، فهذا حرام سواء رضي المجتمع به أم لم يرض، ولا يخضع هذا النكاح لتصويت مجلس النواب، أو البرلمان، أو الأكثرية .

انظر إلى قوله تعالى : { فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ }(النساء25)

{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً } (النساء35)

{ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ } (الطلاق 2)

{وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ} (النساء15)

{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ } (النور4)

فهذه النصوص صريحة في جعل عقد النكاح، أو نقضه تحت حماية المجتمع وإشرافه، وهذا يؤكد وجوب حماية المجتمع قانوناً وثقافة في عقد النكاح بصورتيه: الدائم،وملك اليمين، وما ينبغي أن يكون عقد النكاح مثل عقد البيع أبداً .

فما هي أحكام النكاح التي حددها الشارع ؟

إنّ الدارس لنصوص القرآن يجد أن النكاح له صورتين فقط ، وهما :

الزواج الدائم ، **وملك اليمين،** اقرأ قوله تعالى :

{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۞الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ۞وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُّعْرِضُونَ۞وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ۞وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ۞إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ۞فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} (المؤمنون 1-7).

وهاتان الصورتان يجتمعان في أحكام ، ويختلفان في أخرى، ولكن قبل أن نذكر ذلك لابد من تعريف ملك اليمين .

مفهوم ملك اليمين

إن الاختلاف في المجتمع، وتفضيل طبقة على أخرى بالمال، والعمل، والثقافة، والقوة سنَّة من سُنن الله ﷻ في بُنية المجتمعات، ونشوئها، وذلك كي يتمَّ التكامل والتبادل للمنافع والتسخير، ومن ثمَّ؛ إلى التقدّم والتطوّر، قال تعالى:

{وَاللّهُ فَضّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىَ بَعْضٍ فِي الْرّزْقِ فَمَا الّذِينَ فُضّلُواْ بِرَآدّي رِزْقِهِمْ عَلَىَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ } (النحل 71)

{انظُرْ كَيْفَ فَضّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ } (الاسراء21)

{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لّيَتّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبّكَ خَيْرٌ مّمّا يَجْمَعُونَ } (الزخرف32)

وليس هذا التفضيل بين الناس قدراً إلهياً حتمياً، متعلّقاً بزيد أو عَمرو كأفراد، وإنما هو قدر إلهي اجتماعي اكتسابي، والإنسان قادر على تغيير قَيْدَره بالجدّ والعمل والدراسة، والانتقال إلى قدر الله الإيجابي، من خلال دفع القدر السلبي بالقدر الإيجابي (**نفرُّ من قَدَر الله إلى قَدَر الله**)، مع استمرار وجود القَدَر بثنائيته في المجتمع، بصفته الاجتماعية، وليست الفردية.

فالإنسان يستطيع أن يدفع عنه قَدَرَ الفقر بقَدَر الغنى، من خلال الأَخْذ بوسائل الغنى نحو العمل والجدّ والتخطيط والطموح والصبر لتحقيق الهدف، وهكذا قَدَر المرض، وقَدَر عدم العلم والمعرفة، وقَدَر الضعف الاجتماعي.... الخ، يقوم الإنسان بدَفعها بأقدار الخير؛ للوصول إلى النتائج الإيجابية، ومن ذلك قيل: ندفع أقدار الحقّ بالحقّ، للوصول إلى الحقّ.

إذاً؛ المجتمع مؤلّف من طبقات متفاوتة في المال، والعمل، والثقافة، والمقام الاجتماعي، ضرورة حياتية لاستمرار المعيشة، وحصول التقدّم والتطوّر، فالمجتمع فيه طبقة قيادية، وطبقة انقيادية تابعة للأولى في أمور حياتها؛ يقومان على قانون التفضيل ، والتسخير، والدفع، اقرأ قوله تعالى: {وَاللّهُ فَضّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىَ بَعْضٍ فِي الْرّزْقِ} (النحل 71)

{ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (الزخرف32)

{وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } الحج(40)، فكان من الطبيعي أن يوجد نظام يحدّد العلاقة بين مختلف الطبقات، كلّ حسب مقامه الاجتماعي: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }الزمر(9) ومن هذه الفروقات في المجتمع نشأ الفَرْق في الأحكام بينهم من حيثُ العلاج والعقوبات. مثلاً؛ المرأة الضعيفة الفاقدة للحصانة الاجتماعية إنْ زنت، جعل الله عقابها نصف عذاب المرأة المتمتّعة بالحصانة الاجتماعية، قال تعالى : { **فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ** } (النساء 25) فالشارع اعتمد في تشريعه على معطيات الواقع، وحيثياته، وهذا لتحقيق العدل الإلهي في المجتمعات الإنسانية.

ومن الفروقات الموجودة في المجتمع بعلاقاته مع بعضه علاقة النكاح بين أفراد الطبقات، نشأ ما يُسمّى بنكاح ملك اليمين، وملك اليمين في المجتمع هو الطبقة التابعة في أمور حياتها المعيشية للطبقة الفاعلة والقائدة، فهي طبقة فقيرة لا تملك زمام أمور نفسها، وهي تعيش ضمن دائرة الطبقة الأقوى.

فماذا تعني صفة الملْكِّية، ومُلك اليمين؟

إن صفة الملكية في الواقع تتحقّق في صفة حقّ حرية التصرّف بالشيء، نحو البيع والشراء، أو الهبة والعطاء، وتتحقّق بصفة حقّ الانتفاع بالشيء فقط، دون حقّ حرية التصرّف به، نحو عملية استئجار البيت، فالمستأجر له حقّ الانتفاع فقط، ولا يملك حقّ حرية التصرّف في البيت بيعاً وشراء، أو تغيير مواصفاته.

وإذا مَلَكَ الإنسان حقّ حرية التصرّف بالشيء، فمن باب أولى أن يملك حقّ الانتفاع به، والعكس غير صواب، فَمَنْ يملك حقّ الانتفاع لا يُشترط له أن يملك حقّ حرية التصرّف به. هذا هو المقصد من كلمة ملك اليمين في الواقع المعيشي، وقد تحقّق هذا المفهوم (ملك اليمين)

في التاريخ بصور اجتماعية كثيرة؛ مثل العمال، والمزارعين، والمستخدمين، فقد تحقّقت فيهم صفة حقّ الانتفاع بخدماتهم، وجهدهم، دون حقّ حرية التصرّف بهم بيعاً وشراءً.

وتحقّق -أيضاً - بصورة الرقّ نتيجة الحروب، وللحصول على اليد العاملة مجاناً، ولكنْ بظهور صفة حقّ حرية التصرّف بهم بيعاً وشراءً، التي نتج عنها حقّ الانتفاع بهم خدمة وعملاً، فظهر في التاريخ مسألة العبودية، نتيجة الظلم والجشع، وصار الإنسان مُلك يمين يُباع ويُشترى مثل الأمتعة والأشياء، وَفَقَدَ الحصانة الاجتماعية، ***فهذا النظام العبودي لم يضعه الخالق، ولم يُشرّعه، وإنما الذي وضعه المجتمع الظالم المستعبد للإنسان، والشارعُ إنما وضع نظاماً متوافقاً مع بنية المجتمع من حيث اختلاف طبقاته وتفضيل بعضهم على بعض؛ فكان ذلك تحت اسم نظام ملك اليمين، الذي تناول نظام الرّق ضمناً، كونه مُمارَساً على أرض الواقع بأدنى صوره، وصفة الملكية مُتحقِّقةً من حيث حقّ حرية التصرّف بالشيء، فقام بتجفيف هذه الصورة الهابطة، من نظام ملك اليمين؛ لتصادمها مع حرية الإنسان، وكرامته،*** واستمرت صورة حقّ الانتفاع بخدمة ملك اليمين وعملهم وجهدهم ، كونها صورة إنسانية طبيعية في المجتمعات، ومن الأمور المتعلّقة بملك اليمين التي تناولها الشارع مسألة النكاح لهم، فذكر بعض الصور التي كانت تُمارَس، أو أكثرها ممارسة علاج لمشكلة اجتماعية متعلّقة بالرجل من جانب، وبالمرأة من جانب آخر، فقام الشارعُ بحلِّ المشكلتَيْن مع بعضهما بوقت واحد؛ حيث طلب من الرجل - لحلِّ مشكلته - أن يحلَّ مقابلها مشكلة المرأة، وهذا توجيه ربَّاني لطريقة حلول المشاكل الاجتماعية، ومنع صفة الأنانية، والاستفادة لطرف على حساب طرف آخر، فالمنفعة للجميع، سواء بسواء.

الأحكام المشتركة بين الزواج الدائم ، ونكاح ملك اليمين

1- **تحريم نكاح المحارم ولو كانوا من ملك اليمين،** لأن نص تحريم نكاح المحارم عام، وأصل غير قابل للاستثناء أبداً ، ويسري مفعوله على صورتي النكاح .

2- **تحريم نكاح المرأة المحصنة بالزواج ولو كانت من ملك اليمين** ، قال تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً۞وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَآءِ إِلاَّ مَا مَلَكْتَ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً } (النساء23-24) .

والمحصنات في النص، هن المتزوجات ، والاستثناء يعود إلى بداية النص {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ } ، ولا يعود إلى جملة { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَآءِ}، ومن باب أولى؛ أن لا يعود إلى المحارم أيضاً .

قيل لأحد الفقهاء: إن الرجل يكون في ملك يمينه ذكوراً ، فهل يباح أن ينكحهم ؟

فقال: ويوجد أيضاً في ملك يمينه حميراً ، فهل يجوز أن ينكحهم !؟

إن الشارع عندما يتكلم، يوجه خطابه إلى كائن حي عاقل ، ومطلوب من المخاطب أن يتفاعل مع الخطاب ، ويقوم بعملية تقاطع نصوص التشريع مع بعضها،وفهم مقاصدها، وعدم الوقوع في التعضية لها، فالنص التشريعي منظومة متكاملة ينبغي أن تنسجم مع بعضها وينبغي استحضارها كلها لفهم المسألة الجزئية مع إسقاطها على محلها من الخطاب (الواقع).

3 - **وجوب وجود عقد نكاح مُوثق، ومَحمي بقانون المجتمع وثقافته .**

فالزواج الدائم المعروف لا خلاف فيه بين كل المجتمعات الإنسانية على مختلف الثقافات ، أما نكاح ملك اليمين فهو محل اختلاف بين الثقافات والقوانين ، فينبغي الالتزام بقانون المجتمع وثقافته الذي ننتمي إليه ، ونعيش فيه ، وذلك بشرط أن يكون ضمن صور نكاح ملك اليمين التي أباحها الشارع .

4- يحمل الأولاد اسم والدهم وجوباً ، ويكلف بالنفقة عليهم .

أهم الأحكام المختلفة بين الزواج الدائم ، ونكاح ملك اليمين

1- الزواج الدائم يترتب عليه أحكام المواريث، أما نكاح ملك اليمين فلا ميراث له.

2- الزواج الدائم يقوم على الميثاق الغليظ ، والرابطة المقدسة ، بخلاف نكاح ملك اليمين فلا ميثاق له ، ولا يقوم على رابطة مقدسة .

3- يباح تعدد نكاح النساء بالزواج الدائم ، بينما يحرم التعدد على الرجل أو المرأة في نكاح ملك اليمين ، فهو خاص للعُزّاب.

4 - الزواج الدائم يُنقض بمشروع الطلاق،بينما يُنقض نكاح ملك اليمين بانتهاء الأجل .

5- يتعلق استمرار الزواج الدائم بإرادة الطرفين ، بينما يتعلق نكاح ملك اليمين بالمدة الزمنية المتفق عليها في العقد، مع العلم أن العقد يمكن تجديده برضا الطرفين .

6- الزواج الدائم أصل في المجتمع ونواة له ، أما نكاح ملك اليمين فهو علاج ظرفي استثنائي للطرفين ، وليس أصلاً .

7- يحرم اجتماع الزواج الدائم ، ونكاح ملك اليمين معاً في وقت واحد ، فوجود أحدهما يمنع الآخر وجوباً ، انظر إلى قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ۞إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ۞فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}المؤمنون (5-7)، وكلمة (أو) تدل على التخيير، وليس على التعداد أو التقسيم .

8- عدة المطلقة ثلاثة قروء (حيضات) ، بينما عدة المرأة من ملك اليمين حيضة واحدة لاستبراء رحمها ، أو التأكد من ذلك بواسطة الأدوات العلمية المخبرية .

9- الزواج الدائم له صَداق (المهر) وجوباً كحق للمرأة ، بينما نكاح ملك اليمين له أجر.

10- غاية الزواج الدائم الاستقرار، والإحصان، والسكن، وتأسيس أسرة ، بينما غاية نكاح ملك اليمين هو الإحصان للرجل، والأجر للمرأة، وقد يتعاكسا حسب الظروف، أو يشتركا في الغاية.

خلاصة أحكام نكاح ملك اليمين

1- الدافع هو الإحصان ، أو الأجر .

2- هذا النكاح خاص للعُزّاب فقط من الطرفين .

3- يحرم التعدد في نكاح ملك اليمين .

4- أن يكون العقد بينهما مُوَثّقاً ومَحمياً من المجتمع ثقافة وقانوناً .

5- أن تكون المدة الزمنية تحقق الإحصان ، وبالتالي يَحرم نكاح ملك اليمين لمدة قصيرة ، ولاسيما اللحظة أو اليوم الواحد، { وَأُحِلّ لَكُمْ مّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُمْ مّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} النساء(24)، { ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ} النساء (25).

6- يحرم على الطرفين السفاح، الذي هو الانتقال من نكاح إلى آخر، لأن ذلك ينقض الدافع له، الذي هو الإحصان أو الأجر ، ويصير دعارة (زنى) .

7- ينتهي مفعول نكاح ملك اليمين بمجرد انقضاء الوقت المتفق عليه في العقد .

8- عدة نكاح ملك اليمين حيضة واحدة لاستبراء الرحم، أو التأكد من ذلك بواسطة الأدوات العلمية المخبرية .

9- العلاقة في نكاح ملك اليمين خاضعة لبنود الاتفاق بينهما .

10- حض الشارع على الصبر وعدم ممارسة هذا النكاح، {ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ} النساء (25).

تعريف الفاحشة و الزنى

قبل أن نعرف كُلاًّ منهما ينبغي الانتباه إلى مسألة مهمة ، وهي أن حكم التحريم تعلق بالفاحشة ، { وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } (الأنعام 151)،بينما العقوبة تعلقت بالزنى ، {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} النور(2) ، والخيانة في العلاقة الجنسية الزوجية لكلا الطرفين، {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ۞وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ۞وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ } (النور 6 -8).

الفاحشة : كلمة تدل على كل عمل أو سلوك قبيح أو مُخل بالآداب العامة والقيم .

والنص القرآني استخدمها بهذه الصور:

1-سلوك قبيح : قال تعالى : { وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً } (النساء22).

2- **إتيان الإناث لبعضهن (السحاق)** : وهي علاقة جنسية مثلية بين أنثى وأنثى ، {وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً} (النساء15).

3 – **إتيان الذكور**: وهي علاقة جنسية مثلية بين ذكر وذكر، {وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً} (النساء16)

4-**علاقة جنسية بين عازبين** (ذكر وأنثى) دون عقد موثق اجتماعياً يشملهما النص السابق بعموم دلالة كلمة (الفاحشة) ، فالأنثى يتم الإشهاد عليها ، فإن شهد أربعة يعرفونها، وهذه دلالة كلمة (منكم) يتم تقليص حركتها الاجتماعية إلى الحد الأدنى، وبرفقة من يحميها إلى أن تتزوج، أو ينصلح حالها، أو يأتي أجلها ، أما الذكر فيتعرض إلى عقوبة مؤذية نفسية، أو مادية يحددها المجتمع، حتى يتوب وينصلح حاله، أويُصلح ما أفسد، فيتم الإعراض عنه ، ويُترك حراً .

ويندرج تحت مفهوم الفاحشة كل عمل مُخل بالآداب العامة والقيم، التي تصدر من الذكر أو الأنثى في المجتمع، فَيُعَرِّض نفسه للعقوبة التي يراها المجتمع رادعة بشرط أن لاتصل إلى القتل ، أو حد الزنى (مئة جلدة).

5-الخيانة الزوجية: قال تعالى : { وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللّهِ إِنّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ } (النور 8)، ومحل الشاهد هو كلمة (العذاب) التي ترجع في دلالتها إلى حد عقوبة الزنى مئة جلدة ، فالمرأة أو الرجل إن مارسا الفاحشة (الخيانة الزوجية) وأثبت أحدهما ذلك من خلال الشهود الأربعة ، يُقام على الخائن منهما عقوبة مئة جلدة ، ويتم التفريق بينهما ، وتسقط حقوقه الزوجية والمالية .

الزنى : كلمة تدل على وجود طاقة داخلية تدفع الإنسان (الذكر أو الأنثى) إلى ممارسة العلاقة الجنسية بصورة دائمة ومتنقلة من جهة إلى أخرى (دعارة)، حيث يشتهر عنه ذلك السلوك، ويُعرف في وسطه الاجتماعي، ويوصف به (الزاني أو الزانية)، أما إن مارس الزنى (الإشباع الجنسي من خلال دُور الدعارة) دون امتهان ذلك أو الإدمان عليه، لا يكتسب اسم الفاعل (الزاني)، وإنما يُقال : إنه يمارس الزنى كفعل، وبالتالي لا يُطبق عليه حد الزاني، وإنما يُطبق عليه عقوبة رادعة مؤذية يختارها المجتمع، وإن كان متزوجاً ، يُطبق عليه حد الخيانة الزوجية.

فالزنى هو فاحشة ، والعكس غير صواب، وحد الزاني(الدعارة) يُطبق كما أتى في النص بصرف النظر عن مكانة المرأة أو الرجل اجتماعياً ، وإن كانت المرأة متزوجة أو الرجل ، ومارسا الزنى فيُطبق عليهما حد الخيانة الزوجية حسب مكانتهم الاجتماعية (50-100-200) ، ويُضاف لها حد الزاني مئة جلدة مع إشهار ذلك اجتماعياً .

لذا ؛ العلاقة الجنسية بين العُزّاب (ذكر وأنثى) دون عقد مُوَثق اجتماعياً ، أو بحده الأدنى على صعيد أسرة المرأة، هي فاحشة ، والزواج الذي يقوم به الرجل المتزوج تحت اسم زواج المسيار أو غيره من الأسماء ، هو فاحشة تحت الغطاء الشرعي ، بمعنى آخر فاحشة مُقَنّنة يحميها المجتمع ، لأن المقصد من الزواج الدائم انتفى، وصار النكاح من حيث الواقع هو نكاح مأجور، الذي يُسمى نكاح المتعة، وهذا النكاح يحرم على المتزوج، لأنه مُحصن، ومَنع هذا

النوع من النكاح (المسيار) مُناط بثقافة المجتمع و وعيه، لا علاقة للقانون به ، لأن القانون يتعلق بالشكل والظاهر، ولا يستطيع أن يتعلق بالمضمون أبداً ، والرجل المتزوج الذي يريد أن يتزوج من أخرى بنية الطلاق المبيتة سابقاً ، ولا يريد من الزواج الثاني إلا المتعة المؤقتة فقط ، يكون رجلاً كاذباً في علاقته الاجتماعية، وغاشّاً للمرأة وأهلها، ويكون قد وقع بالفاحشة والخيانة الزوجية، وإن كانت المرأة أو أهلها يعلمون ذلك مسبقاً ، فهم شركاء في الاحتيال على القانون ، وشركاء في الإثم ، لأنهم قاموا بتسهيل ممارسة الفاحشة ، وهذا بخلاف الرجل العازب إن أراد الزواج الدائم ؛ ولكن بشرط عدم تأمين السكن أو النفقة حالياً لمدة تطول أو تقصر ؛ (المسلمون عند شروطهم ، والعقد شريعة المتعاقدين)، فهذا زواج مشروع ولا غبار عليه ، ويمكن مع الزمن أن تزول هذه الموانع ويؤسس بيتاً وأسرة [1]

{ إِنّ الّذِينَ يُحِبّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الّذِينَ آمَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدّنْيَا والآخرة وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } (النور19)

(1) للتوسع في الموضوع راجع كتابي (المرأة –مفاهيم ينبغي أن تصحح) ، وكتابي (القرآن من الهجر إلى التفعيل)

الخنزير صفة أم اسم حيوان

القرآن قد ذكر اسم مجموعة من الحيوانات،نحو الحمار {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }الجمعة5 ، والبقرة، {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ }البقرة67، والكلب {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }الأعراف176 وبالتالي فلا مانع من ذكر اسم حيوان معين، والسؤال المعروض هو: هل ذكر القرآن كلمة الخنزير اسم حيوان أو صفة للخنزرة أو كلاهما ؟

بداية ينبغي أن نعرف أن حيوان الخنزير معروف قبل نزول القرآن ، وورد اسمه في كتب النصارى القديمة، وكان يُطلق عليه اسم الخنزير، ونزل النص القرآني وذكره{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ } (المائدة60)، فالقردة حيوانات معروفة، وكذلك الخنازير، فهذا النص صريح في أن كلمة خنزير تُطلق على حيوان معين ، ومعروف من قبل الناس ، أما عملية الجعل لمجموعة من الناس قردة ، وخنازير التي حصلت ، وما زالت تحصل، فهي لا شك بأنها للوظائف أو الطباع، وهذا دلالة كلمة (جعل) التي تدل على تغير في الصيرورة ، انظر إلى قوله تعالى لإبراهيم:

{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } البقرة (124)، فعملية الجعل توجهت نحو الصفة ، لا نحو الصورة ، فإبراهيم مازالت صورته البشرية كما هي ، ولكن صار إماماً للناس ، ولمعرفة عملية الجعل التي تمت لهؤلاء ، يقتضي دراسة وظائف وطباع القردة والخنازير سلوكاً أو وظيفة ، وملاحظته في سلوك البشر، وكيف صاروا قردة وخنازير من حيث المضمون؛ مع محافظتهم على الصورة البشرية ظاهراً .

إذاً ، الخنزير كلمة تُطلق على حيوان معين لتحقق صفة الخنزرة فيه، **لأن كلمات اللسان العربي مرتبطة بمحل خطابها بعلاقة علمية منطقية ، وليست اعتباطية،** والقرآن ذكر كلمة الخنزير دلالة على الحيوان المعروف بهذا الاسم ، كما ذكر كلمة الحمار، والبقرة ، دلالة على الحيوانات المعروفة بهذا الاسم ، فدلالة كلمة (الحمار) في القرآن؛ هي ذات الدلالة الثقافية السائدة بين الناس ، وبالتالي فهي تدل في الواقع على الحيوان المعروف باسم الحمار، أما عملية استخدام هذه الكلمات ، هل كان على وجه الحقيقة، أو على وجه التشبيه ، والتمثيل بالصفات ، والطباع ، فهذا يُعرف من خلال سياق النص ، ومحله من الخطاب ،نحو {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً } (الجمعة 5)، { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ } (الأعراف 176)، فحرف (**ك**) يدل على التشبيه، وليس على الحقيقة، فهؤلاء شاركوا الحمار بصفاته دون صورته ، ودلالة كلمة الحمار في النص تدل على حيوان معروف في ثقافة اللسان العربي، **ومن هذا الوجه نصل إلى إمكانية وجود حمير، وكلاب ، وقردة ، وخنازير بصورة بشرية، تتشبه بالإنسان ، وتلبس الملابس، وتعيش بين الناس .**

ونصل الآن إلى النص الذي ذكر تحريم تناول لحم الخنزير طعاماً وهو:

1- {قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (الأنعام 45)

2- {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ } (المائدة 3)

أول نقطة ينبغي تثبيتها هي أن كلمة (الخنزير) في اللسان العربي قرآناً، وثقافة تُطلق على حيوان معين لتحقق صفة الخنزرة فيه، والنص المعني بالدراسة يذكر حكم طعام أشياء مادية، وأتت كلمة (خنزير) بصياغة المضاف إليه ، ما يدل على أن كلمة خنزير في النص، لا تدل على صفة، وإنما تدل على الحيوان المعروف في اللسان العربي، ولو كانت كلمة خنزير في النص تدل على صفة اللحم ؛ لا على حيوان معين ومعروف ، لكان ينبغي أن تأتي صياغة الجملة (لحمَ خنزيرٍ) مثل صياغة ما قبلها من الكلمات أي (**أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو**

لحماً خِنزيراً (**أو مُخَنزراً**))، وبالتالي يكون صواباًً فهم من قال :إن التحريم متعلق باللحم المخنزر؛ لا بالحيوان المعروف،ولكن أتت بصيغة { أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ} وكذلك النص الآخر كان ينبغي أن يأتي بصيغة (**حُرمت عليكم الميتةُ والدمُ واللحمُ الخِنزيرُ** (**أو المخنزرُ**) ، ولكن أتى بصيغة المضاف{ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ }، ومن المعروف أن المضاف سُمِّي كذلك لأنه أضيفت دلالته إلى ما بعده؛ الذي سُمِّي مضاف إليه ، وبالتالي فمحل الحكم تَقيَّد بالمضاف إليه؛ لا بالمضاف، نحو قولنا: **لحمُ البقرِ**، فالكلام محصور بحيوان البقر، { أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ } الحجرات12، فالخطاب متعلق بكلمة (أخيه) لا بكلمة (لحم) ، وذكر كلمة (ميتاً) لبيان صفة الأخ؛وذلك لإعطاء المعنى والمقصد صفة الكره ، والنفور، والتقزز (فكرهتموه) ولا يمكن فهم أن أكل لحم الأخ وهو حي مباح!.

وكان الأَولى على من قال بأن دلالة الخنزير صفة؛ لا حيوان معين، أن يُثبت ما أثبته النص من تعلق حكم التحريم بحيوان الخنزير، ومن ثم **تفعيل مقصد التحريم، والقول: بأن كل لحم يتخنزر يحرم أكله، وهذه الصفة (الخنزرة) للحم هي عارضة وليست لازمة، وبالتالي يدور حكم التحريم معها، ويزول بزوالها، بخلاف حيوان الخنزير؛ فصفة الخنزرة صفة لازمة لبنيته الجسمية،حيث أنها نظام وقانون تحكم حياة جسمه، لذلك أتى ذكره في النص عَيناً ، وسُمِّي هذا الحيوان خنزيراً ، وبالتالي يستحيل رفع أو إزالة هذه الصفة عنه بواسطة التطهير، أو التعقيم، أو المعالجة.**

مفهوم كلمة لحم الخنزير

ربما يسأل أحدهم؛ لماذا تم ذكر كلمة (لحم) قبل الخنزير؛ ولماذا لم تأت صياغة الجملة كالتالي (**حرمت عليكم الميتةُ والدمُ والخنزيرُ**)؟ وما نفهمه من دلالة كلمة الميتة ينسحب على دلالة كلمة الخنزير؛ ويتم الوصول إلى حكم تحريم أكل حيوان الخنزير لحماً، وشحماً ، ودهناً، وهذا سؤال في محله، ولكن؛ ما ينبغي نقض ما هو ثابت لمجرد اعتراض شبهة أو سؤال، **فاليقين لا يزول إلا بيقين مثله**، والظن والشبهات مهما كَثُرت لا ترفع أو تنقض اليقين ، وغير مطلوب من الدارس أن يقوم بعملية الجواب على كل ما يخطر في ذهن الناس من شبهات

، وإنما يطلب منه إثبات رأيه ببرهان، فإن حصل ذلك، يتم تثبيت الرأي ، وتفعيله، والتعامل معه ، والبناء عليه ، مع محاولة دراسة الشبهات والأسئلة التي تُثار حول الموضوع لرفع مستوى البحث وتطوره ، أما رفض الفكرة المبرهن عليها بحجة أنه يوجد كثير من الأسئلة والشبهات التي لم يتم الجواب عليها ، فهذا موقف غير علمي ، وسوف يبقى السائل واقفاً في محله لا يتطور، ولا يستفيد من الصواب ، والعلم شيئاً ، والثابت في مسألتنا أن حكم التحريم متعلق بالخنزير (الحيوان المعروف) لما مرَّ ذكره آنفاً من مجيء صياغة التحريم بالإضافة؛ لا بصياغة الصفة، أما ذكر كلمة (لحم) قبل الخنزير؛ فهي لا تدل على حصر التحريم باللحم المعروف فقط، وإباحة أكل شحم الخنزير أو دهنه أو شرب حليبه، ولمعرفة ذلك لابد من دراسة أسلوب خطاب القرآن ومحله من الواقع كيف يتم عملية إسقاطه وفهمه، انظر إلى { فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً } (الإسراء 23)، فمن خلال عملية إسقاط النص على محله من الخطاب نصل إلى أن المنهي عنه هو **جزء لا يتجزأ من كل،** ألا وهو الأذى للوالدين، فنقول : إن النهي عن الضرب أو الركل للوالدين من باب أولى، ونصل إلى أن أحد أساليب الخطاب القرآني هو: **ذكر الجزء ويقصد به الكل، لأن الجزء متعلق بالكل ضرورة،** وانظر أيضاً { جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ } (نوح 7)، {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } (يوسف 82).

فعندما نُسقط هذا الخطاب على محله من الواقع؛ نصل ضرورة إلى أن الأصبع كله لا يمكن وضعه أو إدخاله في الأذن، وإنما يُقصد بالخطاب أطراف الأصابع ونهايتها، وكذلك دلالة كلمة (القرية والعير) فالمقصد منها هو الناس ، وليس الجدران أو البعير، ومن خلال ملاحظة هذا الأسلوب نصل إلى أن من أحد أساليب الخطاب في القرآن هو **استخدام الكل؛ ويقصد به الجزء منه ضرورة واقعية.**

لذا،لا يمكن الاستغناء عن الواقع الذي هو محل الخطاب في عملية فهم ودراسة الخطاب ذاته، والفصل بين النص والواقع يقتضي عملياً القضاء على دلالات النص في

الواقع، والوصول إلى أفهام وتصورات وهمية؛ لا تمت إلى روح النص بشيء؛ مع مخالفتها لمحلها من الخطاب.

وعود على بدء

إن كلمة (لحم) تدل على كل ما ينمو وينبني حول شيء ، ومن ذلك الوجه نستخدم كلمة(لحم) لوصل قطعتي الحديد مع بعضهما ، انظر إلى قوله تعالى : { فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً} (المؤمنون14) ، وهذا يدل على أن كل مادة عضوية دخلت في عملية الإكساء تُسمى لحماً ، انظر قوله تعالى : {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً } (النحل 14) ، **فكلمة اللحم شملت كل ما تم لحَمُه على عظام الحيوان من أي مادة عضوية، شحماً أو دهناً أو لحماً .**

أما استخدام كلمة (لحم) بين الناس على المادة العضوية الحمراء فقط ، فهذا استخدام عُرفي لما يهم الناس غذاء من نوع اللحم عموماً ، و هي المطلب الغذائي الأول ، والأهم في الحيوانات ، فهل يُعقل في واقع الإنسان أن يقوم بتربية حيوان أو صيده ليتغذى على شحمه ودهنه؛ ويرمي الباقي للكلاب !، **فإباحة لحم حيوان دليل على إباحة كل ما يَلحُم في بنية جسم الحيوان من شحم أو دهن ، وما شابه ذلك من الأمور، التي يمكن أن يتغذى عليها الإنسان،** ولولا وجود نص يحرّم الدم لدخل في حكم الإباحة العام، **أما ذكر تحريم الجزء في بنية الشيء؛ فما ينبغي أن ينسحب الحكم إلى الشيء كله، وإنما ينبغي حصره في الجزء فقط** ، مثل تحريم شحم الأنعام على بني إسرائيل سابقاً، { وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا } (الأنعام 146)، فمادة الشحم مادة جزئية ، **بينما دلالة كلمة (اللحم) مفهوم عام في بنية الحيوان، فتحريم شحم حيوان؛ لا يفيد تحريم لحمه، بينما تحريم لحم حيوان ؛ يفيد حرمة كل بنية الحيوان، لأن اللحم هو المادة التي التحمت ونَمت على عظام الحيوان.**

فذكر كلمة (لحم) في النص هي من باب ذكر صفة النمو والالتحام للمادة العضوية للجسم كله ، وهذا أسلوب قرآني ، وبالتالي الاعتراض على ذلك هو مثل الاعتراض على هذه النصوص{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} { جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ } { فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا } **فالله ﷻ أنزل نصاً عربياً ينبض بالحياة، خاطب به الإنسان، وجعله يشارك في تحديد معانيه ومقاصده من خلال إسقاط الخطاب على محله من الواقع، بصورة علمية منطقية، فالقرآن خطاب حيوي؛ صدر من حي إلى أحياء عقلاء.**

أما شبهة أنه يوجد حيوانات أخرى أكثر قذارة وخبثاً من الخنزير، ومع ذلك لم ينص الشارع على تحريمها عيناً ، فالجواب على ذلك، هو **أن الله ﷻ قد وصف الخنزير بالرجس، التي تدل على الاختلاط والتداخل بين الطيب ، والخبيث مع غلبة الخبث على الطيب ، وعندما ذكر الشارع اسم الخنزير في النص؛ دل على أن صفة الرجس في هذا الحيوان صفة لازمة لا تنفك عنه أبداً ، وهي كامنة في بُنيته الجسمية بصورة قانون يحكم عملية نمو الجسم ، ويعلمنا من خلال ذلك أن نقوم بالامتناع عن تناول أي لحم رجس حتى يطهر؛ ويغلب عليه الطيب، فالحكم يدور مع العلة ثبوتاً ونفياً، ويصدر حكم أكل الحيوانات من نوعية غذائها، فإن كانت من الكائنات اللَمَّامَة ، التي تنظف البيئة من الجيف، والقاذورات ، والأوساخ يكون حكمها النهي عن أكلها، مثل جرذ المجاري، والعقبان ، والفئران ، والذباب ، والديدان ، والصراصير، فهي من الخبائث، ويلحق بها بهائم الأنعام التي تتغذى على القاذورات أو الأشياء العضوية، وينبني جسمها من ذلك، وتصير رجساً مثل البقر والغنم المجنون، ويرتفع عنها حكم النهي إن تم علاجها وعُلفت بغذاء طاهر، وغَلب الطيب على الخبث فيها، وإن حصل ذلك ينتفي عنها صفة الرجس، فالحكم يدور مع العلة، وبذلك يكون الشارع قد أعطى للإنسان معياراً يستخدمه في**

معرفة حكم تناول لحم الحيوانات الموجودة على الأرض، وهو نوعية الغذاء الذي تتغذى عليه الحيوانات .

والخنزير حيوان لاحم، نباتي، لمَّام ، فهو يأكل كل شيء أمامه، حتى أنه يأكل الأولاد الصغار إذا جاع، ويُشَّبهه العلماء بحاوية قاذورات متنقلة، ولا يمكن تغيير طباعه، ولو تم مراقبة علفه، فسرعان ما يعود إلى طبيعته القذرة، فهي صفة لازمة له، وبنيته الجسمية مخنزرة، لذلك تم إطلاق عليه اسم الخنزير.

مفهوم كلمة خنزير

ماذا تعني كلمة (الخنزير) ؟

أصل كلمة الخنزير، خنزر، وهي كلمة رُباعية مؤلفة من مقطعين ثنائيين، وهما:

خن + زر .

خ : صوت عربي يدل على رخاوة وضعف وليونة .

ن : صوت عربي يدل على ستر واختفاء .

ز : صوت عربي يدل على بروز متصل .

ر : صوت عربي يدل على تكرار .

وضد (خنز) مبنى ومعنى، هي كلمة (زنخ) التي تدل على بروز رائحة أو طعمة لشيء بصورة مستورة منتهية برخاوة وليونة وضعف، وتحقق ذلك بظهور فساد طعام أو خبثه ، فنقول عنه: طعام زنخ، إذا كان كريه الرائحة أو الطعم، وكلمة (خنز) من حيث المعنى (حركتها في الواقع) ضد معنى كلمة (زنخ) أي تدل ابتداءً على رخاوة وليونة في بنية الشيء تبرز بصورة متصلة فيه كله، وعندما شاهد الإنسان الفطري (كجنس) هذه الصفة متحققة بالحيوان الذي لا يقف عن عملية الخنز؛ أضاف للكلمة صوت (الياء) لتدل على جهد خفيف ممتد زمانياً، وأنهاها

بصوت (الراء) لتدل على تكرار هذه العملية فصارت كلمة (خنزير) تدل بمجموع أصواتها على رخاوة وليونة تبدأ من داخل البنية إلى أن تبرز منه بصورة متصلة ممتدة بجهد خفيف، منتهية بتكرار العملية دون توقف.

فكلمة (خنزير) لا تدل على قسوة أو صلابة أبداً ، ولا يوجد في اللسان العربي كلمة تبدأ بحرف (خ) تدل على قسوة أو تصلب ، ولو كانت تدل على ذلك لبدأت بصوت يدل على وقف أو قطع شديد الذي هو دلالة صوت (ق) أو بدأت بصوت يدل على حركة محددة متصلة وهو صوت (ص) انظر إلى دلالة كلمة (قاسي، صلب) أو انتهت الكلمة بأحد الأصوات التي تدل على القسوة والشدة والتيبس مثل (التشنج، القديد) فعندما نقول: خنزر اللحم، لا نقصد أنه صار قاسياًَ أو صلباً، وإنما نقصد أنه أصيب بصفة الرخاوة في بنيته من خلال تحلل ذراته داخلياً وتغير فيها إلى أن برز ذلك بصورة متصلة من الداخل إلى الخارج ، مع استمرار تلك العملية، ومآل هذه العملية في الواقع، هو الفساد والخبث للحم كله؛ ويمكن أن يظهر بصورة القساوة، أو التحلل لبنيته وتفككها، **فهذه صور لظهور الخنزرة ، وليست دلالتها الأصلية، وبذلك يظهر لنا دلالة كلمة (خنزير) أنها تدل على كائن يقوم في بنيته الجسمية بعملية مد وصنع الفساد والخبث، ومن هذا الوجه تم إطلاق اسم الخنزير على الإنسان الذي صارت بنيته النفسية مصنع للفساد والخبث، بصورة لازمة فائضة، وظهرت بصورة القساوة للقلب، والفساد للطباع، وصارت كلمة الخنزير في معظم الثقافات الإنسانية شتيمة وذم وقدح ، بخلاف كلمة غزال أو حصان .**

معلومات طبية عن الخنزير

1- الأضرار الصحية لتناول لحم الخنزير[1]

الفرق بين لحم الخنزير و غيره من اللحوم :

يحتوي لحم الخنزير على كمية كبيرة من الدهون، و يمتاز باندحال الدهن ضمن الخلايا العضلية للحمه ، علاوة على تواجدها خارج الخلايا في الأنسجة الضامة بكثافة عالية فيها.

بينما لحوم الأنعام تكون الدهون فيها مفصولة عن النسيج العضلي، و لا تتوضع في خلاياه، وإنما تتوضع خارج الخلايا، و في الأنسجة الضامة .

و قد أثبتت الدراسات العلمية ، أن الإنسان عندما يتناول دهون الحيوانات آكلة العشب فإن دهونها تستحلب في أمعائه و تمتص ، و تتحول في جسمه إلى خلايا إنسانية ،أما لحم الحيوانات آكلة اللحوم و الخنزير فأن استحلابها عسير في أمعائه و جزيئات الغليسرين الثلاثية لدهن الخنزير تمتص كما هي دون أي تحول و تترسب في أنسجة الإنسان كدهون حيوانية أو خنزيرية .

و الكولسترول الناجم عن تحلل لحم الخنزير في البدن يظهر في الدم على شكل كولسترول جزئي كبير الذرة، يؤدي كثيراً إلى ارتفاع الضغط الدموي، وإلى تصلب الشرايين، و هما من عوامل الخطورة التي تمهد لاحتشاء العضلة القلبية ، و قد وَجد البروفسور roffo أن الكولسترول المتواجد في خلايا السرطان الجوالة يُشابه الكولسترول المتشكل عند تناول لحم الخنزير .

و لحم الخنزير غني بالمركبات الحاوية على نسب عالية من الكبريت، و كلها تؤثر على قابلية امتصاص الأنسجة الضامة للماء؛ كالإسفنج مكتسبة شكلاً كيسياً واسعاً، و هذا يؤدي إلى تراكم المواد المخاطية في الأوتار، و الأربطة، و الغضاريف بين الفقرات، و إلى تنكس في العظام .

---

(1) للفائدة نقلت هذه المعلومات من كتاب (روائع الطب الإسلامي) د .محمد نزار الدقر

و الأنسجة الحاوية على الكبريت تتخرب بالتعفن منتجة روائح كريهة فواحة لانطلاق غاز كبريت الهدروجين. و قد لوحظ أن الآنية الحاوية على لحم الخنزير، على الرغم من أنها مُحكمة السد إلا أنه يتعين إخراجها من الغرفة بعد عدة أيام نظراً للروائح الكريهة النتنة، و غير المحتملة الناجمة عنهاً.

و بالمقارنة، فإن لحوماً أخرى مختلفة خضعت لنفس التجربة ، فإن لحم البقر كان أبطأ تعفناً من لحم الخنزير، و لم تنطلق منه تلك الروائح النتنة ، و يحتوي لحم الخنزير على نسبة عالية من هرمون النمو، و التي لها تأثير أكيد للتأهب للإصابة بخامة النهايات، علاوة على تأثيره في زيادة نمو البطن (الكرش)، و زيادة معدل النمو، و خاصة نمو الأنسجة المهيئة للنمو و التطور السرطاني .

و حسب دراسات roffo فإن تلك الوجبة الدسمة الحاوية على لحم الخنزير تُعَد الأساس في التحول السرطاني للخلايا لاحتوائها على هرمون النمو، علاوة على أثرها في رفع كولسترول الدم .

2- الأمراض التي ينقلها الخنزير

لقد حَرَّمت الشريعة الإسلامية لحم الخنزير ، و نفذها المتدينون امتثالاً لأمر الله الخالق سبحانه، و طاعة له ، دون أن يناقشوا العلة من التحريم ، لكن العلماء المحدثين توصلوا إلى نتائج مدهشة في هذا المجال : أليس من المدهش أن نعلم أن الخنزير مرتع خصب لأكثر من (450) مرضاً و بائياً ، و هو يقوم بدور الوسيط لنقل (57) منها إلى الإنسان ، عدا عن الأمراض التي يسببها أكل لحمه من عسرة هضم، و تصلب للشرايين و سواها. و الخنزير يختص بمفرده بنقل (27) مرضاً وبائياً إلى الإنسان، و تُشاركه بعض الحيوانات الأخرى في بقية الأمراض، لكنه يبقى المخزن، و المصدر الرئيسي لهذه الأمراض : منها الكَلَب الكاذب، وداء وايل، والحمى اليابانية، و الحمى المتوهجة، و الحميرة الخنزيرية، و الإلهاب السحائي، وجائحات الكريب، و أنفلونزا الخنزير، و غيرها.

3- ماذا نعرف عن الخنزير:

الخنزير حيوان لاحِم عشبي تجتمع فيه الصفات السَبعية والبهيمية، فهو آكل كل شيء، وهو نهم كانس، يكنس الحقل والزريبة، فيأكل القمامات والفضلات والنجاسات بشراهة ونهم، وهو مفترس يأكل الجرذ والفئران، وغيرها ، كما يأكل الجيف، حتى جيف أقرانه .

يقول الإمام الدميري : إنّ الخنزير شرس الطباع، شديد الجماع، شبق، تكتنف حياته الجنسية الفوضى، ولا يخصص لنفسه أنثى معينة.

ويروي د. هانس هايترش قصة طريفة جرت في أحد المشافي العسكرية، حيث كانت هناك حظيرة للخنازير ملحقة بالمشفى، وتعيش على النفايات والفضلات، ويُذبح أحدها كل شهر طعاماً للمرضى، والعاملين في المشفى. وفي أحد الأيام تدافعت الخنازير على الفرن المملوء بالضمادات المضمخة بالقيح، والمهيأة للحرق فالتهمتها.

وتوفيراً للعلف، قررت إدارة المشفى مَن ثم، أن يُصبح نصف الضمادات المبللة بالقيح طعاماً للخنازير، وهكذا أصبحت دماء تلك الخنازير مفعمة بالسموم والذيفانات. ولنتصور الآن مرضى هذا المشفى وأكثرهم مصابون بنواسير، كعقابيل للكسور الناجمة عن الطلقات النارية، إنهم يُغَذون بلحم خنزير مشبع بالسموم، فبدلاً من الشفاء، يُوَلد عندهم هذا اللحم هجمة جديدة من الالتهاب والتقيح.

ومن هنا نفهم كيف أن معاني الرجس قد استقر في أذهاننا التصاقها جميعاً بالخنزير، فهو لا يكاد يرى إلا وأنفه في الرغام. وإن نفورنا وتقززنا من هذا الحيوان ليس قاصراً علينا ـ نحن المسلمين ـ ففي كل من أوربا وأمريكا، ورغم أن تجارة الخنازير عندهم وتربيتها رائجة، ويتخذون منه دمى لأطفالهم ومع ذلك فأسماؤه، على اختلاف لغاتهم، تعد سبة لا يقذفون بها إلا كل زري ذميم ..

رد الأستاذ سمير حسن

على بحث (الخنزير صفة أم حيوان)

(1)

ٱلسيد سامر إسلامبولي

لقد تلوثُ بعضاً مما تكتبه ، وامتنعتُ عن ٱلكتابة وٱلردّ على ما تقول، وتشير به إليّ من دون ذكرك لاسمي، لكن تكرارك ٱلإشارة لما جاء لي من مفاهيم، ومنها ما يتعلّق بٱسم (خنزير)، جعلني أكسر صمتي على ما تقوله، حتى لا تتابع ظنّك أنّ سكوتي عليك عجز.

فقولك: (بداية ينبغي أن نعرف أن حيوان الخنزير معروف قبل نزول القرآن، وكان يطلق عليه اسم الخنزير). لا أصل ولا حقّ لما تعرفه. فلا تُظهر نفسك عالماً بما كان قبل نزول ٱلقرءان ٱلذى تُسميه (قرآن)، ولا تعلم لماذا. فما تُسميه أنت وقومك خنزيراً هو (ٱلحزير) في جميع ألسن ٱلشاميين، فتعلّم لسانهم؛ لتعلم بٱلاسم. ولأن قومك أمّيون لا يعلمون، فمن بعد ٱلرسول، وبوقت طويل، هو وقت ٱلتفسير ٱلمخرّص في كتاب ٱللّه، سألوا ٱليهود (وهم ٱلذين لم يصدّقوا عيسى) عن{ لَحْمَ خِنزِيرٍ}و{وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} فعدَّدوا لهم ما حُرّم عليهم من ٱلدّوآبِّ ، كٱلجمل وٱلأرنب وٱلحزير، وغيره من ٱلدوآبِّ ٱلأخرى، ٱلتى يعرفها قومك، فظنوٓا أنّ ٱلحزير؛ هو ما يشار إليه بٱلتحريم، وظنّوٓا أنّ ٱللّه غيّر ٱسمه!، وبهذا ٱلظنّ أراحوٓا أنفسهم من ٱلنظر، وٱلبحث، وبدؤوا تسميتهم للحزير خنزيراً .

ٱلقرءان يا سيد سامر؛ بيّن على لسان عيسىٰ، أنّ ما كان محرماً من دوآبِّ على ٱلذين هادوا كان عقاباً لهم، وليس حراماً{فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً } 160 ٱلنسآء).

وٱستمر هذا ٱلعقاب حتى رفع بعضه عنهم عيسى ٱبن مريم{وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ} (50 ءال عمران). أما كلمة (خنزير)، فتدلّ على ٱلصلابة وٱلغلظة وٱلقسوة، ولذلك جعل ٱللّه

ٱلذين قست قلوبهم خنازير، لأنّ أفكارهم ومفاهيمهم صلبة قاسية، لا يتحركون عنها، ويقتلون من يدعوهم للحركة عنها.

فلحم ٱلخنزير؛ يا سيد سامر؛ هو لحم قسا، وصَلُب، وغَلُظ، ورَجُس بٱلتراب، (ٱلكلس وٱلحديد بسبب كبر سنّه، أو بسبب ما يقدّم له جاهل من طعام). وهذا ٱللحم يعرفه عامة بلاد ٱلشام بٱسم (لحم جلف). وهو مصدر ٱلميتَة ٱلتى تُعجّل موت من يأكلها بفعل تَصخّر جسمه، كما يحدث للمرجان ٱلذى يأكل ٱلكلس ٱلذآئب فى مآء ٱلبحر. وهذا هو سبب تحريمه على ٱلذين يعلمون من ٱلناس. أمآ ٱلذين أوتوا ٱلكتاب فطعامهم حلال كما يقول ٱلقرءان، وليس ٱلقرآن{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ } (5 ٱلمآئدة) ، ومن هؤلآء مَن صدّق عيسى، وبدأ يأكل من لحوم ٱلدوآبّ ٱلتى كانت لحومها وشحومها ممنوعة بعقاب. ومنهم مَن لم يصدّق، فتابع التحريم. ومن هذه ٱلدوآبّ ٱلتىٓ أُحلّت (ٱلحزير) ٱلذى تظنّه وقومك خنزيرا. لقد بيّن لك ٱلقرءان، ولجميع مَن يُريد ٱتباع كتاب ٱللّه، أن طعام ٱلذين أوتوا ٱلكتاب حلال من دون تحريم للون منه. فٱلذين أوتوا ٱلكتاب لا يأكلون لحم خنزيرٍ أبداً، كما يفعل قومك بأكلهم لحم دوآبٍّ مختلفة، ولحمها خنزير .أما ما تقوله من: (إن القرآن قد ذكر اسم مجموعة من الحيوانات، نحو الحمار، والبقرة، والكلب، وبالتالي فلا مانع من ذكر اسم حيوان معين، والسؤال المعروض هو: هل ذكر القرآن كلمة الخنزير اسم حيوان أو صفة للخنزرة؟).فأنت تبالغ فى علمك ٱلذى يفوق علم ٱللّه بقولك: (فلا مانع من ذكر اسم حيوان معين). وتزداد مبالغتك بعلمك فى سؤالك: (هل ذكر القرآن كلمة الخنزير اسم حيوان أو صفة للخنزرة؟).ولا تتوقف مبالغتك فى ٱلعلم عند هذا ٱلحدّ من ٱللّغو فتجيب واثقاً: (ونزل النص القرآني وذكر اسمه {وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ } (المائدة 60)، إلآ أنك فى جوابك: (فالقردة حيوانات معروفة، وكذلك الخنازير)، لم تُجب وتبيّن أىّ دآبّة هى (عبد ٱلطاغوت)!، فٱلذين يعبدون ٱلطاغوت هم ٱلقردة وٱلخنازير، وهم ٱلذين قست قلوبهم فهى كٱلحجارة أو أشدّ قسوة. وهؤلآء ليسوا (حيوانات معروفة)، ومع ذلك لم يكن لزعمك بتفسير من قدرة على بيان ما تسوقه من لغو فى كلمة (خنزير)، لأنك قلتَ ما يبيّن وصفاً للحم وليس ما يبيّن دآبّة. فجآء ٱستنباطك بما يلى: (إذاً، الخنزير كلمة

تُطلق على حيوان معين لتحقق صفة الخنزرة فيه) ٱلتى بيّنتها بما تظنه رخاوة وليونة. وتابعتَ بنآءك على ذلك فقلتَ: (أول نقطة ينبغي تثبيتها هي أن كلمة (الخنزير) في اللسان العربي، قرآناً وثقافة، تُطلق على حيوان معين لتحقق صفة الخنزرة فيه). مستنداً على مفهوم (المضاف إليه) لتستدلّ بقولك: (على أن كلمة خنزير في النص، لا تدل على صفة،   وإنما تدل على الحيوان المعروف في اللسان العربي)، لقد بيّن ٱلقرءان أن ٱلذين جُعلوا خنازير (قست قلوبهم فهى كٱلحجارة أوَ أشدّ قسوة). فبيّن للَّبيب من ٱلناس أنّ ٱلخنزرة قساوة، وليست ليونة. ولحم ٱلحزير منه ما هو قاس، فيكون خنزيراً، ومنه ما يكون طيبًا حلالاً. ومثله لحم ٱلضأن، ولحم ٱلبقر، لا يكون حلالاً إن كان صلباً وقاسياً)، جلفاً ،   (لا تبنى على مفهوم ٱلمضاف إليه؛ فهو من مفاهيم ٱللغو، وليس ٱلبيان. فقد ذكر ٱلقرءان "لحم خنزيرٍ" فأطلقه بٱلتنكير أىًّ كان مصدره (بقر غنم طير وغيره)   لأنّه رجست فيه ٱلأتربة فجعلته قاسياً ميتاً كٱلحجارة. وذكر ٱلقرءان {وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} ، مبيناً للبيب بدخول ٱلثور ٱلموصول بعصا راعى ٱلبقر (ٱل)، مسألة إثارة نظره وتوجيهه إلىٰ أىّ لحم قبل أكله. فإن وجد أنه خنزيراً بما رجس فيه لا يأكله. فماّ أوردته عن دليل كلمة خنزير بسؤالك: (فماذا تعني كلمة (الخنزير)؟ وما ٱعتمدت عليه من عرض دليل مقلوب ٱلكلمة هو من منهاج ٱللغو فى ٱلّسان.

فقلتَ: أصل كلمة الخنزير من خنز.

خ: صوت عربي يدل على رخاوة وضعف وليونة.

ن : صوت عربي يدل على ستر واختفاء.

ز : صوت عربي يدل على بروز متصل.

فأقولُ لك؛ أنّ هذه ٱلأصوات قديمة بقدم ٱلروح، وهى أصوات منسوخة فى ٱلّسان ٱلعربىّ (لسان ٱلقرءان، وليس لسان قومك وثقافتهم). وما ذكرتَه من دليل لهذه ٱلأصوات، تُنكره عليك جميع ألسن شام، ومعهم لسان يونان. وقولَك: (وضد (خنز) مبنى ومعنى هي كلمة (زنخ)، التي تدل على بروز رائحة أوطعمة لشيء بصورة مستورة منتهية برخاوة وليونة وضعف، وتحقق ذلك بظهور فساد طعام أوخبثه). هو قول من لا يدرى بدليل ٱلكلمتين. فأنت تبنى فهمك للدليل على ما جآء فى بعض ٱلمعاجم من تخريص ولغو. فٱلكلمة بنآء من عدّة هى

ٱلأبجدية. وما تدلّ عليه ٱلأبجدية هو ٱلمقدار وٱلشيء ٱلمتكوّن منه. فهى ليست صوت مقطوع عن مقداره وشيئه كما تعرض وتسهب وتصدّق. لك أن تحرّم على نفسك ما تشآء. ولك أن تتبع ٱلدكتور نزار ٱلدقر بما يتاجر به من دين. لكن؛ عليك أن تعلم أنّ ٱلقرءان كتاب ٱللّه، وما فيه بيان وتبيان لكلِّ شيء وهو مرسل لقوم يَسألون، وينَظرون، ويتَفكرون، ويَعلمون، ويحملون مسئولية فيما يقولون، فلا يوثنون على ما ظنّه ءابآؤهم. ولم ينتظر ٱللّه أحداً من ٱلناس ليقول لهم ماذا يُحللون؟ وماذا يحرمون؟. وما نكتبه جميعنا من قول فى كتاب ٱللّه، ليس للمبارزة فى ٱلمفاهيم، بل؛ هو عرض لفهم ٱلفرد دافعه ٱلحوار، وإثارة ٱلتفكير فيما وَثن فى قلوبنا من فهم ٱلأبآء ٱلموتى قساة ٱلقلوب. فٱلقرءان كتاب حيّ يُخاطبنا نحن ٱلأحيآء. ومَن يفهم ٱلخطاب؛ يُفلح فى طعامه، وفى زواجه، وفى سكنه، وفى تمكّنه فى ٱلأرض. ومن لا يفهمه، يخسر فى كل أمر.

رد إسلامبولي على سمير حسن

(2)

الأستاذ سمير حسن المحترم

تحية طيبة وبعد(رغم أنك لم تبدأ بها في تعليقك)

أهلاً بك في أول حوار ولقاء بيننا.

أستاذ سمير؛ اعلم ، إنّ الصمت ليس موقفاً يُحسب على الإنسان، لا سلباً، ولا إيجاباً ، لأن الصامت له أسبابه ، التي ليس من الضرورة أن يقتنع بها الآخرون. لذا؛ لم أعُد صمتك عجزاً ، أو هروباً ، ومن باب أولى ليس موافقة ، كما أني لم أوجه النقاش إلى شخصكم الكريم أصلاً ، فهذه الأفكار هي محل نقاش، وحوار من قبل أن تشارك حضرتك في المنتدى وكان قد عرضها الأخ إبراهيم ، ومفهوم دلالة كلمة (الخنزير) عرضها في أحد تعليقاته على بعض المقالات ، ولم يفردها في مقال خاص بها، وبغض النظر عن صاحب هذه الأفكار، ومن كان له الأسبقية ، أو كان ذلك اقتباساً، أو من باب الموافقة ، فأنا أناقش أفكاراً، وليس أشخاصاً.

أستاذ سمير

أنا لست من عُبّاد الإسناد ، ولا الأشخاص ، فلا داعي لما ذكرت في تعليقك.**!** ولا أريد أن أنزلق لما تريد أن تدفعني إليه من البحث في متاهة التاريخ ، من كون حيوان الخنزير؛ هل كان معروفاً للمجتمع الذي زامن نزول الوحي، أو غير معروف؟ لأنه لن يتم حسم المسألة.

يوجد عندي بضعة أسئلة تُسلط الضوء على الحوار بيننا ، وتوجه دلالة كلمة (الخنزير) في الواقع .

1- أعطني كلمة من اللسان العربي تبدأ بحرف (خ) تدل على القسوة والتصلب؟

2 - صياغة النص القرءاني أتت بصيغة المضاف إليه{ لَحْمَ خِنزِيرٍ} كيف حولتها في عقلك إلى لحماً خنزيراً) بصيغة الصفة**!** ؟

3- كيف تقول{ لَحْمَ خِنزِيرٍ} فأطلقه بالتنكير !. أو لم تأت الصيغة الثانية بصيغة التعريف{وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} ؟ .

4-إن من صيغ المضاف؛ وأنواعه، **أن يأتي المضاف جزء من المضاف إليه** ، نحو قولنا: سوارُ ذهبٍ، بابُ خشبٍ ، لحمُ بقرٍ، لحمُ إبلٍ، لحمُ خنزيرٍ.

5-من فطرة الناس الابتعاد عن الأشياء الفاسدة، والخبيثة ، والقاسية، والمتصلبة من المطعومات ، ويبحث الناس عن اللحم الطيب الطري ، ألا ترى كيف يبتعد الناس عن أكل الفيل والحمار والجمل....الخ، وذلك لقسوة وتصلب لحمهم ، وصعوبة نضجه، ومضغه، وهضمه، رغم عدم حرمتهم شرعاً**!** فهذا الأمر متروك للناس، وتجربتهم، لا يحتاج إلى نص إلهي يُتلى إلى يوم الدين .

6- تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، أمر لا ينطبق عليه صفة القسوة، أو التصلب ، وإنما ينطبق عليهم صفة الخبث والرجس البنيوية الذاتية ، التي لا تنفك عنهم أبداً ، وقد تظهر بصورة القساوة ، أو التحلل والفساد ، والعلم يكشف ذلك في رحلته البحثية الطويلة المتنامية اللا متناهية ، وما يكشفه ليس للحصر ، لأنه قد يأتي أحدهم ويقول **:** لقد اكتشفت طريقة أرفع بها صفة الخبث أو الرجس عن هؤلاء المحرمات ، وأجعلهم طاهرين صالحين للأكل . وهذا كلام مردود عليه ، لأن صفة الخبث أو الرجس في هؤلاء صفة ذاتية، لا يمكن رفعها أو إزالتها

منهم، والعلم قاصر ومحدود ، وإزالة الرجس أو الخبث الظاهر عنهم؛ لا يعني إزالة ذلك كلياً ، لأن صفة الضرر والخبث ذاتية وبنيوية فيهم ، ومن أجل ذلك ذكرهم الشارع في النص عيناً ، وسوف يُثبت العلم لاحقاً ذلك .

لذا، الأمر ابتداء يكون تسليماً وإيماناً بقول الله ﷻ، وهذه صفة المؤمنين {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } (البقرة3)، ونحن نعيش في عالم لا مرئي ، ونتعامل معه بصورة علمية.

وتقبل تحياتي العربية......سامر

رد الأستاذ سمير حسن
على إسلامبولي
(3)

السيد سامر المحترم

تحية طيبة مرتين ؛ فاعذرني عن غفلتي في المرّة الأولى، قولك: (أني لم أوجه النقاش إلى شخصكم الكريم أصلاً، فهذه الأفكار هي محل نقاش، وحوار من قبل أن تشارك حضرتك في المنتدى، وكان قد عرضها الأخ إبراهيم، ومفهوم دلالة كلمة (الخنزير) عرضها في أحد تعليقاته على بعض المقالات، ولم يفردها في مقال خاص بها). فقد تلوتُ رأيك على موقع (أهل القرآن) في دليل كلمة خنزير، وإشارتك لمن يقول بقسوة اللحم قبل أن يكون لي حضور هنا، والتعرف على الأخ إبراهيم. وقد تلوتُ لك هنا مثله، وهذا جعلنيْ أظنّ. فاعذرني. كما تلوتُ ما قاله الأخوة في حوارك، وما قاله لك الأخ إبراهيم من نُصح يتعلق بفهم كتاب اللّه.

أما طالما بدأنا مع دليل كلمة (خنزير) فأنت الذي قلتَ: أنّ الخنزير حيوان معروف عند نزول القرءان. ثم تقول: (ولا أريد أن أنزلق لما تريد أن تدفعني إليه من البحث في متاهة التاريخ، من كون حيوان الخنزير هل كان معروفاً للمجتمع الذي زامن نزول الوحي، أو غير معروف! لأنه لن يتم حسم المسألة). فهل أنا الذي يُريد دفعك إلى (البحث في متاهة التاريخ)؟ كذلك حددت أسئلة تقول عنها أنها تُسلط الضوء على الحوار، ومنها سؤالك عن كلمة تبدأ بما تُسميه حرف (خ)، وتدل على القساوة والتصلب. فأعطيك كلمة (خبيث) التي تشارك في

مفهوم لحم ٱلخنزير. لا للسير معك على ما خرص به بعض ٱلسلف فى دليل ٱلكلام، وتابعهم فى تخريصهم مفكرون من ٱلخلف. بل لأبيّن لك ضعف ما تستند إليه، ولأذكّرك أن ٱلقرءان هو كتاب ٱللّه ٱلذى نزّله على قلب رسوله، ثمّ قرأه منه خطّاً بيد رسوله، ونُطقاً بلسانه وليس كتاباً للخليل، وسيبويه، وأبو عمرو ٱبن ٱلعلآء، وٱلأصمعى، وٱلكسآئى،وٱلمفضل، وٱلفرّآء ، وثعلب، وغيرهم. فهؤلآء؛ هم بشر مثلنا ، عمل كلّ منهم، وجهد فى وصف كلام ٱلكتاب، ورأى بما ٱستطاع أنّ لحم خنزيرٍ (مضاف ومضاف إليه). إلآ أنّه غفل كغيره من ٱلبشر عن دليل كلمة (مضاف) ٱلذى تجده فى كلمة (ضيف) .لقد ٱستعملت ٱلقول (فأطلقه بٱلتنكير) لأبيّن لك فهمى لهذا ٱلاطلاق. إذ أُبعد به (لحم خنزيرٍ) عن لون دآبّة محدّدة. فكل لحم خنزير محرّم من دون تحديد لمصدره. وبيّنت لك فهمى لما تعرفه من ٱلسلف بألّ ٱلتعريف بقولى: وذكر ٱلقرءان {لَحْمُ الْخِنْزِيرِ} مبيناً للبيب بدخول ٱلثور ٱلموصول بعصا راعى ٱلبقر (ٱل)، مسألة إثارة نظره، وتوجيهه إلىٰ أىّ لحم قبل أكله. فإن وجد أنه خنزيراً بما رَجُس فيه؛ لا يأكله). لكنك لم تورد فهمى هذا فيما حدّدته لتسليط ٱلضوء على ٱلحوار. فهل تريد حوار يستند على مفاهيم تتبعها دون غيرها؟

سأقول لك: أنّ ما تقوله عن ٱلقساوة وٱللين فى ٱلأبجدية (من وجهة نظري) لا ينفع بٱلوصول إلى دليل. فكما قلتُ فى ردىّ ٱلأول: إنّ لكلٍّ من ٱلأبجدية مقدار ودليل وطور . فٱلكلمة ٱلتى تبدأ بٱلملّة خاف (خ)، هى مثل ٱلكلمة ٱلتى تبدأ بٱلملّة كاف (ك)، فكلاهما كف يدٍ. وٱلاختلاف بينهما هو فىٰ أسلوب فعل ٱلكفِّ ومنهاجه. وأضرب لك مثلاً هنا فى كلمة (كتب)، وفق أسلوب وفهم ٱلخليل وسيبويه وغيرهما، لوصف وتعريب ٱلقول، فأقول: ٱلكاف (كفّ يدٍ) يمثل فاعلاً. وٱلتاو (علامة sign) يسطرها كفّ ٱليد فتمثل مفعولاً. وٱلبيت (بيت) يمثل ٱلمكان. وهذا يبيّن أنّ ٱلأبجدية عدّة وقوى فعل لا توصف بما تظنه من رخاوة ولين وقساوة .

وأقول لك بمآ أفهمه أنّ كلمة (رجس) تبيّن سبب ٱلخنزرة لأىّ لحم. فأىُّ دآبّة (بما فى ذلك ٱلفيل وٱلحمار وٱلجمل) تُولد ويكون لحمها مكوّن من 80٪ مآء و20٪ تراب (معادن

وأملاح). ولحمها ٱلمكوّن من هذه ٱلنسبة طيِّب وحلال للأكل. أمآ إذا زاد ٱلتراب فى لحمها على حساب ٱلمآء فيه فيخبث. وبذلك يكون أكل لحم رجست فيه ٱلأتربة، وكثرت على حساب ٱلمآء مميت. وهذا سبب تحريمه. فٱلرجس هو ٱلاختلاط ٱلذى يصعب تفريقه. وهو فى ٱللحم ٱختلاط ٱلأتربة بٱلمآء بسبب لون طعام ٱلدّآبّة، أو بسبب كبر سنّها. وهذا ما يمكن ٱلتخلّص من بعضه بنقعه فى حامض كٱلخلّ .وهو ما تبيّنه لك كلمة (مخمصة).أما قولك: (تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير أمر لا ينطبق عليه صفة القسوة، أو التصلب، وإنما ينطبق عليهم صفة الخبث والرجس البنيوية الذاتية، التي لا تنفك عنهم أبداً). فهو قول يتعارض مع أسس ٱلخَلق. لأنّ كلُّ دآبّة مخلوقة لحمها طيّب حتى يرجس فيه ٱلتراب ويخبث. وعلى ٱلذين يعلمون أن يُبيّنوا لأنفسهم ذلك بذكر ٱسم ٱللّه عليه. وذكرهم لاسم ٱللّه عليه ليس بتلاوته كما يظنّ ٱلكثيرون، ومنهم ٱلدكتور نزار ٱلدقر، بل بإرسال نور ٱلنظر فيه للعلم بمكوناته. فٱسم ٱللّه هو ٱسم نور ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض. وٱلذين يعلمون يخلفون فى ٱلنور، وينيرون تكوين أىَّ لحم فيعلمون بطيبه، ويعلمون بخبثه. أمآ إزالة بعض ٱلخبث من ٱللحم فيبيّنه ٱلقرءان بكلمة (مخمصة). وهو ما يفعله مع جميع ٱللحم (على سبيل ٱلاحتراس) ٱلناس فى بلاد ٱلغرب.

وفىٰ أخر قولى لك ٱلذى لم يأخذ وصف (حوار) أنّ كتاب ٱللّه حيّ موجّه لأحيآء سيرون فيه ما لم يره ٱلذين قبلهم من ٱلناظرين فيه. كمآ أنّ أىّ قول جديد سيلقى ٱلكثير من ٱلممانعين له؛ بزعم فَهم ٱلأبآء ٱلقريبون من زمن ٱلرسالة.

رد إسلامبولي على سمير حسن

(4)

تحية طيبة وبعد

أهلاً بك مرة ثانية ، وبعيداً عن الأمور الجزئية، والشخصية ، ندخل في الموضوع مباشرة، ماذا تفسر وجود ذكر اسم حيوان الخنزير في كتب النصارى قبل نزول القرآن، وفي ثقافة المجتمع الذي زامن نزول الوحي ، وهذه الأخبار بمجموعها من مختلف المصادر والثقافات ، تدل على أن حيوان الخنزير معروف لدى الشعوب السابقة ، وبالذات للمجتمع الذي زامن نزول الوحي القرآني ، وبالتالي لا قيمة لأي عملية استنتاجية لمحاولة نفي ما هو معروف ثقافياً. هل تظن يا سيد سمير؛ أن دلالة لحم الخنزير كانت خافية على المجتمع الذي زامن نزول الوحي؟ هل كان النبي يتلوها دون علم بمدلولها في الواقع؟ هل سمعها المجتمع الأول، ولم يفهم مدلولها ، ولم يسأل عنها النبي، أم فهموها وأجمعوا على السكوت، وإخفاء المعلومة، ولم ينقلوها إلى أولادهم؟ أليس هذه الأمور (الحرام والحلال) هي من الأولويات التي يتم تعليمها للناس، أم أن آية تحريم المطعومات هي من النوع الكوني؟ هل عرفت ماذا أقصد بقولي: البحث في متاهة التاريخ!.

أستاذ سمير

بيني وبينك النص القرآني بلسانه العربي ، ولساننا الفصيح ، كما تسميه ، وهو الذي يحمل ثقافتنا ، ولا شك بوجود تقاطع وتقارب بينهما، بل وتَوافق في كثير من الأحيان، لأن اللسان القرآني كان مصدراً رئيساً ، أو الأول ، أو أحدهما في ضبط لساننا الفصيح، وعندما نزل النص القرآني استخدم من لساننا الفصيح ما يتصف بالعربية منه، وأهمل الأعجمي منه ، لذا؛ ماينبغي الإعراض كاملاً عن اللسان المستخدم لدى المجتمع الذي زامن نزول الوحي، وخاصة في الأمور التي لا تتعلق بالتطور المعرفي للإنسان ، لأنها خطاب تكليفي لكل مجتمع ينبغي أن يلتزم به أمراً أو تحريماً أو نهياً.

أستاذ سمير

تخلص من عقدة السلف ، ودعهم في حالهم ، فأنا لا أُعَوّل على سيبويه، ولا ابن جني، ولا ابن فارس، ولا الثعلبي.....ولا الدكتور نزار الدقر ... ولا غيرهم..، ولا مُشاحة في المصطلحات التي وضعها السلف ، وليست هي محل الحوار ، فأنا لا أناقش دلالة كلمة (مضاف ومضاف إليه) أنا أناقش صياغة بنيوية للجملة ، هل صياغة جملة{ لَحْمَ خِنزِيرٍ} ، مثل صياغة (لحماً خنزيراً) !؟ وهل مدلولهما في الواقع واحد !؟ أما إتيانك بكلمة (خبيث)، وذكرك أنها تشارك مفهوم (لحم الخنزير) فهذا استدلال في غير محله ، فأنا لم أطلب منك ذكر كلمة تشارك مفهوم (خنزير) في الدلالة ، من باب أن كل خنزير هو لا شك أنه خبيث ، والعكس غير صواب ، والعلاقة بينهما علاقة خاص بعام .

أستاذ سمير

على ماذا تدل كلمة (خبيث)؟ هل تدل على القسوة والتصلب ؟

أُعيد طلبي، أعطني كلمة واحدة في اللسان العربي، أو الفصيح تبدأ بحرف (خ) تدل على القسوة والتصلب ؟ .

أما وجهة نظرك في دلالة أصوات اللسان العربي، فكما ذكرت حضرتك، وجهة نظر خاصة بك ، بينما أنا أرى أن هذه الأصوات العربية لها دلالات فيزيائية مرتبطة بالواقع، وبالتالي؛ يكون مدلول الصوت في الواقع هو الحكم بيننا ، ويمكن الاستعانة بعملية السبر والتقسيم للسان العربي ، والفصيح في استخدامهم لهذه الأصوات. أما قولك : إن كل دابة مخلوقة لحمها طيب حتى يرجس. كلام غير صواب في واقع الحال، لأنه يوجد دواب صفة الرجس في بنيتها ذاتية لطبيعة تكوينها وغذائها.

واعلم يا سيد سمير! إن نقد الأفكار لا يكون بالنص والدعاء!فدعك من رأي زيد وعمرو في مقالاتي، وطريقة بحثي ، فهذا لا قيمة له البتة في الحوار، ولو قرأت الردود على تطبيقات الأخ إبراهيم ، وعليك أيضاً . لوجدت كثيراً من النصائح التي وُجهت لكما من مجموعة كبيرة من المخالفين ، تارة بالدعاء ، وتارة بالشتيمة ، وتارة بالتكفير ...الخ ، وكل هذا لا قيمة له البتة

في نقاش المنهج والأفكار ! فلماذا يتم استخدام ذات الأسلوب في طريقة نقاش منهجي وأفكاري من قبلكم**!** ؟

أستاذ سمير ! أنا معك في أن كتاب الله حي موجه لأحياء ، وسيرون فيه ما لم يره الذين من قبلهم من الناظرين ؟ **ولكن هل ينطبق ذلك على النصوص التكليفية**، وبالتالي يمكن أن يصير الحلال حرام ، أو الحرام حلال ؟ **أنا مع تفعيل النص القرآني ، والتحليق في فضائه الرحب ، وتوسيع أبعاد فهمه حسب الأدوات المعرفية لكل مجتمع** ، لك الحق أن تفهم قصة يوسف وأخوته وتؤولها التأويل الذي تراه مناسباً للمستوى المعرفي الذي تملكه ، **فهو في النتيجة بُعد من أبعاد النص ، وتَعَدُد في الرؤى لا تَناقض بينها ، والواقع كفيل في إثبات صواب فهمك أو خطئه** ، ولكن هذه الدراسة لا يعني أن ننفي على سبيل المثال وجود إنسان اسمه يوسف وأخوته وأبوه يعقوب ! وكذلك رؤيا الملك{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ } يوسف(43) ، فتأويل الرؤيا الذي قام به النبي يوسف لا علاقة له بنفي وجود حيوان اسمه بقرة . فهذا موضوع آخر**.**

هل كلمة (دم) هي مفهوم مجرد لا علاقة له بوجود موضوعي يعرفه المجتمع الذي زامن نزول الوحي ؟ هل تقبل أن يأتي أحدهم ويقول : إن الدم ليس هو هذا السائل الأحمر ، وإنما كلمة (دم) تدل في مفهومها على كذا؛ وكذا !، ونحن غير ملزمين باستخدام المجتمع الأول لهذه الكلمة على السائل الأحمر الذي يجري في جسم الكائنات الحية ! والقرآن حرم تناول الدم بالمفهوم ، وليس المعروف في ثقافة المجتمع الذي زامن نزول الوحي**!** ؟ الأمر ليس كما تراه حضرتك يا سيد سمير ، فأنا مع معظم ما تقول به في غير آيات الأحكام ،أما عندما تناولت آيات الأحكام، لغَوت ، وأصابتك عجمة.

إن كلمة (خنزير) نكرة مثل كلمة (ميتةً ودماً) التي أتت في ذات السياق { إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ} (الأنعام 145) رغم أنها عرفت بالإضافة

وأتت كلمة خنزير معرفة (الخنزير) في النص{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ } (المائدة 3) ، مثل تعريف كلمة (الميتةُ والدمُ) ، وما تفهمه من تنكير وتعريف كلمة (الميتة والدم) في النصين ينطبق على كلمة (الخنزير) تماماً. انظر إلى اللغو والعجمة إلى أين أوصلتك ؟

1- إباحة الدعارة بشرط عدم الإكراه.!

2-إباحة شرب الخمر بشرط عدم غياب العقل ! ، وهذا ينسحب إلى تعاطي المخدرات والحشيش .

3- إباحة أكل لحم حيوان الخنزير ، ومن باب أولى السباع والضباع والكلاب والقطط والجرذان والفئران والأفاعي ...!، ولا أدري ماذا تقول بحكم أكل لحم البشر قبل موتهم أو قتلى الحروب؟

4- إباحة تناول الدم إذا كان سائلاً ومحافظاً على الماء فيه!؟

وتقبل تحياتي العربية

سامر

رد سمير حسن على إسلامبولي

(5)

ٱلسيد سامر ٱلعزيز وٱلمحترم

تحية طيبة يؤسفنى ما جعلك تشعر بٱنحياز فى ٱلرد عليك إلى جانب رأىٍ أخر. فلا تأسى من قولى عمّا ذكرته عن نصح ٱلأخ إبراهيم (بن) نبى ٱلذىٓ أطلب منه أن يصوّب كتابة كلمة (ٱبن) حتى ولو كانت مسجلة فى شهادة ميلاده. أريدك أن تعلم أنىٓ أتابع ٱلردود على مآ أكتبه، وكذلك أتابع ما يكتبه غيرى، وما يُكتب من ردود عليه. وكما قلت لك أنىٓ أتلو لك كثيراً مما تكتبه. وما جآء فىٓ أخر ردك ٱلثانى من قول عن لغوى وسفاهتى وتحليلى لما يرى ٱلسلف وأتباعهم من محرمات سبق لك وذكرته فى مقالات على موقع (أهل القرآن) من دون أن تذكر ٱسمى. فلم يكن مقالك هذا هو ٱلسبب ٱلمباشر ورآء تدخلى فى ٱلرأى حول ما تعرضه من رأى حول ٱلخنزير. لكن عليك أن تعلم بموقفى منك أنّه لا يرتبط بما تبنيه لنفسك

من مفاهيم فهى مسئوليتك ٱلشخصية وحدك، وما تقوله لا يثير حفيظتى عليك. كمآ أريد أن تعلم أنىۤ أرقب ما لديك من طاقة ومن حب للبحث وٱلقول ٱلمجدد. لكن هذا لا يمنعنى من رؤية شدٍّ لما تحاوله ليكون موافقاً مع ما تظنّه من قول للسلف متّحد مع قول ٱللّه لا ينفكّ عنه. وكذلك لما رأيته من سيطرة تشدّك، وتكبّل طاقتك، وحبّك للبحث وٱلمشاركة. وهذا هو ٱلذى جعلنىۤ أتدخل لعلّ ما يحدث بيننا من جدل بٱلّتى هى أحسن، يفكّ تلك ٱلسيطرة فتطلق طاقتك للبحث فى كتاب ٱللّه وحده. فلن أتعامل معك كما تعاملت مع "القرآنى" ٱلشاعر حسن عمر، ٱلذى يُسارع فى ٱلتسلق على سلالم ٱلكاهن مستعجلاً ٱلوصول إلى رتبة مجنون. فٱنظر من دون عجل، ولا تأسّى فيما كتبته. لقد كتبت تسألنى، ولم تنتظر جوابى فتجيب نفسك بما تؤمن به حتى ٱلأن وكأنّك لا تصدق بغيره!! فلو عدت إلى تلاوة ردى لوجدت لسؤالك جواباً. فقد ذكرت لك فى ردى ٱلسابق من دون ٱسهاب عمّا نصحك به ٱلأخ إبراهيم (بن) نبى، حتى لا تستشهد بٱلأحاد، لعلّك تمهل نفسك فى ٱلرد ولا تعجل. وجميع أسئلتك ٱلعاجلة عمّا كان يعلمه ٱلنبى،ويعلمه ٱلناس فى زمن ٱلوحى لن تجد عليها جواباً ترتاح إليه نفسك، إلا من جهدك أنت ومسئوليتك ٱلشخصية. فلا تطلب شهادة من كتب ٱلنصارى (لا قبل نزول ٱلقرءان ولا من بعده)، ولا فيما تسميه " ثقافة المجتمع الذي زامن نزول الوحي والأخبار.." على مسألة تتعلق بقولٍ فى كتاب ٱللّه ٱلمسلّم، وٱلمبلّغ إليك ، بوقت أنت ٱلوحيد ٱلذى يعلم بدايته. فلا تنتظر هداية مَن لا يهدىۤ إلآ أن يُهدى. فكلام ٱللّه إن لم يكن يهدى وحده، فلا رسالة ولا هداية.

عزيزى سامر

ٱلرسالة أتت إلى رجل واحد من ٱلناس على فترة من ٱلزمن، وعمل ٱلرجل على خطها وتسجيلها كما نزلت على قلبه، وسلمها لأهل بيته قبل موته لتكون بلاغاً للناس من بعده. وٱلناس هم ٱلذين يتحملون مسئولية فهم ٱلبلاغ وشرحه لأنفسهم كأفراد، وليس كجماعة. وٱعلم أنّ ما تعلمته من بيوت تعليم ٱلمسلمين ٱلبخاريين وٱلجعفريين عن صحابة ٱلرسول هو قول لا صلة له بٱلرسول ولا بٱلرسالة. وكنت قد قلت رأى فيهم فى كتاب "ٱلانقلاب". فٱلرسول ليس له أصحاب فيما يوحىۤ إليه، وهم كانوٓا أصحاب هجرة، وكان بعضهم من

ٱلأصحاب فى صناعة دولة ٱلمدينة بدافع ٱلمصلحة ٱلشخصية. ومن بعد موت ٱلرسول منهم مَن تابع مفهوم ٱلصحبة لحاجة بنآء مجد خاص به،ومنهم مَن تابع ٱلصحبة للدفاع عن مجد، فَقَدَ أسس بنآئه. وكلا ٱلمتابعين زعم ما يحتاجه من صحبته للرسول من ٱلقول، ومن فهم وتشريع . أما ٱلرسول؛ فكان يعلم أنّه ليس عليه هداية ٱلناس، وليس له عليهم سيطرة فيما يفهمون، وفيما يقولون. لأنّه يعلم أنّه ميِّت ولا سلطة لميِّت على حيٍّ. فٱلسلطة لا تكون إلا لحيٍّ. وأقوى وأبقى حيّ؛ هو ٱلحيُّ ٱلقيُّوم. وما عمل عليه ٱلرسول خلال فترة ٱستلامه للرسالة، هو ضرب ٱلمثل على ٱلهداية بٱلرسالة فى صناعة سلوكٍ وسلطة. ولنآ أن نهتدى به فى كيف يعيش ٱلرجل ويصنع سلطة مدينة، وفق هداية ٱلرسالة. ولنآ أن نكفر بتلك ٱلهداية، فنتبع ما يحلو لنا من دون إكراه. وبذلك، لم يكن ٱلنبى ولا ٱلناس يهتمون بتفسير كلمات ٱلرسالة، كما تهتم بها أنت ٱليوم، وكما تفعل فى تفسيرك لكلمة (نفس) وكلمة (جنّ) وتُجيد، مع أنّك تُخالف ما تسألنى عنه هنا! فما تقوله عن لساننا ٱلفصيح وعن (ثقافتنا)، وعن ما كان يعلمه ٱلناس فى زمن ٱلوحى لا يبيّن لى شيئا مما يريده ٱللّه فى رسالته لى. فقد وصلتنى ٱلرسالة بعد أن بلغت ٱلسادسة وٱلأربعين. وأنا فى ٱلعشرين من هذا ٱلشهر سأبلغ إن حييت ٱلواحد وٱلستين. فٱلرسالة لم تصلنى منذ زمن نزولها على محمد. وإن كنت بحاجة لما فهمه محمد وأهل زمانه حتىٰ أفهم ما يريده ٱللّه منى فلا حاجة لى بٱللّه ولا برسالته. وبكل تقدير وٱحترام، سأجيب علىٰ أسئلتك ٱلمتعلقة بكلمة "**خبيث**" و"**خنزير**" فأقول لك بما يتشابه لى فهمه أنّ قول ٱللّه{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ } هو قول شارح ومفصّل للقول{ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ } (157 ٱلأعراف). وفهمت من قول ٱللّه أنّ كلمة "خبيث" تنقض كلمة "طيِّب" وتبيّن ما فيها من قوى تُعثر ٱلطيب {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ } (58 ٱلأعراف). وفهمت من أمره{قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (145 الأنعام)

أنَّ{ لَحْمَ خِنزِيرٍ }رجس أو فسق. فسعيت لفهم ٱلرجس وفهم ٱلفسق قبل أن أقول بقساوة ٱللحم وتصلبه. فرأيت فى قول ٱللّه{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } (100يونس)

ما يبيّن لىٰ أنّ جعل ٱلرجس (على ٱلذين لا يعقلون) يشرح ٱلقول (ثمّ قست قلوبهم فهى كٱلحجارة أوَ أشدّ قسوة). كما يشرح لى ٱلقول (وجعل منهم ٱلقِردَةَ وٱلخنٰزير وعَبَدَ ٱلطَّٰغوتِ). ومن ذلك ظهر لى مفهوم ٱلقساوة لأى لحم يوصف بكلمة خنزير، وتوكّدت قساوته بٱلقول (إنّه رجس).فٱنظر فيما يلى من كتاب ٱللّه{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ۞قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ۞قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ۞وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ۞وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } (58 - 62 ٱلمآئدة).

لترى علاقة ٱلفسق فى قساوة ٱلقلب. فقد بدأ فى وصف ٱلفاسقين ٱلضَّآلّين (عن سوآء ٱلسبيل) فبيّن أنّهم (لا يعقلون). وهذا هو ٱلمدخل إلى ٱلفسق ٱلذى يوصل صاحبه إلى (لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وغضِبَ عليه وجعل منهم ٱلقِردَةَ وٱلخنٰزير وعَبَدَ ٱلطَّٰغوتِ).ومنه ترىٰ أنّ ٱسم (ٱلقردة) هو ٱسم جمع لناس، وليس لدوآبٍّ، ويدل على ٱلإعيآء وٱلثمود وٱلخضوع بذلٍّ وهون. وترى ٱسم (ٱلطَّٰغوتِ) وهويدلّ على نقيض ما يدلّ عليه (ٱلزيغ). وستجد فى ٱلقول (ما زاغ ٱلبصر وما طغى) ما يبيّن أنّ (ٱلطٰغوت) هو مَن يتجاوز حدود ٱلبصر من دون علم ولا هداية. وبذلك تعلم أنّ مفهوم (عَبَدَ) يبيّن مفهوم ٱلعبد ٱلمملوك لسيد مسيطر، ويبيّن فعل خضوع ٱلعبد لأمر سيده من دون عصيان. فتعلم أنّ ٱلذى (عَبَدَ ٱلطَّٰغوتِ) هو مَن ذلَّلَ نفسه للعمل على ٱلطاعة فى تجاوز جميع ٱلحدود من دون علم ولا عقل. وهو ٱلذى يعتدى عبادةً مِّن دون تفكير ولآ إرادة (أتوماتيك). وهو ٱلذى يلقى ردًا مِّن ٱلمعتَدَى عليه يذلّه ويخضعه ويشرد به. وهو ما يبينه ٱلقول (لعَنَهُ ٱللَّهُ وغضِبَ عليه) فيوصل بذلك ٱلمنهاج إلى ٱلثمود وٱلخضوع بذلٍّ مّهين ويصيبه

ٱلإعيآء. فٱلذى يفعل هذا به هوتذليل نفسه على ٱلعدوان وهو ما بينه ٱلقول (يُسٰرعون فى ٱلإثم وٱلعدوانِ). فيوصلهم منهاج عبادتهم هذآ إلىٰ أكل ٱلميتة وٱلدم ٱلمسفوح ولحم ٱلخنزير كما يبيّن ٱلقول (أكلهِمُ ٱلسِّحتَ). فيصيبهم ٱلثمود وٱلذلّ وٱلإعياء بفعل قساوة قلوبهم وعدوانهم ، وصدّهم لكلِّ رأى وقول، ويتجاوزون ٱلحدود من ٱلحق إلى ٱلباطل، ويطلبون ٱلضُّرَّ وٱلأذى وٱلعدوان على ٱلغير، ويأكلون ٱلجذاذ من كل شىء؛ لا يتركون شيئًا مّهما قلّ وصغر. وهؤلآء منهم مَن لا يعرفون للعفو سبيل من بعد أن (جعل منهم ٱلقِردَةَ وٱلخنٰزير).هذا ٱلأمر تجده فى قول أخر{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ }65 ٱلبقرة). وفى ٱلقول ٱلتالى بيان للسبب{فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} 165- 169ٱلأعراف. وفيه أن ٱلذين نسوا ما ذكرّوا به وفسقوا وظلموا وعَتَوا عن ما نُهُوا عنه، هم ٱلذين صاروا (قردة خٰسئين) يتسلط عليهم (من يسومهم سوٓءَ ٱلعذاب) يُطردون من ديارهم ويتفرقون فى ٱلأرض وتنشأ أمم مِّنهم ويصير (منهم ٱلصّٰلحون ومنهم دون ذٰلك).لقد دلتنى كلمة (قردة) فى هذا ٱلقول على وصف للناس . وعلمت أنّها لا تدل على دآبّة تحيا على ٱلأشجار كما يُظَّن بٱلدآبّة ٱلمقلدة أو monkey . ، وقد ٱقترن هذا ٱلوصف مع وصف (ٱلخنٰزير) فى ٱلبلاغ (60 ٱلمآئدة) وهم ناس قلوبهم قاسية ومفاهيمهم متحجّرة يحرفون بها جميع ٱلكلام{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }13 ٱلمآئدة. وهذا يجعلهم فى ضلال عن ٱلحق وعن تطور ٱلقول فيه{ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ

أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} 22 ٱلزُّمر. وما قاله، وعمله هؤلآء، وما يقوله ويعمله مَن يتبع منهاجهم هو ظنّ شيطان{فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } 43 ٱلأنعام. فٱلشيطان يزيّن للتابعين قول مَن سبقهم فى ٱلاتباع. فإن تابعوا في ٱتباعهم وٱمتنعوا عن ٱستلام رسالة ٱللّه إليهم، وٱلعمل على فهمها بمسئولية كلٍّ منهم، تقسى قلوبهم، وتمرض فيزداد فسقهم ويزداد ظلمهم لأنفسهم{ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } 16 ٱلحديد.

أخى ٱلعزيز سامر

عرضتُ ما يكفى من قول كتاب ٱللّه، ٱلذى يبيّن أن قسوة ٱلقلب، تجعل صاحبه خنزيراً. ومثله هو فعل ٱلقسوة فى ٱلطين ٱلذى يجعله حجراً، وفعله فى ٱللحم يجعله خنزيراً. وهذا جعلنىٓ أعلن ما فهمته من أنّ (لحم ٱلخنزير) لا يدل على لحم دآبّةٍ محدَّدة، بل على لحم أىّ دآبّة عجوز، صار لحمها قاسيًا عسرًا غليظًا. وأكله وهضمه عسرًا (ولا يخرج إلا نكدًا) وهذا يجعله خبيثًا يمسك فى لحم جسم أَكله، كما يفعل ٱلمرض ٱلخبيث (ٱلسرطان) أما ٱلقول (مَيتَةً أودمًا مَّسفوحًا أو لحمَ خنزيرٍ) فيبيّن ويفصل ٱلخبآئث في ٱلطعام بسبب أصلها غيرٱلحىِّ، أو بسبب أفعال ٱلمرجان بتحويل ٱلحىِّ إلى سوره ٱلترابية ٱلحجرية. قلت في ردّك ٱلثانى عن لغوى وتحليلي للمحرّمات فى ٱلطعام، ولغوى وتحليلي للدعارة!! فأكرر أن ٱلمحرّم عندي من ٱلدم هو ٱلمسفوح، وٱللحم ٱلمحرّم هو ٱلخنزير.

فقد قلت أنّ خروج ٱلنبات نّكداً، يبيّن ٱلعسر وٱلصعوبة، وقلّة ٱلنفع منه. وهذا جعلنىٓ أفهم أنّ ٱلطّيِّب يدل على ٱليسر وٱلسهولة وٱلنفع. ورأيت فى ٱلطيِّب من ٱلطعام ما لم يرد عليه قول للسلف من دليل للغضِّ وٱلطَّرى وٱلجيد، ٱلذى خلص من ٱلعيب. وهو ما جعلنىٓ أرى فى ٱلطعام ٱلخبيث، ما يدل على ما ينقض دليل ٱلطَّيِّب، وهو ٱلقاسى وٱلبايت وٱلفاسد. وبذلك سجلت على نفسي مسئولية فهمى لدليل ٱلكلمتين بعد أن علمت أن مسئوليتى؛ هى ٱلتى

يطلبها ٱللّه منى، من دون ٱلتفات لما كان يعلمه جميع ٱلسلف من نصارى ومسلمين {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }36 ٱلإسرآء. وبذلك رأيت أن دليل كلمة خنزير ضاع بفعل ٱلتحريف، وصار خفيًّا على مَن هيمن على ٱلسلطة، وتعليم ٱلدين من ٱلسلف، وما زال خفيًّا علىٰ أمثالهم من ٱلخلف إلى يومنا هذا. لكن؛ قد لا يكون هذا هو حال أشخاص، لم تترك لهم فرصة ليقولوا ما فهموه، ولا ليتركوٓا أثرا لفهمهم. فدعنا نبتهل إلى ٱللّه، ونسأله ٱلعون لعبده ٱلصالح (بل غيتس) ومؤسسته (مايكروسوفت) ٱلتى جعلتنا نتبادل ٱلرأى فى مفاهيم كان حرس سلطة ٱلكهنوت لها يرصدون فى كل وقت. فٱنظر إلى كتابى (ما هو سبيل ٱللّه؟) وكتابى (ٱلانقلاب) فستجد خاتم ٱلرقيب، ومنعه من نشر ٱلكتابين .لماذا؟ لأنه يحمل مفاهيم تهدّ مفاهيم ٱلسلف، ٱلذى يستمدّ منه حاجته فى ثبوت سلطته.

أما كلمة (دعارة): فهى ليست من كلامى، ولم ترد هذه ٱلكلمة فى أى عمل لى. وما قلته أنّ ٱلزنى هو عمل ٱلمشرك وٱلمشركة، وٱلزانى وٱلزانية. وقلت: أنّ ٱلبغآء تجارة متعة وهى مثل ٱلنكاح من فتياتكم ٱلمؤمنات. لأن مَن تعمل بغىّ ، فتاة ما زالت مشركة. وهى من بعد ٱلنكاح إن عملت بغيّاً، صارت زانية ومشركة. هذا ما قلته فىٰ أعمالى ولن أفصّل عنها هنا. فأرجو منك أن تعود إلى تلاوة مقال (نكاح ٱلمؤمنين) ومقال (محصنات). وإن لم يكن لديك نسخة مما كتبته عن هذا ٱلأمر، وما كتب من ردود فيمكننى نشر ٱلجميع على هذا ٱلموقع، لتعود إلى قولى، ولا تعجل.

أما ما قلتَ عنه (عقدة السلف) فهو ليس بذى شأن عندى، فأنا قطعت جميع ٱلحبال بينى، وبين ٱلسلف، حيث وضعتهم فى سلّة واحدة هى سلّة ٱللّغو .لكن؛ أنت ما زلت تسأل من دون أن تقطع بينك، وبينهم فقلت لى :(تخلص من عقدة السلف، ودعهم في حالهم، فأنا لا أعول على سيبويه ولا ابن جني ولا ابن فارس ولا الثعلبي..... ولا الدكتور نزار الدقر... ولا غيرهم!!. ولا مُشاحة في المصطلحات التي وضعها السلف، وليست هي محلاً لحوار، فأنا لا

أناقش دلالة كلمة (مضاف ومضاف إليه) أنا أناقش صياغة بنيوية للجملة، هل صياغة جملة (لحمَ خنزيرٍ) مثل صياغة (لحماً خنزيراً)!؟ وهل مدلولهما في الواقع واحد!؟ أما إتيانك بكلمة (خبيث) وذكرك أنها تشارك مفهوم (لحم الخنزير)، فهذا استدلال في غير محله، فأنا لم أطلب منك ذكر كلمة تشارك مفهوم (خنز) في الدلالة، من باب أن كل خنزير هو لا شك أنه خبيث، والعكس غير صواب، والعلاقة بينهما علاقة خاص بعام). وأنا كنت قد بيّنت لك فهمى للقول (لحم خنزير) أنّه (ٱطلاق أُبعد به (لحم خنزيرٍ) عن لون دآبّة محدّدة) من دون أن يكون بين أيدينا ذلك ٱللحم. أما عن قولك: (لحمًا خنزيرًا) فأقول: أنه يحدّد لحمًا جرى ٱلنظر فيه وخرج منه بحكم خنزرة موكّدة فيه من دون حاجة للسؤال عن مصدره. فليس لهما دليل واحد. فٱلأول يبيّن هداية لنا للنظر فى كلّ لحم لنعلم بطيبه أو بخنزرته .وٱلثانى يبيّن حكماً صدر على لحم علمنا بخنزرته. ٱعذرنى؛ فقد أطلت فى ٱلقول. وقد كان ٱلسبب هو حبّى لنفس حامية على ٱلبحث، فأردت أن أضع بين يديها ما تشابه لى فى هذه ٱلمسألة لتعمل عليه من دون عجلٍ فى ٱلحكم ٱلذى صدر عن ظنٍ بلغوى، وتحليلى لما هو محرّم. وأذكّرك بقول ٱللّه:
{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً } 114 طه. فٱلعلم يأتيك من ٱلنظر وٱلبحث وٱلصبر بمسئولية شخصية، تستطيع بها ٱلتعاون مع مَن ينظرون،ويبحثون ويصبرون فيعلمون. ولا يأتى علم من ٱتباع سلف، مهما بلغ شأن هذا ٱلسلف.

لك تحيتى، ومحبتى، وتقديرى

رد إسلامبولي على سمير حسن

(6)

الأستاذ سمير حسن المحترم تحية طيبة وبعد

شكراً على شعورك الطيب تجاهي ، وإن شاء الله يطول بك العمر فيما ينفع الناس في نهضتهم الإنسانية.

سيد سمير

ليس من منهجي تبرير، أو تقرير، أو الدفاع عن أقوال السلف صدرت من أي كائن منهم، وأنا أتعامل مع القرآن ببعده الكوني والعلمي، ، ولكن ما ينبغي أن أهمل البُعد التاريخي، والثقافي للقرآن ، فهو لم ينزل في الأمس ! ، وضربت لك مثلاً دلالة كلمة (الدم)،وقلت: هل يمكن أن تقبل من أحدهم أن يقول أن دلالة كلمة (الدم) هي مفهوم، ولا علاقة لها بالاستخدام المعرفي السائد في المجتمع الذي زامن نزول الوحي ؟ وبالتالي فحكم التحريم غير متعلق بالسائل الأحمر الذي يجري في جسم الكائنات الحية ، وإنما هو كذا، وكذا.! وأنت تعلم أن استخدام دلالة الكلمات يخضع للموت والحياة على سلم تطور المجتمعات ، وهذا يعني اختفاء الدلالات ، وبالتالي يصير النص القرآني التكليفي المتعلق بأفعال الناس مفرغ من محتواه، ولا يوجد له مدلولات في الواقع ، وإنما كل مجتمع يفهمه بطريقته الخاصة. أما باقي تعليقك، فأنا أعيد وأكرر تعليقي السابق وأسئلته.

س1- **ما حكم أكل لحم البشر قبل أن يصير لحمه خنزيراً (قسوة وتصلب)!؟**

س2- لم تأت إلى الآن بمثل على كلمة من اللسان العربي تبدأ بحرف (خ) وتدل على القسوة أو التصلب !؟

س3- لقد ذكرت حضرتك في تعليقك على أحد الأخوة (فٱلحرام هو أكل ٱلتراب وٱلدم ٱلذى جفّ مأوه وتصلب ترابه، ولحم رجست فيه ٱلأتربة فخبثت فيه.) فهل الدم الذي مازال يحتوي على الماء مباح تناوله !؟

س4- ما الدليل على أن كلمة الدم يقصد بها هذا السائل الأحمر !؟

س5- لماذا لا تكون دلالة كلمة (الميتة) هي الأشياء التي لا حياة فيها أصلاً نحو الأحجار والتراب ، وبالتالي التحريم يتعلق بها ، ولا علاقة للتحريم بالكائنات الحية التي تموت !؟ وخاصة أنه في الهند يوجد من يأكل التراب !؟

س6 - هل القرآن قائم على الصيرورة فقط ، ولا يوجد له سيرورة !؟

س7- من قال: إن كلمة الشمس هي هذه المعروفة في السماء ، وكذلك الكواكب والأرض والنجوم والقمر !، ما دلالة الفاحشة والزنى ؟ والوالد والأب ، والجهاد والقتال .. الخ، هل يمكن لكل مجتمع أن يفهمها حسب أدواته المعرفية؟

وبالنسبة للبغاء

أليس هذا قولك :(ورأيت أنّ ٱلبِغآء عمل للمتعة وللتجارة فيها، لا منع له، ولا حرام فيه.)، (أماٱلبِغآء ، فيظهر من ٱلبلاغ، أنّه عمل مشروع لكلٍّ من ٱلذكر وٱلأنثى بٱلفطرة ٱلتى يسبق فيها بلوغُ سنّ ٱلنكاح سنَّ ٱلرّشد، ولا يوجد فى ٱلبلاغ منع له)(.أما ٱلبِغآء فهو تجارة للمتعة تأذن بها سلطة ٱلمجتمع، وتلقى منها ٱلحماية وٱلرعاية.) (وهذا يبيّن أنّ ٱلمؤمنين يعملون فى هذه ٱلتجارة، وما يطلب منهم، هو ٱلامتناع عن فعل إكراه فتياتهم فى هذه ٱلتجارة لا ٱلامتناع عنها) .(لم أجد فى كتاب ٱللّه منعاً لتجارة ٱلبِغآء ولاحكماً على بغيّ) (وٱلثانية مؤمنة مشركة لا تحصن فرجها بسبب نقص فى علمها وإرادتها وعزمها كما هنّ "فتيٰتكم ٱلمؤمنٰت". وهذه ٱلفتاة تعمل بغيًّا فى بيت للبغآء يملكه أو يشرف عليه مؤمن، أو غير مؤمن فيحميها من ٱلأذى وٱلعدوان وٱنتقال ٱلأمراض.)

{وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } 33 ٱلنور .فهو يطلب من ٱلمؤمن ٱلامتناع عن إكراه فتياته على ٱلبِغآء (إن أَرَدنَ تَحَصُّنًا). أمآ إن لم يردن ٱلامتناع فعملهنّ مشروع بٱلفطرة، ورعاية ٱلمؤمن، وحمايته لهنّ فى عملهنّ واجب عليه).

وتقبل تحياتي العربية – سامر

رد سمير حسن على إسلامبولي

(7)

ٱلسيد سامر ٱلمحترم تحية طيبة

شكرا على تمنياتك ٱلمتعلقة بعمرى. أما مشاعرى ٱلطيبة فهى متوفرة لدى لأنىٓ أصلِّى على نفسى، حتى لآ أكون من ٱلذين قست قلوبهم، ولآ أكون فظًّاً غليظ ٱلقلب. لكن عليك أن تعلم أنّ ٱلمشاعر ٱلطيبة تردّ ردّا قاسياً على مَن يتابع ٱلاعتدآء عليها.

فيا سيد سامر كانت إطالتى فى ردى ٱلثانى تتعلق بمقالك عن ٱلخنزير، ولم أجبك على مآ أثرته من مسآئل أخرى، كٱلزنى وٱلبغآء وغيرها، ٱلتى قلت أنى لغوت وأعجمت فيها: (انظر إلى اللغو والعجمة إلى أين أوصلتك؟

1-إباحة الدعارة بشرط عدم الإكراه.

2-إباحة شرب الخمر بشرط عدم غياب العقل!، وهذا ينسحب إلى تعاطي المخدرات والحشيش.

3- إباحة تناول الدم إذا كان سائلاً ومحافظاً على الماء فيه !؟

4-إباحة أكل لحم حيوان الخنزير، ومن باب أولى السباع والضباع والكلاب والقطط والجرذان والفئران والأفاعي...!، ولا أدري ماذا تقول بحكم أكل لحم البشر حديث عهد بالموت أو قتلى الحروب ؟

وقد تكرر فى جوابى على ما يتعلق بٱلكلمات (قست وقاسية وقسوة ورجس وفسق) ٱلتى بيّنت لى دليل كلمة "خنزير". وبذلك أكون عرضت لك ما بنفسى من منهاج يوصلنىٓ إلى دليل ٱلكلمة فى كتاب ٱللّه بمعزل عمّا فى نفس غيرى من ٱلناس موتى كانوٓا أم أحيآء. ولك بعد ذلك أن تعقل ما بين عرضى لما بنفسى، ولما بنفسك، ثمّ تحكم وتقول. ولك أن تبحث

فى ٱلكلمات ٱلتى تبدأ بٱلمّدة (خ) من دون أن تطلب منى ٱلبحث عن أمر تظنّه أنت. فقد أوردت لك كلمة "خبيث" لظنىٓ أنّك ستقبل بها دليلاً على ٱلمسك بٱلشىء وتوليد ٱلقسوة فيه. لكن كان ذلك ظنًّا للأسف. لقد قلت وأنت تهزو بمآ أطلت به لك من قول: (أما باقي تعليقك)! مع ٱلعلم أنّ مَن ينظر فيما كتبته أنا سيرىٰ أنى لم أعلّق بل أجبت فأطلت وفصّلت! وبذلك ٱلهزو تحاول أن تظهر للمتابعين أنى كمن لم يفهم فتقول: (فأنا أعيد وأكرر تعليقي السابق وأسئلته). فعلى ماذا تريد جواباً ؟ هل تريد جواباً مفصّلاً ومطابقاً لما بنفسك من منهاج وفهم؟وهل تظنّ أنّك بأسئلتك سيصدّق ٱلمتابعون بما تحاول من طعن بما قلته فى ٱلتحريم وٱلتحليل؟مقالاتى وكتبى منشورة، وٱلجميع يسأل، ويحاور، ويجادل، لا للتسلية وٱللهو، بل لتبادل ٱلأرآء وٱلمفاهيم، وإسقاط ٱلوثنية ٱلموروثة من ٱلنفس. هناك مَن لهم ذات ٱلمنهاج ٱلذى تتبعه أنت. فقد سبق وحدث لى مثل ذلك ٱلطعن مع ٱلسيد فوزى فراج على موقع (أهل القرآن) فى ٱلتعليقات وٱلردود على مقال "نكاح ٱلمؤمنين". فكان يسألنى ، وأجيبه بجهد وتفصيل، كما فعلت معك هنآ. إلآ أنه كان يعود بذات ٱلأسئلة ٱلملغّمة ، وكأنى لم أجبه. ما تقوله يا سيد سامر عن مفهوم ٱلمضاف وٱلمضاف إليه يجعلنىٓ أطلب منك أن تبيّن لى ما تفهمه أنت منه؟ غير ما يعرفه جماعة ٱللغة ٱلفصحى. ما هو فهمك أنت للقول (ٱلميتَةُ وٱلدَّمُ ولحمُ ٱلخنزيرِ) وٱلقول (ميتةً أو دمًا مسفوحًا أو لحمِ خنزيرٍ)؟ لعلّ ٱلقول بٱلمنكر وٱلمعرّف له ما يدلّ على مفهوم لم أعلم به، ويكون لك فضل فى ٱكتسابى ذلك ٱلعلم. فإن كان جوابك هو ما ٱستقرّ عليه فهم ٱلسلف، فلا تجهد نفسك فى ٱلعرض له، لأنه عندى لغوٌّ وتحريفُ كافرين. فما قال عنه ٱلسلف (ٱل ٱلتعريف) لا يكفينى لأفهم أنّ ٱلدليل يسوقنىٓ إلى دآبّة معروفة ومحددة. ولذلك عملت نظرى ومسئوليتى فى محاولة للفهم ٱلمسئول، ورأيت أنّ (ٱل) تبين ثوراً موصولاً بعصا راعى ٱلبقر. وهذا جعلنىٓ أفكر بفعل ٱلثور وبفعل ٱلعصا. وبذلك تشابه لى مفهوم إثارة ٱلنظر وتوجيهه فى ٱلشىء، أو ٱلأمر ٱلموصولين فيه. وفهمت أن ٱلقول "لحم خنزير" وصف

للَّحم ٱلمحرّم على ٱلمؤمنين من دون تحديد لمصدره (وهو غير محرم على ٱلجاهلين) .وفهمت من ٱلقول "لحم ٱلخنزير" أنّه لحم جرى نظر مؤمن فيه ، وعلم ٱلناظر بخنزرته. وهذا لم يحدّد لى دآبّة معروفة، كما قال جماعة ٱلمضاف وٱلمضاف إليه. ثمّ ماذا ينفعك قولك عن نفسك: (ليس من منهجي تبرير، أو تقرير، أو الدفاع عن أقوال السلف صدرت من أي كائن منهم، وأنا أتعامل مع القرآن ببعده الكوني والعلمي، ولكن ما ينبغي أن أهمل البعد التاريخي والثقافي للقرآن، فهو لم ينزل في الأمس!)؟ فهل فى قولك هذا غير ٱلتوكيد على منهاج ٱلسلفية، وإنكار أن يكون ٱلقرءان مرسلاً للناس كآفّة وأنت توكّد بنفسك أنّك منهم؟ ألم تقل عن ٱلقرءان (وهو عندك قرآن) أنه (لم ينزل في الأمس)، وبذلك تعترف أنّك لم تستلمه، وإنّما ٱستلمه ٱلسلف، وأنّك ٱستلمت ما فهموه؟ تقول وأنت تسخر: (وضربت لك مثلاً دلالة كلمة (الدم) وقلت: هل يمكن أن تقبل من أحدهم أن يقول أن دلالة كلمة (الدم) هي مفهوم، ولا علاقة لها بالاستخدام المعرفي السائد في المجتمع الذي زامن نزول الوحي؟ وبالتالي فحكم التحريم غير متعلق بالسائل الأحمر الذي يجري في جسم الكائنات الحية، وإنما هو كذا وكذا!!). وكأنك تسخر من جهد غيرك فيما عرضه من فهم مسئول للدليل ٱختلف مع ما بنفسك من موروث محروف بكلمة (دلالة) .ثمّ ما علاقة قبولى بما ضربته من مثل لا سبب يدعوك لضربه سوى ٱللغو وٱلكعن ٱلذى لا ينفع جادّا ؟ فما قلته أنا عن ٱلدّم ٱلمحرّم أنّه ٱلدّم ٱلمسفوح سندا للقول (ميتَةً أو دمًا مسفوحًا أو لحمِ خنزيرٍ) ولم أقل ما جعلك تقول: (فحكم التحريم غير متعلق بالسائل الأحمر الذي يجري في جسم الكائنات الحية، وإنما هو كذا وكذا!!). وماركزت قولى عليه هو كلمة "مسفوح" وليس كلمة "دم" وهو ما لم يرد فى قولك (إلا أن يكون ميتةً أو دماً أو لحمَ خنزير) فحذفت كلمة "مسفوحا" لأنّك لا تريدها. سخريتك يا سيد سامر تبيّن لىٓ أنّك تثير أسئلة لا تنتظر جواباً عليها!! فلو كنت جادًّا لعلمت أنىٓ أجبتك عن ٱلدم، وقد

عرضت أنت ما قلته أنا لغيرك. ومع ذلك سأكلف نفسى وأقول لك أنّ ٱستعمال ٱلكلمة يخضع لما بيّنه ٱلقرءان من سنّة فى قوله ٱلتالى:

{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 106 ٱلبقرة. فٱلكلمة فى ٱلقرءان منسوخة، وليست منسيّة كما هو حال كلمة "اِنوش" ٱلتىٰ أتىٓ أحسن منها فى كلمة "إنسان". وهذا لا علاقة له بما تسميه أنت (البعد التاريخي والثقافي للقرآن) وأقول لك أنىٰ أفهم أنّ ٱلدّم هو سآئل أحمر كما يعلمه جميع ٱلناس، وهو إن كان مصدره طيّب، فهو طيّب، وإن ترك ليسفح خبث. وإن كان مصدره خبيث، فهو خبيث. فلك أن تقبل فهمى، ولك أن تتركه. أما ما عرضته فى سؤالك عن لحم ٱلبشر، فأنت لا تسأل بحثا عن جواب عندى. بل لتقول للناس أنىٰ أحلل لحم ٱلبشر. وأقول يا سيد سامر أنّ هذا ٱلسؤال هو من أساليب طاغوت ٱلكهنوت ٱلذى يسعى بمكر وخبث لإبعاد ٱلناس عن ٱلحقّ. وبذات ٱلأسلوب كان عرض أسئلة ٱلسيد فوزى فراج عن ٱلزنى وٱلبغآء وٱلفاحشة، وأنت هنا تكرره. وما قلته أنا معروض ولم يتغيّر حتى ٱلأن فهمى ٱلمتشابه له. فٱلزنى حرام على ٱلمؤمنين وحدهم، وحلال للمشركين. وٱلبغآء تجارة متعة، وليست زنى. وما هو ممنوع فى هذه ٱلتجارة هو إكراه ٱلمؤمن لفتاته عليها.

وعلى ٱلرّغم من هذا ٱلأسلوب، فسوف أتابع عرضى لما يتشابه لى مهما مكر ٱلطاغوت، وأتباعه، ومنهم (القرآنيُّون). فأنا مؤمن بٱللّه ٱلذى جعل فى ٱلأرض خليفة يخلف بٱلوصف "خير ٱلماكرين." ٱلناس فىٓ أىٍّ مجتمع ينقسمون إلىٰ أكثرية مشركة زانية وأقلية مؤمنة محرّم عليها ٱلزنى، ومطلوب منها ٱلاستعفاف عن نكاح ٱلفتيات ٱلمؤمنات وعن ٱلبغآء. وسلطة مثل هذا ٱلمجتمع حتى ولو كانت من ٱلمؤمنين عليها فيما تشرعه أن تتذكر قول ٱللّه "لآ إكراه فى ٱلدين" فتشرع ما يناسب ٱلأكثرية ، ويكون للأقلية ٱلمؤمنة شرعها ٱلخاص بها، وتجمّع خاص بها ، ولها محاكمها وميثاقهآ. أمآ إن شرّعت ما يكره ٱلأكثرية، فتفقد مفهوم ٱلمؤمن، وتتحوّل إلى سلطة

طاغوت. أما ما تزعم به من حرص إيمانى على ما ورثته تاريخياً من هذه ٱلمفاهيم ٱلتى تسوقها فى صورة أسئلة لمأربِ ٱلتشهير وٱلطعن، فهو ينفى عنك ٱسم مؤمن، ويجعلك فى حلف ٱلذين كفروا من ٱلكهنوت ٱلجديد ٱلذى يحمل ٱسم "قرآنى ."

مع تمنيات بخلاصك من هذا ٱلمنهاج

إنهاء الحوار من قبل إسلامبولي

الأستاذ سمير حسن المحترم

تحية طيبة وبعد

أولاً أنا لا أنتمي إلى أي جماعة أو حزب مهما كان اسمها أو اتجاهها، ومع العلم أني أتخذ القرءان منهجاً وأعدّه مصدراً لسانياً وفكرياً ، وهو المصدر الوحيد للتشريع الإلهي الدائم، وأتعامل معه بمنهج النبي إبراهيم الحنيف وفق محور الثابت والمتغير.

{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم }الزمر55

وسؤالي عن أكل لحم البشر ليس لتوريطك أو ذمك أو إنقاص منك قط، وإنما لأسلط الضوء على خطأ بعض القواعد أو الأسس التي تعتمد عليها في بحثك واستنتاجك.

وعلى كل؛ شكراً على أسلوب حوارك ، وفرصة طيبة ، وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

وتقبل تحياتي العربية .

سامر 2007/10/15م

الباحث السّوري سامر إسلامبولي
في حوار مع جريدة"الوقت" البحرينية1/1
المشكلة في العقلية السلفية وليست في القرآن

الوقت – أجرى الحوار نادر المتروك **1/1**

الباحث السّوري سامر إسلامبولي ، عناية مركّزة في دراسة النصوص التأسيسية للإسلام، وتحديداً القرآن الكريم، ونصوص السّيرة النبوية ومتعلقاتهما، وذلك من منطلق إيماني بحت، فهو يؤمن أن المسلمين أقاموا حضارتهم المتقدّمة ، التي كانت نواةً لحضارة الغرب؛ انطلاقاً من آلية التفاعل مع النصّ القرآني، وبحسب الإمكانات المعرفية المتوافرة حينئذ. ويذهب إسلامبولي أن مشكلة النصّ القرآني اليوم مُتأتية من العقل السلفي، وأمراض الاتباعيّة ، التي لا تُهيئ الأرضية المناسبة للتفاعل المناسب مع القرآن. وفي حين يؤكّد إسلامبولي على خصوصية القرآن ، وأنها نابعة من بُنيته ذاتها، فإنه ينتقد مشروع محمد أركون في مقاربة القرآن، والإيمانيات ، ويراه مشروعاً فاشلاً. الجزء الأول من الحوار يُركّز على جملة من القضايا الخاصة بدور القرآن، وتأثيره النهضوي، ومعنى الاكتمال، والخاتمية التي جاء بها.

القرآن.. الموقع والدور

1س– ليس من الإفراط؛ ولا الاختزال، القول بأن القرآن الكريم يحتلّ مركزًا محورياً داخل الحضارة الإسلامية. ما هو البُعد/ الأبعاد؛ التي تُؤهل نصّاً لغوياً ليحظى بهذه المحورية ؟

ج – النصّ اللساني حتى يصيرَ محوراً لثقافة مجتمع ينبغي أن تتحقق به عدة أبعاد، أهمها:

– **بُعدٌ غيبي** متمثلاً بتعالي وعظمة الجهة التي صدر النص منها.

– **وبُعدٌ إيماني**، متمثلاً بإيمان الناس بالبُعد الغيبي للنص.

- **وبُعـدٌ فكـري فلـسفي** متمـثلاً بـاحتواء الـنص للأجوبـة عـن الأسـئلة الفطريـة الثلاثـة [كيف،لماذا،أين].

- **وبُعدٌ تعبدي** متمثلاً بإشباع غريزة التدين عند الإنسان، التي تظهر من خلال استخدام النص في إقامة الشعائر التعبدية، والخشوع والذكر والخوف والدعاء والابتهال والتعظيم.

- **وبُعدٌ نفسي** متمثلاً بحصول السعادة والسرور من جراء تفاعل الإنسان مع النص.

ويُضاف إلى الأبعاد السابقة بالنسبة للنص القرآني:

بُعدٌ نهضوي، وبُعدُ الكمال والصلاحية، وبُعدٌ علمي.

2 س- كيف يمكن توضيح أن تقوم حضارة كبرى، وتزدهر على مدى قرون؛ وتُنتج إسهامات معرفية وحضارية؛ انطلاقاً من نصّ يُقال بأنه يتميز بالرمزية والكثافة اللغوية، والإشارية العامة؟

ج - لقد استطاع العرب المسلمون إنشاء حضارة كبرى ازدهرت على مدى قرون، وأنتجت إسهامات معرفية، وحضارية، كانت بذوراً ونواةً للحضارة الغربية فيما بعد. وهذه النهضة والحضارة لم تنشأ من النصّ ذاته، بدليل أن النص مازال موجوداً الآن كما كان، ولكن المجتمع العربي والإسلامي الحالي متخلف على الأصعدة كافة ! فالنهضة والحضارة نشأت من خلال تفاعل المجتمع العربي الأول مع النص القرآني بصورة واعية حسب المستوى المعرفي حينئذ، فأخذ من النص القرآني منطلقاته و مرتكزاته، وأسقطها على أرض الواقع، فالنهضة لابُد لها من عاملين أساسيين، وهما: **الفكر، والإنسان الفاعل**، ولا يمكن أن يُستغنى عن أحدهما أبداً، فعندما تفاعل المجتمع الأول الذي زامن نزول النص مع النص الذي يحتوي على فكر كلي مستنير؛ استطاع أن يُنشئ نهضةً وحضارةً كبرى. والذي حصل فيما بعد، أن المجتمعات اللاحقة عوضاً عن أن تتفاعل مع النص مباشرة، وتسقطه على الواقع؛ قامت بإعادة تفاعل المجتمع الأول، وأسقطته على مُعطيات واقع جديد، ومن الطبيعي ألا ينشأ نهضة أو حضارة من

تفاعل سابق انتهى مفعوله، ولا بد من تفاعل حي جديد مع النص القرآني حسب الأدوات المعرفية الجديدة، عندئذ يمكن أن نعود إلى إنشاء نهضة وحضارة .

الثابت والمتغيّر

3س- لماذا لا يؤدي هذا النص دوره النهضوي مجدداً اليوم؟

ج – النص حتى يصلح للتفاعل الجديد لكلّ مجتمع؛ ينبغي أن تكون بنيته قائمة على الثابت والمتغيّر، ليضمن التواصل والتطوّر، لذلك أتى النص المتعلق بالجانب المتغيّر بصيغة الرمز والإشارة، ليُغطي ويواكب المستوى المعرفي لكلّ مجتمع، ويظهر مصداقيته بواسطة العلم من خلال الآفاق والأنفس في كلّ مجتمع، وهكذا تتوالى وتتراكم شهادات المصداقية للنصّ القرآني في كل مجتمع،{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } فصلت(53)، **فالمشكلة ليست في النص القرآني، وإنما في عقلية الإنسان الحالي، والثقافة السلفية الماضوية، التي تحكم المجتمع**، فنحن نعاني من أمراض اجتماعية خطيرة، متمثلة بإتباع الآباء، والأكثرية، والنظرة الأحادية للأمور، ورفض الآخر، وعدم التعايش معه ، واحتكار فكرة الخلاص، والنجاح في الدنيا والآخرة، وغياب المنهج العلمي في التعامل مع الأمور، ونفي مفهوم الأسباب والعلل في حصول الأحداث، وغير ذلك من الأمراض والآفات الاجتماعية. فالدور النهضوي الآن مناط بتفاعل الإنسان، وبصورة علمية وواعية مع النص القرآني، وفهمه من خلال إسقاطه على محله من الخطاب، مستخدمين في ذلك أرقى الأدوات المعرفية، التي وصل إليها المجتمع الإنساني.

4 س- كيف تفسّر تراجع التعاطي النهضوي مع النصّ؟ أهي الدورة الخلدونية، أم الترتيبات والاستحقاقات الموضوعية الضاغطة؟

ج – هلاك الدول؛ أمر غير محدّد بزمن معين، أو بتوالي عدة أجيال، وإنما هو قانون إلهي يحكم حياة وموت الأمم ، من خلال تعاطي هذه الأمة لمعطيات قانون الحياة أو الموت، فيمكن للأمة أن تُطيل عمرها النهضوي من خلال الأخذ بقوانين استمرار النهضة، فالأمة التي

يسود فيها القانون المؤنسن ويحكمها مؤسسات مدنية تحفظ حقوق الإنسان وحرياته، وتمكنه من القيام بواجباته، وتستخدم العلم في بنية المجتمع، يطول عمرها، وتدفع عن نفسها قانون الموت من أن يطولها عاجلاً، وذلك من باب؛ **دفع أقدار الحق بالحق للوصول إلى الحق.**

فالأمة؛ هي التي تختار السير في طريق الحياة أو الموت، ولا علاقة للأحداث السياسية والمؤامرات والضغوط العالمية في عدم نهضة أمة معينة، فلولا القابلية للاستعمار، والمرض الذي ينخر في جسمها لما تحلل المجتمع وتفكك. فالنهضة تكون من داخل الأمة من خلال بعث فكر كلي نهضوي يحمله المجتمع، ويتفاعل معه ، ويتحول إلى الفاعلية لذلك قال تعالى: { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } الرعد(11)، **والتغيير؛ لا يكون بقطع الرؤوس، وإنما بتغيير ما بالنفوس من مفاهيم الحقد، والكره والعداء، والأنانية، ليحلّ محلها مفهوم الحب، والسلام ، والتعايش، والتعاون والتماسك، في عملية عمران الأرض، والخلافة فيها للوصول إلى سعادة المجتمع بكل أطيافه، وتحقيق الأمن والعدل له.**

القرآن: النص ، والعلوم الحديثة

5س– كيف يمكن التفريق ، أو التمييز بين نص أدبي جميل (هو بشري في النهاية)، ونص آخر مقدس؟

ج– إن التمييز بين نص أدبي، وآخر مقدس، يبدأ من مسألة الإيمان أولاً بمصدرية النص، وإذا حصل هذا الإيمان بقدسية النص من خلال البرهان العقلي العلمي عليه؛ لم يعد الأمر متاح للمقارنة بين نصّ إلهي، وآخر بشري على الأصعدة كافة. رغم أن الصور الأدبية الجمالية ليست مقصداً بحد ذاتها في النص الإلهي، وإنما تمّ استخدام أرقى أسلوب أدبي فني لصياغة النص المقدس ليحتوي مضموناً مقصوداً من قبل الإله العظيم. وصار النص المقدس بهذه المواصفات مقياساً ومعياراً ، يتم على موجبه قياس مدى رقي، وعلو النصوص الأدبية البشرية مع بقائها دونه بصورة دائمة.

6 س– وهل يمكن، أو يصح، تطبيق إمكانات عالم النصوص الحديثة (الشعرية، الأسطورية..) على النصوص المقدسة؟ هل بالإمكان اكتشاف عناصر داخلية مميزة

لمستوى وعالم النص المقدس؟ وما هي الوسائط المنهجية التي يحق لنا من خلالها قراءة النصوص المقدسة بوصفها نصوص أديان لا نصوصاً أدبية؟

ج- لا يصحّ تقويم وقياس النص المقدس بمعايير أدبية وضعية متغيرة ، لأنه ليس نصاً أدبياً أصلاً، ولا يهدف هذا الجانب، وإنما يهدف الهداية للناس والنهضة بهم. والنص القرآني قد احتوى في بنيته وسائط منهجية ، يمكن أن يستخدمها الباحث في دراسته إذا اكتشفها، لأن النص القرآني متميّز في بنيته وتناوله للأمور، ومن أهم الوسائط المنهجية في القرآن هي ربط الخطاب القرآني بمحله من الواقع، فهو يدفع الباحث إلى النزول إلى الواقع ليعلم مصداقية النصّ القرآني من خلال تطابق الدال مع المدلول عليه للوصول إلى الدلالة العلمية، وفي حال لم يتم التطابق بين الدال والمدلول عليه، يطلب النص القرآني من الباحث إعادة البحث مرة أخرى ، وتغيير طريقة البحث، والحصول على أدوات معرفية أدق وأرفع مستوى من الأولى، وتغيير طريقة نظرته إلى النص، ومتابعة البحث، وهو على ثقة أن المطابقة أمر لازم إيمانياً، وعلمياً وإلاّ انتفى عن النص صفة القداسة لاختلافه مع محل الخطاب من الواقع. وهذا لا يمكن أن ينطبق على كلام الله ﷻ أبداً، لأن المتكلم عن الفعل هو الفاعل نفسه. وموضوع إيجاد الوسائط المنهجية لدراسة النصّ المقدس موضوع كبير جداً ، ويكفي ما أشرت إليه من وجود ذلك في بنية النص ذاته، فالله ﷻ أنزل مفاتيح النص مع النص ذاته، وهذا ينطبق على النص القرآني فقط، كونه نصاً إلهياً نزل بلسان عربي علمي قائم -أيضاً- على الثابت والمتغير، واستخدم أصوات عربية علمية لها مفهوم فيزيائي في الواقع، وبالتالي انتفى عن اللسان العربي ظاهرة تطابق لفظين مختلفين التي اشتهرت خطأً باسم الترادف، وقام على قاعدة: إذا اختلف المبنى اختلف المعنى، ومن الطبيعي أن ينتفي عنه أيضاً المجاز، لأنه أسلوب خلاف الحقيقة، بينما لابد من وجود التطابق بين لفظين في الاستخدام الإنساني ضرورة لأنه يستخدم الأصوات العربية بصورة اعتباطية، ويحتاج في كلامه للمجاز لقصوره عن التعبير عن الحقيقة كما هي.

لذا؛ النص القرءاني هو الوحيد الممكن قراءته قراءة معاصرة متجدّدة حسب الأدوات المعرفية المتنامية.

النصّ والخطاب

7 س– تطرح الألسنية الحديثة مفهومَي النص والخطاب، وبعض الباحثين يُقيم تفريقاً بين النص القرآني، والخطاب القرآني، مفضلاً استخدام الثاني لوصف مرحلة التلفظ الأولية للقرآن من قبِل النبي ﷺ ، ولا شك أن لهذا الاستخدام لحظات انتربولوجية ونفسية على ضوء التمييز الواقع بين الخطاب الشفهي والخطاب الكتابي، وما ينتجه كِلا الخطابين من فهم وذاكرة وعقل متفاوت. فما هو رأيكم بهذه التفرقة؟ وهل ترونها مُجدية على صعيد القرآن، وظاهرة الوحي الإلهي عموماً؟

ج – لا شك أن وقع دلالة مفهوم الخطاب، أقوى على النفس من وقع مفهوم النص، وذلك لأن مفهوم الخطاب يدل على وجود متكلم، وآخر مُخاطَب ، مما يُعطي للخِطاب صفة الحياة، ويَشعر المخاطَب بالمسؤولية، ويشارك المتكلم إلى حدّ معين بصياغة المفهوم، بينما مفهوم النصّ يدل على السكون، وغياب المتكلم، وانتفاء التفاعل معه، ويَشعر القارئ للنص أنه يُملى عليه إملاءً. أما ربط مفهوم الخطاب بالمرحلة الزمنية الأولى التي نزل النص فيها؛ فأنا أرى أنّ الخطاب مستمر لكلّ الناس عبر الزمان والمكان من خلال وجود وحفظ الرسالة الإلهية الموجهة لكل الناس، لذا؛ ينبغي التعامل مع الخطاب القرآني بصورة فاعلة، لأنه حقيقةً هو موجّه لنا، ومطلوب من كلّ إنسان ومجتمع أن يتفاعل معه، وكأنه نزل الآن علينا، ومطلوب منا تنزيله على أرض الواقع عملياً حسب معطيات الواقع، وترتيبه حسب سُلّم الأولويات والحيثيات التي نعيشها، وقد صدق من وصف الخطاب القرآني؛ بأنه خطابٌ حيٌ، و من حيٍ إلى أحياء.

القرآن والمشروع الأركوني

8 س– السعي قائم اليوم لإدخال القرآن في ميدان البحث التاريخي والانتربولوجي والألسني الحديث. أبرز الأمثلة على ذلك ما نجده عند (محمد أركون) فيما يُسميه بالإسلاميات التطبيقية، وهو يُطبق هذه المنهجية على كافة خطابات الوحي، معتقداً أن

ذلك هو الطريق لإنهاء تاريخ الكراهية بين الأديان. ما هي أسس ومنطلقات المشروع الأركوني؟

ج- إن أهم أسس مشروع أركون في عملية نقد العقل الإسلامي تبدأ من نفي وجود مسلمات إيمانية، وإعادة كلّ المسائل للدراسة مرة ثانية بواسطة الأدوات المعرفية الحديثة مجتمعةً، وخاصة علم اللسانيات. وقد قام فعلاً في تطبيق ذلك على النص القرآني مستفيداً من مدرسة الاستشراق الألمانية بقيادة العالم "نولدكه" وجماعته، ووصل إلى أن النصّ القرآني قد تمّ تقديم أو تأخير بعض نصوصه عن مكانها الأصلي، وزحزحة بعض النصوص إلى سور أخرى لا يحتملها السياق اللغوي من حيث الأحداث ،-كما زعم -وقد ذكر أن الأمر أكبر من ذلك بكثير كونه قد اطلع على دراسات هذه المدرسة الاستشراقية، وقد أصابه الذهول والعجب مما رأى !

لذا؛ يرى أركون، أن الأمر الديني برمته، من وجود الله؛ إلى ظاهرة الوحي، ونزول الرسالات، وإمكانية وجود اليوم الآخر، وما سوى ذلك من الغيبيات؛ ينبغي أن يُعاد دراستها في التراث الديني الإنساني كله دون استثناء، في كلّ اللغات المكتوبة، وعند كل الملل، والطوائف للوصول إلى فكر إنساني علمي موحّد!.

مشروع فاشل

9س- وهل استطاع هذا المشروع أن ينجز عطاءً علمياً في مقارباته للقرآن الكريم، حيث ينظر إليه باعتباره يمثل بنية أسطورية؟

ج- لقد قام أركون بنقض كثير من المواضيع الإسلامية دون إيجاد بديل لها، فإلى هذا التاريخ لم يكتب بحثاً إيجابياً يدفع الأمة إلى النهضة والبناء، وإنما يكتفي بالنقض ويطالب المثقفين الإسلاميين بتعلم بضعة لغات ودراسة التراث الإسلامي كله، ومن ثم نقده. فمشروع أركون، هو مشروع على الورق فقط، لا واقع له، ويحتاج إلى جيوش من الباحثين والعلماء في كافة الاختصاصات، ومئات من السنوات للقيام بهذا العمل !، والذي ستكون نهايته الفشل ! لأنه وَهم على أرض الواقع، ولن يتم حسم الأمر، لأنه مرتبط بحرية الإنسان وإيمانه، **والمشكلة**

ليست في ثبوت هذه القضايا أم لا، وإنما المشكلة بالإجرام والاستبداد والاستعباد والاستعلاء. مع العلم أن قضايا الإيمان قد تمّ الحكم على قطعية وجودها وأحقيتها في كلّ مجتمع عبر الزمان بما يناسب أدواتهم المعرفية، وظهر لهم اليقين والمصداقية في الواقع، وعندما جاء المجتمع اللاحق أخذ هذه الحقائق إيماناً؛ وأعاد أيضاً البرهنة عليها حسب المستوى المعرفي له، فأضاف شهادته لشهادة من سبقه، وهكذا تتراكم البراهين على مصداقية هذه الأمور من مجتمع إلى آخر بما يقيم الحجة كاملة على كل مجتمع كما أخبر الرب تبارك وتعالى{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} فصلت(53)، ولكن المجرمين يغطون الحقيقة ويجحدونها قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }النمل(14).

لذا؛ أنا أرى أن مشروع أركون دعوة للضياع، والتشكيك في كل الثوابت، ومحاولة إثباتها مرة ثانية، وهكذا تستمر المجتمعات بإثبات ما هو ثابت، وبالتالي يبقون طوال عمرهم يجترّون الأدلة، والجري خلف كلّ جديد من العلوم الناشئة، وسوف يتجاوزهم قطار النهضة، ولن يعملوا شيئاً أبداً. وهذا لا يعني أن لا أستفيد من الأدوات المعرفية الحديثة والعلوم الإنسانية، بل الواجب علينا أن نواكب؛ بل ونساهم في دفع عجلة التقدّم والرقي في كافة العلوم، ونستخدمها في عملية النهضة بالإنسان.

خلود القرآن والاكتمال

10س- آية الإكمال في القرآن الكريم {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} المائدة(3) ، **تُعد عند المفسرين كاشفةً عن حقيقة الإسلام بكونه ديناً كاملاً وخاتماً. ما المقصود بإكمال الدين الوارد في الآية القرآنية هذه، هل هو كمال من حيث المضمون؛ بمعنى أنه تضمّن كل شيء، أم هو متعلق بمسألة إبلاغ كل ما كان يجب على الدين الكامل إيصاله للإنسان، كما يذهب إلى ذلك الشيخ محمد مجتهد شبستري، أم أن هناك معنى آخر لهذا الكمال؟**

ج – إن كلمة الإكمال تدلّ على أنّ الشيء المعني باكتماله هو أمر قد تمّ الابتداء به سابقاً، وهذا مشاهد ومعلوم في الواقع من كون أن الإسلام دين الله الذي ارتضاه للناس جميعاً، بدأ نزوله منذ أول رسول أرسله الخالق إلى الناس، سواء أكان نوحاً (عليه السلام) أم من قبله، واستمر نزول الشرع الإسلامي مع بعثة كل رسول جديد بجانب نزول شرع قومي عيني ظرفي خاص لكلّ قوم حسب معطيات واقعهم، فإذا تغيّر الواقع وتطوّر في اتجاه النهضة والمعرفة اقتضى ذلك بعثة رسول جديد ينزل عليه بعضٌ من الشرع الإسلامي، ليضاف إلى ما سبق، ويتم رفع بناء الشرع الإسلامي مع تقليص وتعديل و نسخ أجزاء من الشرع القومي العيني، وهكذا استمرّت حركة الشرع بمحوريه الإسلامي، والتاريخي، فالإسلامي يتم نموّه نحو الإنسانية والعالمية، والشرع التاريخي يتقلص ويتم نسخه تدريجياً، إلى أن تم اكتمال بناء الشرع الإسلامي، فاقتضى ذلك إزالة كلّ الشرع التاريخي المرتبط بالقومية والعينية ليحلّ محله بصورة كاملة الشرع الإسلامي ذو الصفة الإنسانية والعالمية، واقتضى ذلك إنهاء دور الأنبياء وتوقيف عملية بعثهم.

11 س- هذا يعني أن الاكتمال الوارد هنا موجّه أساساً إلى الإسلام في عمومه؟

ج- نعم ! مفهوم الاكتمال للدين أمر موجه إلى اكتمال بناء الشرع الإسلامي، وهو نظام كلي متعلق بحركة الفرد في المجتمع، وحركة المجتمع ككلّ على أرض الواقع، وكان ذلك من خلال تشريع منطلقات ومرتكزات وخطوط ثابتة، وترك للإنسان - بصفته الفردية والاجتماعية - صلاحية التحرّك وفق المحور الثابت بحركة حنيفية تتجه دائماً إلى الأعلى منجذبةً إلى المحور الثابت كلما ابتعدت عنه تعود إليه. فالشرع الإسلامي ذو صفة إنسانية وعالمية، وهو شرع مرتبط بالكون آفاقاً وأنفساً، والكون بشقيه قائم على محور الثابت والمتغير، فالشرع نزل بذات المواصفات من كونه قائماً على الثابت والمتغير، والكون مستقر على نظامه ووصل إلى صفة الاستقرار من حيث النظام، فكان الشرع الإسلامي كذلك قد نزل بصورة مستقرة ومنسجم مع الفطرة ، وتم الانسجام مع الكون لوحدة المصدر (الخالق تعالى).

12س- وكيف تقارب الخاتمية مع إطار الفهم المتقدّم للاكتمال؟

ج- صفة الخاتمية خاصة للنبوة، والكمال للدين، وظهر في النص القرآني مثل كمال أبجدية اللسان العربي من كونه مؤلفاً من ثمانية وعشرين مقطعاً صوتياً، استطاع الإنسان أن يستخدمها من خلال تركيبها مع بعضها بصورة متغيرة متنامية، مع وجود موت وحياة المسميات، فتموت أسماؤها معها لاستغناء الإنسان عنها، ووجود البديل المناسب نتيجة التطور نحو الأمام. فاللسان العربي - أبجدية ونظاماً - هو ثابت غير قابل للزيادة لاكتماله، بينما استخدامه في حركة متغيرة متنامية يخضع لعملية التطور والموت والحياة للكلمات. وكذلك النظام العشري الحسابي فهو نظام قد اكتمل من حيث الأسس، ولا يحتاج الإنسان لعملية الزيادة عليه بشيء، لأنه نظام يُعطي كل الاحتياجات، ويقوم الإنسان باستخدامه بصورة متغيّرة في الواقع حسب المعطيات، وكذلك اكتمال الشرع الإسلامي في واقع الحال، لم يترك للإنسان مجالاً لأن يزيد عليه في نظامه الثابت، وإنما ترك له التحرك ضمن هذا النظام بصورة متغيّرة تخضع لعملية

التطور، ومن هذا الوجه تمّ ولادة مقولة : [ثبات النص القرآني كمبنى ومفهوم وتحرك المعنى] وصفة الاكتمال مَثُلها كمثل اكتمال كأس بالماء، فمن يستطع في واقع الحال أن يزيد الماءَ في هذا الكأس الممتلئ ؟! وكذلك الشرع الإسلامي الكامل، وإن لم تصدّق ! فحاول أن تزيد فيه شرع ثابت كلي يضمن الحركة في المتغيرات، ويصلح لكل الناس عبر الزمان والمكان، ويقبله جميع المجتمعات الإنسانية دون زيادة أو نقصان أو تعديل، فإن فعلت – ولن تفعل– فنحن نقبل منك هذه الزيادة !.

الباحث السّوري سامر إسلامبولي
في حوار مع جريدة "الوقت"البحرينية 2/2
الحديثُ النبوي مادة تاريخيّة لا قدسيّة لها

الوقت – نادر المتروك 2/2

يجزم الباحثُ السّوري سامر إسلامبولي، بأن السيرة النبوية هي سيرة المجتمع النهضوي، الذي أقامه النبي الكريم، فلا يمكن استطلاع هذه السيرة إلا من خلال القرآن الكريم ، الذي كتبَ سيرة النبي، كما يقول إسلامبولي، الذي يدعو إلى إعادة مقاربة السّيرة انطلاقاً من التفريق الدقيق بين مقامات النبي الكريم، ومن ذلك يفرّق إسلامبولي بين **مفهومي الحديث والسنة، نافياً القداسة عن الحديث، وناظراً إليه باعتباره سبب في اغتيال العقل المسلم**، حيث وُلد علم الحديث وعلم الإسناد في ظلّ ظروف أيديولوجية تحاربية بين المذاهب الناشئة. ويرى إسلامبولي أنّ الطريق الأفضل لتصحيح هذا الموروث الخاطئ هو النظر إلى التراث الفقهي الطائفي على أنه "مادة تاريخية تخضع للدراسة والعبرة واستخراج قوانين الاجتماع وحركة التاريخ" وأنّ كلّ الفاعلين في هذا التراث هم " **بالنسبة إلينا أموات، فما ينبغي أن نجعل الأموات قادة لنا في أمورنا الحالية**".

في الجزء الثاني من الحوار، يُفصّل إسلامبولي رأيه في موضوع السيرة، والسنة، والحديث النبوي، عارضاً لعددٍ من التحليلات النقدية للسّائد من آراء.

1س – على الرغم من ظهور معالم أولية للنقد الروائي في أوساط المحدثين الأوائل، إلا أن هناك دعوات متكررة لإعادة توظيف المكتسبات النقدية الحديثة لمقاربة السّيرة النبوية خاصة. كيف تنظرون إلى طبيعة هذه الدعوات، من حيث الخلفيات والإمكانات العلمية المتاحة ؟

ج – السيرة النبوية ليست رواية ملحمية أو أسطورية يتم روايتها عبر الأجيال، وكلّ جيل يريد أن يعرضها بقالب أدبي يرفع من شأن صياغتها التصويرية، فهي ليست قصة مثل ألف ليلة وليلة، أو كليلة ودمنة، إنها قصة ولادة مجتمع وبنائه وترسيخ أساس النهضة والحضارة به فسيرة النبي العظيم ليست سيرة فرد واحد قَدَّمَ أموراً لمجتمعه على صعيد الاكتشافات، أو الاختراعات، أو بعض النظريات، أو بعض الانتصارات العسكرية. ومعظم منْ تناول سيرة النبي العظيم كان يكتب ما يُسمى السّيرة الذاتية للنبي، من ولادةٍ وطفولةٍ إلى مرحلة الرجولة، وزواجه وبدء الوحي، وتأريخ بعض الأحداث، وذكر الغزوات التي قام بها... إلى الوفاة. وقسم آخر توجّه إلى ما يُسمى "فقه السيرة"، فتناولَ السّيرة الذاتية ، وأخذ يستنبط منها حسب المستوى المعرفي له بعض العِبر والعظات ! **فسيرة النبي العظيم هي سيرة ميلادِ مجتمع جديد نهضوي لا ينفكّان عن بعضهما، ولا يمكن أن يُدرَس أحدهما دون الآخر.**

سيرة النبي؛ سيرة ميلاد مجتمع

2س – ولكن كيف توضّح الدمج بين سيرة النبي، وميلاد المجتمع الجديد؟

ج– لقد تمّ ذلك الدمج في واقع الحال، وكانت سيرته ﷺ منطلقة من أسس ومرتكزات القرآن العظيم، مع استصحابه في كلّ خطوة في صراعه الثقافي مع الثقافة الجاهلية، فكان القرآن حاضراً بصورةٍ دائمة؛ قائداً ومعلماً وموجّهاً يقود المعركة الثقافية على أوجها دون تنازلات أو محاباة:

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } الكافرون 1--، فدراسة سيرة النبي العظيم ؛ هي دراسة سيرة ميلاد مجتمع جديد، وهذا يقتضي استحضار النصّ القرآني، كونه القائد والموجّه والمعلم في عملية التغيير والصّراع الثقافي، وهذا يدفعنا إلى استخدام أهم العلوم الإنسانية التي وصَلَ إليها الإنسان لدراسة النص القرآني، وإسقاطه على الواقع، للوصول إلى مجتمع نهضوي، ومن هذه العلوم: علم الاجتماع، وعلم السياسة، وعلم النفس، وعلم القانون، وعلم اللسانيات ، والفلسفة وغير ذلك، وذلك من أجل التفاعل مع النصّ القرآني الذي احتوى السّيرة الحقيقية للنبي العظيم. فلا حاجة لأن يقوم أحدٌ بكتابة سيرة لهذا النبي ﷺ ، بعد أن كتبها الله ﷻ، وإنما نحن بحاجةٍ إلى منْ يستخلص هذه السيرة النبوية من القرآن تحت اسم: **سيرة ميلاد مجتمع نهضوي إنساني.**

مصطلح السنة النبوية مستحدث

3س- نشرَ الباحثُ الشيخ (حيدر حُبّ الله) مؤخراً دراسة أكاديمية حول "نظرية السّنة في الفكر الإمامي الشيعي"، استقصى من خلالها تطوّرات الموقف الإمامي النخبوي من السّنة، والظروف الموضوعية التي أثرت في تصنيف المواقف المختلفة. وفي حيّز أخير من الدراسة؛ تطرّق حبّ الله بشكل سريع إلى أبعاد الدّراسات الخاصة بالسنة النبوية في وسط أهل السنة والجماعة، وقد أشار إليكم باعتباركم منتجين مؤثرين في هذا المجال. ما هي الأطر المعرفية التي تعتقد بضرورتها في صدد تكوين نظرية سليمة للسنة النبوية أو السنة المعصومة؟ وهل يمكن التوفيق بين ثابت الرجوع المعياري للسنة وبين متطلبات الاجتهاد المتنوّر الذي يأخذ بالاعتبار متغيرات الواقع والأسئلة المستجدة؟

ج- إنّ مصطلح السنة النبوية؛ لا وجود له في القرآن بهذه الصورة الارتباطية مع النبي، وإنما وُجِدَ مُضافاً إلى الله ﷻ، قال تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً } الأحزاب (62)، فلم يأت أيّ نص يذكر الأمر بإتباع سنة النبي أبداً، ما يدلّ على أن

هذا المفهوم مستحدث، وليس مفهوماً قرآنياً! فعلى ماذا يدل مفهوم السنة النبوية عند مَنْ وضعه؟

قال الفقهاء: السنة هي المندوب مقابل الواجب.

وقال الأصوليون: السنة هي ما يصلح لأن يكون دليلاً شرعياً لاستنباط الحكم منه.

وقال أهل الحديث: السنة هي كلّ ما وردَ عن النبي من أقوال وأعمال وإقرار، وأخباره المتعلقة بحياته وشخصه وغزواته.

وقال الشيعة الإمامية : السنة هي ما ورد عن النبي والإمام المعصوم من أقوال وأعمال وإقرار.

وعندما وضع الأصوليون المصادرَ التشريعية ذكروا السنة من بين المصادر وجعلوها في المرتبة الثانية، **فقالوا: مصادر التشريع الأصلية أربعة: القرآن، السنة، الإجماع، القياس.** وعند التعامل مع مفهوم السنة نجد أن الحديث النبوي أو قول الإمام المعصوم يحلّ محلّ السّنة، **وكأن السنة هي الحديث، والحديث هو السنة ! مع العلم أنه لا يوجد في القرآن أبداً أمرٌ بإتباع حديث النبي، والموجود هو حديث الله ﷻ، قال** تعالى: **{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً }** النساء (87).

4 س– ولكن ماذا تقولون في النصوص التي تدلّ في مضمونها على الأمر بإتباع سنة النبي؛ أو حديثه نحو قوله تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } آل عمران(**31**) ؟

ج– كلاّ ! هذا النصّ لا يدلّ على سنة النبي، ولا حديثه، وإنما يدلّ على الأمر بإتباع الرسول ، وهذا الأمر بالإتباع موجه إلى الرسالة، وليس إلى شخص الرسول ! انظرْ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } الأنعام(151)، وقوله: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} النور(54).

لذا؛ ينبغي فهم دلالات النصوص القرآنية بصورةٍ منظومةٍ واحدةٍ منسجمةٍ مع بعضها، وقد تعرّضتُ لشرح النصوص التي يستدلّ بها منْ يقول بوحي السنة النبوية أو

الحديث، وبيّنتُ خطأ ذلك الاستدلال في كتابَي (تحرير العقل من النقل) و(القرآن بين اللغة والواقع). **لذا؛ ينبغي التفريق بين مفهوم السنة، ومفهوم الحديث، وعدم الدمج بينهما.**

فالسنة: هي الطريقة العملية الثابتة المستمرة على ما هي عليه. مثل سنة الله ﷻ في الخلق.

الحديث: قول جديد. مثل النصّ القرآني؛ حديث الله.

فمنْ يعتقد، ويؤمن بأن السنة النبوية وحي من الله ﷻ نجده أثناء التطبيق ينتقل إلى مفهوم الحديث النبوي ! ويتصدّر كافة أبحاثه بصورةٍ سطحية وهزلية،

فالسنة غير الحديث، ولكلٍّ مفهومه الخاص به.

أين السنة النبوية ؟

5س– السؤال الذي يفرض ذاته هو أين السنة النبوية؟ وبمعنى آخر أين طريقة النبي في تعامله مع القرآن وإسقاطه على الواقع؟

ج– قطعاً ليست السنة هي الأحاديث النبوية. نجد سنة النبي موجودة في فحوى النصّ القرآني، فقد أخذ النبي سنته من خلال تفاعله مع القرآن ذاته، وإسقاطه على الواقع، فسنة النبي انبثقت من القرآن لتعود إليه دراسةً وفقهاً وتطبيقاً، فهي منهج عقلاني علمي صاغت المنطق عند النبي حتى صار خلقه القرآن تفكيراً وتطبيقاً. فسنة النبي منبثقة من الحكمة الموجودة في النصّ القرآني، ونحن قطعاً ملزمون بإتباع الحكمة في تعاملنا مع القرآن، وهذه الحكمة لا يمكن أن نحصل عليها من خلال سيرة النبي الذاتية، لانتفاء حفظها في الواقع، غير أن النبي لم يذكر تلك القواعد والمنطلقات القرآنية أثناء علاجه للأحداث ، ناهيك عن عدم استنفاذه للحكمة والمقاصد القرآنية. فلا مناصَ من العودة إلى الحكمة الموجودة في النصّ القرآني ذاته وتفعيلها حسب الأدوات المعرفية المعاصرة .

مقامات النبي الثلاثة

6 س- هذا الأمر يفتح موضوع الأوضاع أو المقامات المختلفة للنبي. فكيف تنظر إلى هذا الموضوع؟

ج - النبي العظيم له ثلاثة مقامات ينبغي التمييز بينها:

1- **مقام بشري**: ويصْدُق عليه ما يصْدُق على البشر من مرض وموت وتناول الطعام والشراب والنكاح والنسيان والخطأ،{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً } الكهف(110).

2- **مقام النبوة**: وهو نوعان: مقام اصطفاء وعلم وهو مضاف لله، ومقام اكتسابي مجرد، ودورهما قيادة الناس ودعوتهم إلى الله ﷻ. و مقام نبي الله لا يُلغي المقامَ البشري، وإنما يُضاف له، لذلك فالعصمة في هذا المقام النبوي عصمة إرادية اكتسابية تصدر من الإيمان بالله ﷻ، والعلم به، وهي عصمة متاحة لكلّ الناس بصورةٍ نسبية، تتناسب مع المستوى الإيماني والعلمي، والنبي في هذا المقام يكون تابعاً لرسول نبي سابق يدعو إلى رسالته، ويجتهد في تفاعله معها، ويجوز تعرّضه للقتل كما حصل مع أنبياء بني إسرائيل.

3- **مقام الرسول**: وهو مقام تكليف بمهمة تلاوة الرسالة، وإبلاغها كما هي تماماً، لا يحق له الاجتهاد فيها من حيث المبنى والتلاوة،{مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ }المائدة99، و الرسول النبي القائد يعصمه الله ﷻ عن القتل لإتمام مهمته بالرسالة، ويعصمه عن الخطأ والنسيان لمادة الرسالة. فالعصمة من الله ﷻ موجهة إلى مادة الرسالة، وليس إلى شخص الرسول. ويتم حفظه من كلّ مرض نفسي، أو جسمي ينقض أو يعيق توصيل الرسالة، مثل السّحر، أو الهذيان، والهلوسة أو البرص والجذام، وأيضاً هذا الحفظ موجّه لمصلحة الرسالة، وليس إلى شخص الرسول ! (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت). فلا يوجد كائن معصوم بذاته أبداً، لا نبي ولا رسول ولا إمام ولا عالم، الجميع بشر، ويعصمون أنفسهم إرادياً من خلال إيمانهم بالله العظيم { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }.فاطر(28).

نقاش مفهوم السنة النبوية

7س– وعلى أي نحو ينعكس كلّ ذلك على موضوع السنة النبوية بوصفها مرجعية دينية أساسية؟

ج – للإجابة على ذلك، وبناءً على ما ذكرت؛ نضعُ النقاط على الحروف:

سنة النبي: هي المنهج العقلاني العلمي الذي استقاه من الحكمة الموجودة في النص القرآني.

حديث النبي: هو تفاعل النبي المرتبط بالزمكان مع القرآن مستخدماً المنهج (الحكمة) للنهضة بمجتمعه وقومه. ومن **سنة النبي أيضاً**: الطريقة الثابتة المرتبطة بالشعائر التعبّدية، وهي حصراً في توزيع عدد ركعات الصلاة التي تزيد عن ركعتين، لأن أصل الصلاة موجود قبل نزول القرآن منذ أول رسول نبي أرسله الله إلى الناس، وتواتر ذلك عملياً ، فالصلاة سنة الأنبياء ، وقد ثبت ذلك في النص القرآني. وقد بينتُ ذلك في كتابي (القرآن من الهجر إلى التفعيل). **أما حديث الرسول**: فما ينبغي أن يكون للرسول حديثٌ خاصٌ به، وإنما يقوم بتلاوة حديث الله ﷻ فقط ﴿،{مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ }المائدة99 ، **فنبوة محمد ﷺ لقومه فقط، ورسالته للناس أجمعين{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً }** الأعراف (158) ، فمقام النبوة أمر لازم لشخص النبي ينتهي دوره بوفاته، ليأتي من بعده دور العلماء الراشدين ، أما الرسالة فهي مستمرة ومنفصلة عن شخص الرسول تماماً، ومطلوب من الناس أن يؤمنوا بها، ويتبعوها.

وبعد هذا العرض المختصر؛ لا أجد ما يُسمى بنظرية السنة النبوية، أو سنة المعصوم لدراستهما، وجعل لهما قواعداً ونظاماً ليتم التعامل معهما، فهما مفهومان مفرغان من محتواهما، وكل فئةٍ تقوم بتعبئتهما بما يخدم مصلحتها.

لذا؛ الاجتهاد والابتكار قائمان في واقع الحال لكلّ عالم رباني وباحث في أمور الدين، **لا يحكمه إلا رسالة الله ﷻ وسنته وحديثه،** وكلّ ذلك موجود في النص القرآني العظيم، القائم على الثابت، ومَنَح الإنسان بصفته الخليفة حرية التحرّك بالمتغيّرات وَفق المحور الثابت بحركة حنيفية صاعدة متطورة.

علم الحديث.. واغتيال العقل

8 س– تتعدّد المنهجيات المختصة في نقد الحديث، ويمكن النظر إلى جانب معين منها انطلاقاً من المدخل التكويني للحديث، فثمة منهج ينطلق في مشروع النقد الحديثي على أساس علم الرجال، واستهداف سلسلة الرواة، فيما هنالك مشروع نقدي يعتمد النص أو المتن الحديثي نفسه في عملية النقد. هل ترى في هذين المنهجين وسيلة صحيحة لمقاربة الحديث مقاربة نقدية منتجة؟

ج – عندما تمّ تغييب النص القرآني من التفاعل معه في نهضة المجتمع كان من الطبيعي جداً أن يحلّ محله مصدرٌ آخر ليتمّ استخدامه في عملية التشريع والتبرير لسياسات الأنظمة الحاكمة، والفئات المعارضة لهم حينئذ. لذلك نجد لكلّ فئةٍ مرجعية من مادة الحديث غير مقبولة للجهة الأخرى، ونجد معظم الدراسات الفقهية قد اعتمدت على مادة الحديث، واستبعدت النصّ القرآني من الدراسة، إلا للبركة والتعظيم! وها هي كتب الفقه على مختلف أطيافها شاهدة على ما أقول. ولأن الأمر قد جرى تسييسه؛ فقد ذهبت كلّ طائفة لإضفاء على مادة حديثها صفة القداسة، ولم تكن تلك الصفة إلا بنسب الحديث للنبي ﷺ ، وهذا غير ممكن لمنْ يتكلم بالحديث مباشرة ، فكان لابد من عملية السند! فتمّت ولادة الإسناد باعتباره ضرورة سياسية لشرعنة الأمور، وإلزام المخالف لها وإضفاء صفة القداسة على متن الحديث، وليس ذلك إلا بعملية: (قال النبي العظيم ﷺ) فيتمّ اغتيال عقل السّامع ويتمّ إمرار الحديث، ومع توسّع تلك العملية الاغتيالية لعقل الإنسان المسلم، وتعقّد الأمور، وُلِدَ مصطلح (علم الحديث)، وصار علماً له قواعده ونظامه،(رغم أن دلالة كلمة العلم لا تنطبق عليه، والأَولى أن يُسمَّى فن مصطلح الحديث) فزاد الأمر شراً وتخلفاً، وظهر تيارٌ يهتم فقط في دراسة الرواة (السند)، ولا يَلتفت إلى موضوع الحديث، وظهر تيارٌ آخر أضاف للاهتمام بالسند الاهتمام بمتن الحديث،

ولكن بصورة تخدم مصالح كلّ فئة. والنتيجة هي بقاء مادة الحديث محوراً للدين الإسلامي، لها الصّدارة والأولوية في واقع الحال، وقاضية ومهيمنة على القرآن والعقول.

9س- أيعني كلامك أنك لا تمنح الحديث النبوي مرجعية قدسية؟

ج - **مادة الحديث النبوي مادة تاريخية لا قداسة لها أبداً، ومنتفٍ عنها صفة الوحي الإلهي التشريعي، وذلك لأنها نتيجة تفاعل النبي العظيم مع النصّ القرآني حسب معطيات واقعه، وحسب الأدوات المعرفية الزمكانية المتوفرة حينئذ،** وهي لذلك غير ملزمة للمجتمعات اللاحقة أبداً، ومنْ يقول بغير ذلك يكون إنساناً يُغمض عيناه عن الحقيقة ! فالحديث النبوي المنسوب قد أصابه التحريف زيادة ونقصاناً، فمنْ يقول بأنه وحي فهو يعتقد بأن مادة الوحي قابلة للتحريف، وبالتالي لا مانع عنده من ضياع بعض من الوحي! وربما الذي ضاع أكثر من الذي بقي! فكيف نُلزم بعضنا بوحي محرف !؟ بوحي قد ضاع جزء منه !؟ كيف يكون الحديث عند فئة وحياً، وعند الفئة الأخرى التي ترفضه لعلةٍ بسنده أو متنه حسب أصولهم؛ كذباً وزوراً وافتراءً!؟ كيف يكون الحديث مصدراً تشريعياً وهو مُختلف فيه، وليس محلّ تسليم من الجميع به!؟

علم الحديث.. خدعة

10س– ولماذا تحمل هذا الموقف الشديد في معارضة (علم الحديث)؟

ج – **إنّ علم مصطلح الحديث كذبة كبيرة ، وخدعة قبيحة، فهو ليس علماً أصلاً سواء تعلّق ذلك بالسّند، أم بالمتن ، فالنتيجة واحدة: الضياع للمسلمين ، وعندما جعل المسلمون مادة الحديث النبوي وحياً ومصدراً تشريعياً أُصيبوا بالتخلف والانحطاط، وابتعدوا عن المنهج الرباني المتمثل بالقرآن** {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً } الفرقان(30). فالنص القرآني قد احتوى الشرع الإسلامي كاملاً، كما أخبر الرب تبارك وتعالى بذلك {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} المائدة(3)، وكما أمر رسوله أن يقول {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}الأنعام (151). فالقرآن هو المصدر الوحيد للتشريع الإلهي، وما سواه من أحاديث نُسبت للنبي، أو للأئمة، أو للفقهاء، أو غيرهم في أي زمان ومكان، هي مادة فقهية لا قداسة لها أبداً، وغير مُلزمة لأحد، وهي محاولة زمكانية مرتبطة بالأدوات المعرفية السائدة حينئذ لفهم النص القرآني صَلُح بها حالهم وارتضوها لمجتمعهم. أما نحن فقد قال الربّ جل شأنه معلماً لنا: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } البقرة (134). **فمادة الحديث وأقوال الأئمة والفقهاء، وغيرهم على مختلف الأطياف، مادة فرّقت المسلمين، وألقت العداوة والبغضاء بينهم ، ووقعوا في ما وقعَ فيه أهل الكتاب من الغلو والتطرف، وصار لسان حالهم هو (ولن ترضى عنك الشيعة ولا السنة حتى تتبع ملتهم قل إنّ هدى الله هو الهدى) !.**

أما النص القرآني فهو حبل الله المتين، يُوَحّد المسلمين على كلمةٍ سواء، فالقرآن يجمعنا، والحديث يُفرّقنا، القرآن يَنشر المحبة والسلام والعدل والتعايش، والحديث يَنشر البغض والحرب والظلم، ورفض الآخر، بل؛ ذبحه باسم الدين، والدين براء منه.

11س– ما هي النتائج الحضارية المعاصرة لنقد الموروث الروائي للمذاهب الإسلامية؟ وهل يمكن التأسيس عليها في إحداث تقارب فكري ومذهبي؟

ج– ليس مطلوب منا الآن للقيام بالنهضة أن نقوم بنقد التراث كله على مختلف أطيافه! فالوقت لا يسمح بذلك، كما أنّ الأمر على درجةٍ من الصعوبة، والوضع الذي نعيشه معروف للقاصي قبل الداني. الدماءُ تسيل، والأوطان تضيع، والخيرات والثروات تُسرق. إنّ هذا التراث الفقهي الطائفي ليس علماً حتى ينبغي أن أحصّله ومن ثم أتابع السير على ضوئه! إنه فقه ماضوي سلفي آبائي! إنه مادة تاريخية ليس أكثر، يدرّسها المؤرخون وعلماء الاجتماع بصورة موضوعية دون تقمّص لأحداث التاريخ، فنحن لم نكن مع النظام الحاكم حينئذ ، كما أننا لم نكن مع المعارضين لهم! فنحن لا نمثل أيّ أحد منهما، ولسنا امتداداً لهما! وما ينبغي أن تقوم فئة بتقمّص دور تاريخي، وتُلزم الطرف الآخر بأن يتقمّص الدور الخصم له، وتُدَق الطبول ويُنفخ في البوق ، ويُعلن النفير، وتبدأ الحرب! ويعود المجتمع المعاصر ليعيش في حالة تقمّصية جاهلية يُحيي حرب داحس والغبراء! فعملية التواصل والتعاون بين جميع الأطياف الإسلامية الحالية، هي الرجوع إلى القرآن، وتفعيله في الواقع، واستبعاد مادة الحديث من أي كائن صدرت. **وأي دعوة لغير القرآن فهي دعوة طائفية مآلها الفشل، وسوف ينتج عنها الكره والبغضاء، والقتال في أي لحظة يقوم باستغلالها المستبدون والمستعبدون للشعوب، على صعيد الداخل أو الخارج، لذلك يقوم هؤلاء بدعم الدعوة إلى الحديث والفقه ونقد التراث، والتقارب المذهبي، وإقامة الندوات والحوارات الساخنة، التي تقطر كرهاً وحقداً!! لترسيخ التخلف والذل، وعدم قيام الأمة برفع رأسها أبداً، واستمرارها بعلك المعلوك! وتقمص التاريخ ، فالحذر، الحذر من هذه الخدع والحيل!.**

وأنتهز هذه الفرصة التي أتاحها لي القائمين على جريدة الوقت مشكورين لأوجه نداءً إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

أيها المسلمون

القرآن يجمعنا {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } آل عمران(103)

{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } الأنفال (46)، **بينما جعل الأحاديث النبوية، وأقوال الأئمة وحياً إلهياً مُلزماً للناس ، والالتزام بالتفاعل الفقهي الزمكاني للسلف ، وتقمص أحداث التاريخ، يُفرقنا.**

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة(62)، **هذه هي بطاقة الدخول إلى الجنة، والفوز برضا الرب علينا.**

أيها المسلمون

كلكم أبناء آدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، وأنفعكم أنفعكم للناس. فلا للطائفية ! ولا للعرقية والقومية ! ولا للاصطفاء والفوقية ! ولا للأسرة والقبيلة، ولا للعنف والإرهاب.... إنها دعوات وروابط جاهلية منتنة !، ونعم للإنسانية، والحرية، والكرامة، والعدل، والأمن، والنهضة في مجتمع يقوم على المواطنة والعناية، لا على الاستعباد و الرعاية ! .

سامر إسلامبولي وأزمة القرآنيين [1]

ما زالت ساحة منتدى المعراج تجلب إليها كل ناظر، وكل متطلع إلى آفاق البحث الحر في الظاهرة الدينية بمختلف مستوياتها ومنطلقاتها. ولا زالت المقاربات الدينية تتعدد بتعدد الأفكار والمنطلقات البحثية لكل باحث، أو قارئ ناشد للخروج من ثقافة دينية، يقر الجميع بأزمتها الحضارية وتخلف بديلها المنتظر. فكانت هذه الساحة ، ولا زالت تستجمع كل مقومات البحث الفكري الحر، ولو جارت الأقلام لغفلة منها، أو عدم استيعابها لطبيعة مواضيع لها خطورتها، ولها تجلياتها المختلفة في الواقع الإنساني بشكل عام .وتنقسم هذه المشاريع إلى قسمين رئيسيين:

- **القسم الأول** تراثي فقهي وهو نادر في كتابات المنتدى لمجموعة من العوامل، لعل أهمها انفتاح المنتدى على مختلف التوجهات، وسماحه لمختلف الرؤى مهما كان تقييمنا للتجربة، بعرض رؤاها وأفكارها دون حجر أو قسر فكري.

-**وثانيهما** قسم قرآني يعتمد في منطلقاته على القرآن، كأحد الأصول الفكرية في التأسيس إلى المعرفة بمختلف مكوناتها. وهذا التيار أيضا يختلف باختلاف الباحثين ومنطلقاتهم البحثية والفكرية إلى قسمين:

أ-قد خصصنا لتيار منه - وهو المشروع الذي يتبناه الكثير من أعضاء المنتدى، وخاصة في قسم الدين-دراسة نقدية وفق رؤيتنا الخاصة، وبمنطق حواري يخرج بنا من ثنائية المناصرة والمعارضة المميتة. ولم نكمل الحوار، وللأسف الشديد لمجموعة من الاعتبارات التي خرجت بنا عن الحوار الهادئ، إلى منطق الشخصنة والدفاع على حين غفلة منا.

ب -القسم الثاني من هذا التيار القرآني هو تيار يؤمن بالقرآن، ولكن وفق أصول فكرية معينة مباينة في الكثير من الأحيان للتيار الأول. وفي هذا السياق يأتي مشروع الأخ (سامر إسلامبولي)، كأحد أهم المدافعين عن هذا التيار الثاني وفق رؤية ومشروع فكري، يعتقد بأنه هو

---

(1) بقلم (يوسف هريمة) باحث وأستاذ في جامعة البحر الأبيض المتوسط لمقارنة الأديان (عضو كاتب في منتدى معراج القلم) .

الأجدر والأهل بأن يكون التيار السائد في المنتدى. وقد كنت لوقت طويل أتتبع هذا التيار وأتتبع لغته، وطريقة تعامله مع الآخر، لعلي ألمس فيه ملامح مشروع جدي، يمكن أن يتمسك الإنسان به ويدعو إليه، بله أن يطرحه بديلاً حضارياً لثقافة بائدة يعتبرها سبب أزمته الحالية، فلم أجد إلى ذلك سبيلا.

وليسمح لي الأخ إسلامبولي قبل أن نخوض غمار هذه التجربة أن أقول بأن منطق التجاهل الذي يستعمله في الكثير من مقالاته، عن طريق لغة استيعابية متعالية في الزمان والمكان عن الآخر، هو نقطة ضعف قوية في بناء هذا المشروع الريادي كما يتصوره صاحبه، أو من تبنى طرحه الفكري، والمنهجي من الإخوة. ونظرة في مجموعة من التعاليق، والقفز على مواضيع ضخمة في تناولها وآليات بحثها، بمنطق تبسيطي اختزالي تهكمي في الكثير من الأحيان، عبر أسلوب قصصي يستهزئ من عقل القارئ، كفيلة بصدق أو بطلان ما أقول.

وبناء على ما سبق سأحاول من خلال هذا المقال مدارسة هذا الفكر انطلاقاً من مقالته:" توثيق النص القرآني "، وما يدور في فلكها من أبحاث في حوار هادئ يستهدف البنية الفكرية للمشروع، ووفق منطق يؤمن بأن العمل النقدي هو عمل يسير بعجلة البحث إلى الأمام، ولايرجع بها إلى الوراء مناصرة أو معارضة. وستكون مقاربتنا للموضوع من خلال التصور التالي :

1- **الإنسان والقرآن:** يمكن أن يحسبها البعض ضرباً من التنظير الفلسفي، أو اللعب بمنطق التجريد أو تحصيل حاصل، أو العبث الذي لا طائل منه. ولكن في منظوري الخاص الذي أؤمن به ولا ألزم به أحداً ولا أدعو أحداً إلى تبنيه، أرى بأن عمق الإشكاليات الفكرية الدينية منبثقة من هذا المعطى .إنها ببساطة إشكالية النسبية البشرية في التعامل مع القرآن، أو مع أي شيء مقدس كتباً كانت أو غير ذلك. إن غياب حقيقة عدم استيعابنا المطلق للحقائق، وإدراكنا لحقيقة أننا حلقة ضمن تاريخ طويل، كان وسيستمر في سيره إلى ما شاء الله، هو أحد أكبر الأزمات الفكرية، التي مرَّ منها الفكر الديني عموماً، حين جعل من محاولاته ومقارباته أموراً قد جاوزت القنطرة، وحقائق لا غنى للقارئ أو المريد بالتعبير الفقهي

الصوفي على تقبلها، والانصياع لها طوعاً وكرهاً. والتاريخ مليء بالأحداث والأمور التي تنحو هذا المنحى في المقاربات الدينية .والخطير في ذهنية تؤمن بهذا المنطق، أنها لا تستطيع أن تنفتح على الآخر، إلا في حدود تَقَبُلِه لفكرها أو مجاراته لطبيعتها .فالاختلاف عندها شعار تستعمله كطعم تتصيد به ضحايا التسلط البشري على مر العصور والحقب. وقد ظنت هذه العقلية التراثية أنها بإزاحتها لتراث روائي في قراءة القرآن، تستطيع أن تتسلط على الناس باسم القرآن، ناسية أو متناسية بأن كل عملية وكل تفاعل مع نص أو آية أو مقطع، هو تفاعل جهد إنساني مرتبط بسقف معين، وبدرجة معرفية محدودة زماناً ومكاناً. ولن يستطيع أياًّ من هذه التوجهات أن تجعل من قراءاتها نصوصاً مقدسة لا يجوز تجاوزها، إلى أبعاد أخرى بفعل التغير الزماني. وهكذا فالقرآن كما أفهمه هو حق لكل إنسان منا يفهمه وفقاً لسقفه المعرفي، ووفقاً لدرجاته الاستيعابية عبر جدلية تفاعلية معه شكاًّ وإيماناً، وأخذاً وعطاء. ولن تتحول كل هذه المجهودات التراكمية في العمل الفكري إلى أصول وثوابت لا نستطيع بحال تجاوزها إلى غيرها. وقد يظن ظان أن هذا الكلام لا علاقة له بموضوع نقدنا لفكر الأخ إسلامبولي، ولكن الواقع يؤكد عكس ذلك، حينما نقرأ له رداً حول تعليق أحد المتدخلين على مقاله:" الرد على الإخوة المعترضين على الدراسات القرآنية " فأجاب **":لا يوجد إشكالية ولا تناقض في منهجي أو الفكر الذي أعرضه ."...**والحقيقة أن جميع المقالات التي يعرضها صاحبنا ألمس فيها هذا البُعد الخطير في بنية الفكر الديني، حين لا يترك الإنسان مجالاً للخطأ، أو البطلان للكثير من فرضياته العلمية المرتبطة بحدود نظرته المعرفية. فمنهج صاحبنا وفكره لا يأتيهما الباطل من بين أيديهما، ولا من خلفهما. فقد جلاًّ أن يلمسهما أي خطأ أو قصور في الرؤية وغير ذلك. ويا ليت الأمر يبقى محدوداً في إطاره الفكري والإنساني، بل ستتحول هذه الأفكار والمناهج لتصبح مراداً ومقصوداً لله لأنها متجاوزة للخطأ، ومرتفعة عن سهام الإشكاليات والتناقض على حد قول صاحبنا.

ومن هنا أحب أن أؤكد على أن علاقتنا بالقرآن، أو أي كتاب مقدس، هي علاقة بشرية تحكمها جدلية أخذ وعطاء، لا ينبغي أن نقفز عليها، لنجعل من فكرنا أو ما تصنعه عقولنا

في فترة من الفترات، مدعاة لانقلاب على لعبة الرواية إلى غيرها تحت مسمى آخر. وعلى أي كان هذا التيار ردة فعل طبيعية، على مخالفات كبيرة في بنية الرواية عموماً. إلا أنه هو الآخر سقط فيما سقط فيه التيار الآخر، حين تسلط باسم القرآن عوض السنة، وجعل من العملية كلها مختزلة في نصوص اللغة. وغاب عنه بأن كل العمليات التفسيرية سواء ارتبطت بما سمي بالتفسير بالمأثور، أو ارتبطت بالقرآن هي عمليات اجتهادية يعمل فيها الإنسان فكره ، وتكون معرضة بشكل طبيعي للقصور وعدم الإحاطة .

وعليه فإن الاتجاه القرآني مهما حاول أن ينتسب إلى القرآن سيجد نفسه أمام اجتهادات فردية أو جماعية، لن تتحول إلى قرآن، ولو كانت تجعل منه منطلقها الوحيد .فالعلاقة مع القرآن حسب تصوري لها لن تتأسس من خلال تيار، أو من خلال منهج بذاته مع ضرورة ذلك. وإنما العلاقة مع القرآن هي علاقة كل فرد منا في جدليته مع هذا الكتاب، أخذاً وعطاء، وشكاً وإيماناً، وظناً واطمئناناً. فالحق لن يُعرف إلا من خلال التجربة الواقعية لكل منا في تعاطيه مع عمق هذا الكتاب. ولن تتحول اجتهادات الآخرين أو مقارباتهم باسم القرآن إلى حقائق وجودية ونفسية يتم تأطيرنا من خلالها .

2–سامر إسلامبولي وتناقض المنهج :

أ– سامر إسلامبولي وأزمة السنة العملية:

يأخذ المنهج القرآني على عاتقه مسؤولية كبيرة، في حجم ما يقفز به على الكثير من المعطيات التاريخية والفكرية، حين يجعل القرآن السبيل الوحيد للمعرفة الإنسانية. إذ فيه كل شيء بما في ذلك ما يتحرج منه كل القرآنيين، ويتخبطون في إجاباتهم عنه. والمشكلة في هذا التيار أنه مجرد ردة فعل طبيعية، على ما خلفته الرواية من أثر كبير على التاريخ العربي الإسلامي عموماً. فقد استحوذت على الجانب الفكري لدهور طويلة، ظل فيها النص القرآني حبيس هذه الرؤية الثقافية. فكانت بذلك هذه الردة الفعلية الكبيرة لهذا التيار، نابعة من عمق انفعالي لا علمي في الكثير من الأحيان، خاصة في تعاملها الانتقائي مع الرواية. فهي من جهة تنكر الرواية وعلم الحديث، ومن جهة أخرى تتبناه حين يعجزها الأمر عن الإجابة على

إشكالات حقيقية في بنية الفكر الديني عموماً، سواء انتسب إلى الرواية الأثرية أو إلى القرآن. ولننظر إلى قول سامر إسلامبولي حول هذا الموضوع في حديث حواري مع مجلة الوقت حين يقول عن علم مصطلح الحديث **": علم مصطلح الحديث كذبة وخدعة كبيرة! فهو ليس علماً أصلاً سواء تعلّق ذلك بالسّند أو المتن .** فحسب الأخ سامر فعلم الحديث ليس علماً قائماً على أصول معرفية موضوعية، تسمح أن يكون قاعدة لنهضة فكرية أو ثقافية منشودة، ويؤكد بعد ذلك **": فالنتيجة واحدة: الضياع للمسلمين، وعندما جعل المسلمون مادة الحديث النبوي وحياً ومصدراً تشريعياً أُصيبوا بالتخلف والانحطاط وابتعدوا عن المنهج الرباني المتمثل بالقرآن (يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً)**

إن اعترافاً مثل هذا بخطورة قواعد علم الحديث، في تأطير الفكر الديني والمساهمة في التخلف الفكري، يجعل من أي مقاربة تتلمس هذا المعطى، ينسحب عليها كل مقومات التخلف والسلبية. ولكن صاحبنا سيتناسى هذا الاعتراف الخطير والمدين في الوقت نفسه، حين سيتعامل بانتقائية معهودة مع هذه القواعد التي ينتقدها، وذلك عندما يعجز عن الإجابة عن معضلات، لا زالت مناقشتها حتى الآن لم تسفر على شيء مطمئن. ويكفي أن ننظر إلى مقال الصلاة، لنرى عمق هذا التناقض الحاصل بين النظرية والتطبيق في المقاربات الدينية عموما. فالأخ سامر يؤكد من جهة؛ الاكتفاء بالقرآن وفق منهجيته الخاصة، وفي الوقت نفسه يلجأ إلى قواعد علم الحديث ليستحمي بها، حين يرى بأن الصلاة في شكلها الحالي كما هو متعارف عليه، لا توجد بكل تفاصيلها في القرآن لاجئاً إلى قاعدة التواتر العملي، فيشرح هذه القاعدة بقوله **":** فالتواتر لا يحتاج إلى سند ، لأنه رواية مجتمع شاهد إلى آخر سامع مع توسع دائرة التواتر مع الزمن ، لذلك يفيد الخبر المتواتر الحصول القطعي ضرورة ، ويحيل العقل كذب الخبر المتواتر **."...** فأين تندرج قاعدة المتواتر؟ أليست ضرباً من أضرب الحديث؟ أليس المنقول في النص تعريفاً للمحدثين؟ ولماذا يحتج أخونا بالقاعدة التي يعتبرها في مكان آخر خدعة وكذبة؟ هل انتفت عنها هذه الصفة أم الغاية تبرر الوسيلة؟ وهل هناك حدود فاصلة

بـين المتـواتر وبـين غـيره؟ ومـتى كانـت الكثـرة دلـيلاً موضـوعياً علـى حقيقـة أو بطـلان شيء؟...وبناء على ذلك نقول بأن العمق الفكري لهذه المدرسة هو عمق متناقض، لا يستطيع البتة أن يجد لنفسه موطئاً قاراً، خاصة في المواضيع التي يعجز عن الإجابة عنها ملتفاً حول نفسه، ليجدها داخل نطاق الرواية وعلم الحديث شاء أم أبى، كما فعل صاحبنا الذي اعترف على أن ما يؤسس على منهج الحديث هو خدعة وكذبة، فكان مطبقاً للآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ } النساء(135).

ب- سامر إسلامبولي ولعبة السنة والحديث:

هذه مفارقة عجيبة في المنهج المبشر به، وتلعب على وتر قرآني حساس. وتهدف أيضا إلى أن التمييز بين السنة والحديث، سيخفف من عمق الأزمة الفكرية التي يبشر بها هذا التيار . وكسابقتها من الأمور، تأتي هذه النقطة لتجعل التناقض الحاصل في بنية هذا الفكر تناقضاً ظاهراً للعيان، ويهدم من الأساس كل تصوراته المبنية أصلاً على تنظير فكري، بعيد عن كل ما يقال في شأنه. ولننظر إلى هذا الاعتراف الصريح من أخينا سامر، وهو يكشف لنا عن أزمة الحديث فيقول عنه في حوار له مع مجلة الوقت **":مادة الحديث النبوي مادة تاريخية لا قداسة لها أبداً، ومنتفٍ عنها صفة الوحي الإلهي التشريعي، وذلك لأنها نتيجة تفاعل النبي العظيم مع النصّ القرآني حسب معطياته ، وحسب الأدوات المعرفية الزمكانية المتوافرة حينئذ، وهي لذلك غير مُلزمة للمجتمعات اللاحقة أبداً، ومنْ يقول بغير ذلك يكون إنساناً يُغمض عيناه عن الحقيقة! فالحديث النبوي المنسوب قد أصابه التحريف زيادة ونقصاناً، فمنْ يقول بأنه وحي فهو يعتقد أن مادة الوحي قابلة للتحريف ."...** فالحديث بالنسبة له لا قدسية له، لأنه نتيجة تفاعل الرسول مع القرآن بآلياتة الزمكانية. ويتناقض مع نفسه حين يجعل السنة مباينة له حسب فهمه لها بقوله **":نجد سنة النبي موجودة في فحوى النصّ القرآني، فقد أخذ النبي سنته من خلال تفاعله مع القرآن ذاته وإسـقاطه علـى الواقـع، فـسنة النبـي انبثقـت مـن القـرآن لتعـود إليـه دراسـةً وفقهـاً**

وتطبيقاً ."...فالسنة أيضا حسب هذا النص هي نتيجة تفاعل مع النص القرآني حسب هذا القول. فما هو يا ترى الفرق بينها وبين الحديث؟.

ورغم كل هذا التنظير الفكري المتناقض، سنحاول أن نجعل من نصوص صاحبنا شواهد على تناقضه من جديد، ولكن بمنطق آخر، فما يعتبره مادة تاريخية لا قداسة لها بفعل تاريخيتها، ستصبح مادة مقدسة تؤسس للمعرفة وتؤصل لمواضيعه المختلفة. وهذه نماذج من هذا التخبط :

-توثيق النص القرآني في الزمن المدني: إن التعامل الانتقائي والمتناقض مع منطقه، يجعل من الفكر غير المؤسس فكراً يلتف على نفسه، كلما وجد الفرصة سانحة له للقيام بذلك. فهو يقر بأن القرآن فيه كل شيء، ثم يؤسس معرفته لتدوينه على تاريخية الروايات التي لا ترقى حسب نصه السابق إلى القدسية. وهذه نماذج من الروايات التي استعملها في مبحث التدوين في العصر المدني في مقاله" **توثيق النص القرآني "-:(كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان، وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء، دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا؛ وكذا، وإذا نزلت عليه الآية، فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)**

(كنت أكتب الوحي عند رسول الله وكان يشتد نفسه ويعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم يسري عنه فأكتب ، وهو يُملي علي، فما أفرغ حتى يثقل، فإذا فرغت قال : اقرأ؟ فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه.)

فلماذا تم الالتفاف على النص السابق في تاريخية الحديث؟ هل الغاية تجعل من المنهج يبرر كل تناقضاته؟ وإذا كان القرآن كافي في الإثبات كما يدعي المنهج. فلماذا اللجوء إلى روايات سيكفينا صاحبنا الإجابة عنها بقوله عن الحديث في مقابلته الحوارية:" **فمنْ يقول بأنه وحي فهو يعتقد أن مادة الوحي قابلة للتحريف، وبالتالي لا مانع عنده من ضياع بعض من الوحي! وربما الذي ضاع أكثر من الذي بقي !فكيف نُلزم بعضنا بوحي محرف!؟ بوحي قد ضاع جزء منه!؟ كيف يكون الحديث عند فئة وحياً، وعند الفئة الأخرى التي ترفضه**

لعلةٍ بسنده أو متنه حسب أصولهم؛ كذباً وافتراءً!؟ كيف يكون الحديث مصدراً تشريعياً وهو مُختلف فيه، وليس محلّ تسليم من الجميع به!؟ ."...

صدقت يا سامر وأوجزت وكفيت ! ولكن لِمَ التناقض؟

ت- الاختفاء وراء رد الشبهات:

يبقى العمل ناقصاً ما لم يحاول أن يستجمع كل مقومات الدفاع عن نفسه، بالرد على مختلف التساؤلات والإشكاليات التي يطرحها فكره، أو منهجه بمختلف مستوياته. والأخ سامر لم يأل جهداً أيضاً في الدفاع عن منهجه بالطريقة التي يرتضيها، وإن كان لدي موقف خاص حول أسلوب كتابته، لا أريد أن أستخدمه نقداً لكي لا تتحول العملية النقدية، إلى طعن في قيمة الشخص أو حطاًّ منه بدرجة من الدرجات. ولكي يدافع عن نفسه لابد أن يخلق خصماً، ولو وهمياً من أجل سيرورة عمله ، والدفع به على شاكلة العمل السياسي. ولذلك اختار الأخ سامر في رده على الشبهات تعامل الجابري مع القرآن، ظناً منه أن نقده لبنية الجابري، ستجعل من بنية منهجه الفكرية بديلاً منتظراً لثقافة بائدة. فكانت محاولته التأسيسية لمقال:" النص القرآني نص فوق الشبهات " تنحو هذ المنحى المتناقض كما سنرى، حيث يقول في مطلع المقال :

":إن من الغرابة على درجة كبيرة أن يأتي أحد ويناقش ما هو ثابت ومعلوم بالضرورة، بل بلغ صفة الحق من حيث الحكم عليه وجوداً أو صحة نحو أحقية وجود الخالق المدبر وأحقية وجود اليوم الآخر ووجود السماء والأرض.. إلخ، وقصدت بكلامي أحقية النص القرآني كمتن وحفظه من التحريف زيادة أو نقصاناً ."...فالحق عند الإسلامبولي مؤسس على روايات حديثية، اعترف بنفسه أنها مبنية على قاعدة خادعة وكاذبة، وأقر كما مر معنا بتاريخيتها وعدم قدسيتها. فعن أي معلوم من الدين يتحدث؟ وعن أي حق يريد أن يحدثنا وهو القائل بنفسه أن الروايات محرفة؟. ولكن بسبر أغوار المقالة سيتبين لنا عمق هذه الأزمة، إذ كان المقال حقيقة مقال حجاجي، يريد أن ينتصر إلى رأي دونما أدوات موضوعية تجعل من الطرح الفكري هو المنتصر .وكما يعلم الجميع، تُعَد مقالات الجابري حول القرآن،

مقالات قد أثارت الكثير من ردود الفعل النفسية، بسبب ما قد أشارت إليه بوقوع تحريفات في القرآن، وتعرض النص إلى عمليات إسقاط. وإلى هذه الحدود يبقى الجابري حُراً في اعتناق مثل هذا التصور سواء اتفقنا مع نتائجه أم اختلفنا. ولكن الإشكالية المطروحة من خلال هذه المقالات هي أنها سقطت في خطأ منهجي خطير، يجعل أيضا من العملية كلها عملية إيديولوجية بامتياز. فالبناء الذي اعتمده الجابري في أطروحاته، هو بناء روائي قام على ثقافة روائية، قد حذرنا من بعض ما تختزنه مثل هذه الثقافة من أبعاد ذكرناها سالفاً. والحقيقة أن مثل هذه المقاربة تفتقد إلى الجانب الموضوعي، إذ أنها لا تعتمد بنية النص الأصلية دون النظر إلى تاريخيته بشكل من الأشكال. إذ النص يطرح نفسه كبديل إنساني لا علاقة له بالتاريخ أو الجغرافيا أو غير ذلك من الأمور. ولكن المنطق الروائي كما مر معنا يسمح بمثل هذه المقاربات، بل ويعززها ليجعل من المؤمن بها في ورطة فكرية يصعب الخروج منها بحال من الأحوال .وعليه لا يمكن أن تكون مقاربة الجابري ذات بعد موضوعي فكري، إلا إذا تبنت خط القرآن ونقده من أصوله، ووفق بنيته اللفظية أو الموضوعية، دون استجلاب لروايات خارجة عنه من أجل الوصول إلى نتائج معينة .وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للجابري، فما سامر إسلامبولي عن ذلك ببعيد. إذ أن مؤسسته الفكرية هي مؤسسة روائية بامتياز، مع شيء من التحوير واللعب بالألفاظ. ومفهوم المؤسسة هنا هو مفهوم إجرائي، وإلا فليسمح لي أخي سامر أن أقول، بأن ليس هناك أي بوادر تأسيس فعلي لتيار بمنهجية رصينة وموضوعية في أبعادها. وإنما هي ردة فعل طبيعية على تيار كان ولا زال سائداً، قد جعل من الرواية مدرسته الأولى والأخيرة في البناء والتأسيس. وليس هناك أي مشروع يمكن رفعه ليكون بديلاً حضارياً، يمكننا الاطمئنان به وقاعدته كما يقول عنها بنفسه **":فهي مادة فقهية لا قداسة لها أبداً، وغير ملزمة لأحد، وهي محاولة زمكانية مرتبطة بالأدوات المعرفية السائدة حينئذ لفهم النص القرآني صَلُح بها حالهم وارتضوها لمجتمعهم ."** فلم التناقض أخي سامر؟

وختاما أقول:كانت جولة سريعة عبر محطات كثيرة، استجمعتها من خلال قراءتي لبعض مقالات الأخ سامر. وكان هدفي الأول والأخير هو عملية نقدية لكاتب داخل المنتدى، يعتبر

ما يقوله مشروع إنساني كبير، يصلح أن يكون بديلاً لثقافة روائية ماضوية. ويعتبر أن منهجه لا تعتريه إشكاليات أو تناقضات. فالتناقض هو بسبب عقل هذا القارئ المريد، الذي لم ينتبه بعد إلى حجمه داخل ثقافة الشيخ والمريد الإنسانية. كما كان الحوار دفعاً بعجلة هذه البحوث، لتأخذ حجمها الطبيعي، وتنحني بلغة الخطأ والصواب، لأن قائليها هم أناس لم يصلوا بعد إلى صفوف الألوهية، التي تجعل من كُتابها أوقائليها أوصياء على عقول الناس، ومستصغرين لحقوقهم في التفكير. وأتمنى أن أكون قد فتحت الباب أيضاً للدخول والولوج إلى ساحة الحوار من بابه الشرعي، البعيد عن منطق التصفيق والتسفيه لمختلف الأفكار والتوجهات.

راجيا من الأخ سامر أن يتسع صدره لهذا الرأي على علاته وثغراته .فالقصد أكبر من تعالم فاضح أو تسفيه لفكر آخر. ولكن العجلة لن تدور إلا بجهودنا متكاملين نقداً وتصحيحاً وبناء.

ولكم تحيات يوسف هريمة

رد إسلامبولي على مقال

(سامر إسلامبولي وأزمة القرآنيين)

تحية طيبة وبعد

قرأت مقال الأخ يوسف بوعي وتركيز من باب الحرص على النقد البناء ، وذلك كي أقوم بعملية التحديث لمنهجي وأفكاري ، فتفاجأت من سطحية المقال ، وطريقة تناوله للأفكار ، وتخبطه، وعدم قدرته على استيعاب الأفكار والتمييز بينها ، رغم أنه يتهم منهجي بالتناقض ، وأعدت قراءة المقال مرة ثانية لعلي أرى التناقض الذي اتهمني به ، فوجدت إساءة فهم وقصور ، وتعالي في التقويم ، والحكم على الآخرين وكأنه لجنة تحكيم أو إشراف على رسالة بحث أعدت لنيل الدكتوراة !. وظهر ذلك جلياً عندما اقتطع جملة من تعليق لي على تعليق أحد الأخوة ، وجعلها عمدة نقده وتقويمه ، واختار من المقالات مقال له وضع خاص ، موجه في أساسه لجمهور المسلمين ، ومن يعاني من هذه الإشكالات في الروايات الحديثية المتعلقة بحفظ النص القرآني وتواتره ، وأهمل المقالات المتعلقة بالدراسات اللسانية مثل (نشأة اللسان العربي) ومفهوم (الترادف والتضاد في اللسان) (ودلالة أصوات الأحرف العربية)، والمقالات المنهجية ، والمقالات المتعلقة بالأصول ،كل ذلك الكم من المقالات، التي تُعطيه فكرة مفصلة عن المنهج الذي أعتمده في البحث ، وأحاول أن أقربه للقراء ، ولكن تم تغييب هذه المقالات، وأبعدها عن الدراسة والتقويم !، فمن يريد أن يعرف منهج باحث ينبغي عليه أن يقرأ معظم ما كتب، أو أهم ما كتب ، فيخرج معه المنهج المعتمد ، ويتم استخدامه لفهم باقي الأبحاث بصورة واعية، أما صاحبنا فقد قرأ القصص والتعليقات، ومن المعلوم أن كتابة القصة لا تخضع لمنهج صارم ، فيمكن أن يتساهل الكاتب في طريقة تناوله للأفكار ، ويستخدم أسلوب ساخر غير موجه إلى القارئ ، وتهدف القصة تبسيط الأفكار ، وتسطيح أو تهزيل الأفكار التي يعتقد الكاتب خطأها من وجهة نظره .

وأقول لصديقي يوسف، قبل أن تقوم بتقويم فكر الآخرين ، كان ينبغي أن تُقَوِّم فكر المنهج الذي تنتمي إليه ، الذي لم يتشكل جَنينّياً بعد ، وفيه من الإشكالات ما يجعله من وجهة نظري مثل التيار التراثي السائد، ولكن على الطرف المضاد له تماماً ، وكان يمكن أن أقوم بعملية نقده ، ونقضه على غرار مقالك ، ولي تجربة صغيرة في ذلك آثرت على موجبها عدم الدخول في عملية الحوار والنقاش معكم لقناعتي بعدم جدواها ، وذلك لرفض الأمور البديهية ، ومطالبة الآخر بإعادة إثبات ما هو ثابت ، ورفض فكر الآخر دون برهان ، والنتائج منشورة في المنتدى ومعلومة للجميع .

وإن كنا نحن رفضنا قدسية الحديث ، وتمسكنا بالقرآن ، فأنتم في لسان الحال رفضتم قدسية القرآن ذاته، وأفرغتم محتواه ، وقمتم بتفصيل جديد لمحتوى القرآن أوصلكم لإنكار الصلاة الشعائرية، وما يترتب عليها من أحكام وشروط، وأنكرتم الصيام ، وأحللتم أكل لحم حيوان الخنزير ، وجعلتم الخنزرة صفة إن أصابت لحماً معيناً يتم تحريمه ، وجعلتم ضرب الخمار على الجيوب هو إزالة الأوساخ والروائح الكريهة من فتحات جسم الذكور والإناث،وقلتم الذكر ليس هو الذكر المعروف، وكذلك الأنثى ليست هي الأنثى المعروفة، والملائكة هي كواركات !.

إلى غير ذلك من الأحكام والمفاهيم الغريبة والعجيبة!، التي أقل ما يقال عنها أنها هراء.

صديقي يوسف !

تمنيت أن يُحالفك الحظ فتصيب في عملية نقدك لمنهجي ، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .

والآن سوف أتعرض لمدخل مقالك باختصار ، وأنتقل لنقد شبهاتك و إشكالياتك، لأُظهر لك التخبط والضياع، الذي وقعت فيه حضرتك، مع احترامي لك .

1- قام الأخ يوسف بالتفكير عني، وشق عن ما في نفسي فقال : (يعتقد بأنه هو الأجدر والأهل بأن يكون التيار السائد في المنتدى).

أنا لم أدخل إلى المنتدى لأجعل ما أعتقده من منهج وفكر صواب هو السائد والرائد في المنتدى ، ولم يخطر ذلك على ذهني قط ، وإنما دخلت مشاركاً في إبداء ما أراه صواباً ، ولإطلاع الآخرين عليه، لعلي أستفيد من مداخلاتهم وتعليقاتهم، وفي ذات الوقت أفيدهم، وأساهم في تحريك الحوار والدراسة.

2- وقال أيضاً عني: (منطق التجاهل الذي يستعمله في الكثير من مقالاته عن طريق لغة استيعابية متعالية في الزمان والمكان عن الآخر ...- إلى قوله – بمنطق تبسيطي اختزالي تهكمي في الكثير من الأحيان عبر أسلوب قصصي يستهزئ من عقل القارئ ....)

- إن تبسيط واختزال الفكرة ، وتوصيلها بأسهل أسلوب ، هو مطلب للقارئ ، وأنا أهدف توصيل ذلك له توضيحاً وفهماً ، ولا أهدف عرض العضلات، وتعقيد المقال ، من خلال استخدام مصطلحات خاصة، أو أسلوب متعالي لا يفهمه إلا القلة ، وذلك إن كان هذا المقال المتعالي في أسلوبه يحتوي على شيء أصلاً .

- أما أسلوب القصص فليس هو للسخرية من القارئ أبداً ، إلا إن تماهى القارئ مع القصة، وأسقطها على نفسه،كما فعل بعضهم، فهذه مشكلته هو، وليس مشكلتي أنا، مع العلم أن هذه القصص قد كُتبت ونُشرت سابقاً في موقع شباب مصر، وذلك للمستوى الثقافي الموجود هناك، ونشرتها في المنتدى من باب المشاركة والطرفة، وكذلك معظم مقالاتي ، قد تم نشرها سابقاً في غير موقع المنتدى ، فهي لم تكتب للمنتدى بصورة مباشرة .

لذا ، لا يصح معرفة الكاتب، وتحليل منهجه، ودوافعه في مكان معين لم يتم الكتابة له حسب مواصفاته واهتماماته ، وخاصة أن القراءة والتقويم كانت قاصرة على القصص، وكان ينبغي على الأخ يوسف أن يترفع عن هذا الأسلوب، والنظر في محتوى ومضمون المقالات، التي تناولت الموضوع بصورة دراسية، مثل مقالاتي المتعلقة باللسان العربي ، ومقالاتي المنهجية مثل (هل يمكن أن ندرس القرآن منفصلاً عن الواقع) والأصولية مثل (السنة غير الحديث) وغيرها من المقالات .

3- اعتماده على مقال (توثيق النص القرآني)

إن هذا المقال موجه بالدرجة الأولى لمن يتعامل مع التراث والنصوص ، فهو طريقة علاجية وتوليف بين النصوص التاريخية، للأخذ بيدهم ، والرقي بهم إلى مستوى التعامل مع القرآن مباشرة ، وهذا اقتضى استخدام أسلوب المجاراة في البحث والتفكير، واستخدام أدلة الآخرين للخروج بهم من الدائرة التي تقيدهم .

4- كل من يقرأ مقالاتي يُدرك تماماً دعوتي إلى التفريق بين الفهم الإنساني، والنص القرآني ، ومطالبتي بعدم التماهي مع النص القرآني ، فالنص متاح للجميع أن يبحروا فيه، وبه ، والنتيجة التي يصل إليها الإنسان ليست هي نهاية أو سقف معرفي للنص ، وبالتالي لا تُلزم أحداً ، ولا تأخذ صفة الحق، وما سواها باطل .

فأنا مع تعدد القراءات للنص القرآني ، ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد في القراءات حسن وأحسن ، وصواب وخطأ ، فهذه صفات لابد منها للقراءات ، ولابد أن يستمر الحوار، وإبداء الرأي، وسماع الرأي الآخر، وهكذا دواليك تتراكم المعارف، أما اقتطاعه جملة من تعليقي على تعليق أحد الأخوة، الذي قال فيما معناه : (أن منهجك وتناولك للأفكار كان بطريقة متناقضة مما أدى إلى اعتراض بعض الأخوة عليه ورفضه) فقلت : (لا يوجد إشكالية ولا تناقض في منهجي ....) في معرض الرد عليه ، ومن المعلوم أن الردود والتعليقات لا تخلو من انفعال ومبالغة ،كما هو مشاهد، لذا؛ لا يصح أخذ هذه الجملة والبناء عليها بأن صاحبها يعتقد أن منهجه له صفة الحق المطلق !، وما يصل إليه من أفكار أيضاً حق . أي تماهى مع القرآن وأخذ صفته من كونه لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه !.

صديقي يوسف

ما هكذا يتم تناول الأمور ودراستها ، وأنت تعلم أن الإنسان لا يخلو من أعجمية في أسلوب كلامه، مهما حاول أن يُقلص هذه الصفة، لأنها لازمة لمحدوديته المعرفية، والإدراكية، والعلمية، والحفظية .

لذا؛ ما بنيته على هذه المقولة خطأ من حيث الواقع ، ولا قيمة برهانية لسردك فيما بعد،نحو قولك: (ستتحول هذه الأفكار والمناهج لتصبح مراداً ومقصوداً لله)

وبعد هذا العرض ذهبت حضرتك لسرد أفكار ليست هي محل رفض أو خلاف بيننا، وما تطالب به، نحن نطالب به ، وما تعتقد به تجاه القراءات النسبية للقرآن، كذلك نعتقده ، فكما أنت ترجو الحقيقة وتتلمسها ،كذلك نحن ، ونضم تصورنا إلى تصورك عندما تقول :

(فالعلاقة مع القرآن حسب تصوري لها، لن تتأسس من خلال تيار ، أو من خلال منهج بذاته مع ضرورة ذلك . وإنما العلاقة مع القرآن هي علاقة كل فرد منا في جدليته مع هذا الكتاب ، أخذاً وعطاءً ، وشكاً وإيماناً ، وظناً واطمئناناً، فالحق لن يُعرف إلا من خلال التجربة الواقعية لكل منا في تعاطيه مع عمق هذا الكتاب ، ولن تتحول اجتهادات الآخرين، أو مقارباتهم باسم القرآن، إلى حقائق وجودية أو نفسية يتم تأطيرنا من خلالها).

أما صفة التجاهل لمجموعة من التعليقات والتساؤلات، التي تتوجه إلى مقالاتي، فحضرتك غالباً قد قرأتها ، وأنا لي الحرية التامة في أن أرد على التعليقات، أو أن لا أرد ، وهذا لاعتبارات عندي ، منها:

أ- التساؤل موجود جوابه في المقال ذاته .

ب- التساؤل سخرية وتهكم .

ت- التساؤل خروج عن الموضوع .

ث- التساؤل للتعجيز .

ج- التساؤل ليريح القارئ نفسه من البحث.

ح- التساؤل للإثارة .

خ- طلب التحدي .

د- التساؤل بصورة إلزام بالجواب .

ذ- التساؤل من باب الترف والإطلاع .

ر- التعالم و التحاذق .

ز- التعالي في السؤال .

س- إعادة وتكرار ما هو مذكور في المقال ولكن بأسلوب آخر .

ش- طرح قول وإلزامي به وأنا لم أقله أصلاً .

إلى غير ذلك من الأمور، التي يدركها الإنسان القارئ في حال تصفح مقالاتي والتعليقات عليها . مع العلم أني قد قمت بالتعليق على مجموعة كبيرة منها ، وأحياناً أعلق وأنا كاره لذلك !.

وتعليق الأخ (معروف) على مقالك ووصفه لي (بالتناقض وعدم الفهم وغير ذلك) أكبر شاهد على ما أقول ، وخاصة أنك قد رددت عليه محاولاً إرجاعه إلى جادة الصواب ، ونقاش الأفكار، لا الأشخاص . فأنا من طرفي أنزه نفسي عن الرد على أمثال هؤلاء .

ونوهت على ذلك في بضع تعليقات، وطلبت من الأخوة أن لا يسيئوا الظن بي، ولا يقوموا بتحليل شخصيتي ، وذكرت عذري السابق ، وأضفت له انشغالي في البحث والدراسة والكتابة في أكثر من موضع . لذا؛ لا أرد إلاّ على السؤال الذي أراه أهلاً للرد عليه ، مع تجاوزات في بعض الأحيان .

ولكل مقام مقال ، وليس لكل سؤال جواب حاضر ، والصمت يُعَّد في بعض الأحيان جواب.

انظر على سبيل المثال إلى أحدث التعليقات:

1- يقول الأخ شهاب (كيف يقول بأن اللغة التي نزل بها القرآن هي لغة بأصواتها معروفة أزلياً) أين قلت ذلك !؟ وكيف أرد على قول لم أقله !؟ بل وأنا مخالف له تماماً .

ويستنكر قولي إن ترتيب سور القرآن كان من الصحابة، ويعتقد إن تغيير أماكن السور تقديماً أو تأخيراً يؤثر على دراسة النص القرآني ، وأنا أقول له : إن قمنا بترتيب نص القرآن ابتداءً من السور القصيرة إلى الأطول فالأطول ، ماذا يضر النص القرآني !؟ وماذا يؤثر على دراسته !؟ ولقد ذكرت سابقاً إن النص القرآني له منهج خاص في دراسته يتميز عن كتب

ومؤلفات الإنسان ، لذا ، لا يضره تقديم أو تأخير سوره . أما أن نرفض الفكرة لمجرد عدم استساغتنا لها، أو غرابتها دون برهان نعرضه ، فهذا ليس موقفاً علمياً أبداً . فإن لم تقتنع بهذا فاعرض ما عندك مدعوماً بالبرهان على دعواك !؟ أو فاصمت .

2- يقول الأخ معروف (لماذا يا سامر يقبل عقلك المتناقضات ويستسيغها)!؟

ويقول (هنا السبب يعود لقصور في العقل بلا أدنى شك)!!!

ويقول (ومن عدم صلاح عمل الأخ سامر ابتداءً)!!

هل هذا تعليق يصدر من إنسان واعي ؟ حتى أقوم بالرد عليه ! وأتساءل أين رقابة المشرف ؟ وما موقفه من ذلك ؟ ألا تُعَّد تلك الجمل إهانات ؟!

3- انظر إلى قول حضرتك تعليقاً على تعليق أحد الأخوة على مقال لي :

(مداخلة توصيفية بامتياز لعوار هذا الفكر) !

كيف أرد على هذا العوار!؟ ألا يُحتمل أنك لم تستطع فهم المنهج فقلت عنه ذلك ! والإنسان عدو لما يجهله !

هل علمت يا أخ يوسف لما أتجاهل معظم التعليقات ! وأريد أن أقول لك بصراحة إن مضمون مقالك هو من النوع الذي أهمله عادة، ولا أرد عليه ! ولو لم تفرده بمقال خاص لما رددت عليه ، ولكن خشيت أن يتأثر آخرون بالمقال فقررت أن أرد، وأظهر عوار نقدك (كلمة عوار استعارة من تعليقك) .

ونأتي الآن إلى الرد على الإشكاليات التي ذكرها أخونا يوسف .

1- الإسلامبولي وتناقض المنهج .

- قال : (حين يجعل القرآن السبيل الوحيد للمعرفة الإنسانية إذ فيه كل شيء)

أين يا أخ يوسف قلتُ : إنّ القرآن هو السبيل الوحيد للمعرفة !؟

لو تصفحت مقالاتي لرأيتَ أني كتبتُ مقالاً بعنوان (هل نستطيع أن ندرس القرآن منفصلاً عن الواقع) ، وفي مضمون مقالات أخرى ذكرت أيضاً أن القرآن هو مصدر تشريعي إلهي وحيد، ولكن ليس مصدراً معلوماتياً، أو معرفياً، وحيداً، وإنما هو من أهم المصادر المعلوماتية والمعرفية بجانب الواقع وما ينتج عنه من علوم ومعارف على صعيد الآفاق والأنفس .

فهل أنا أو أحد غيري قال : إن القرآن مصدر معرفي وحيد لعلوم النفس والمجتمع، ويحتوي على كل شيء مما يريده الإنسان !؟

- أما قولك : (هذا التيار ردة فعل طبيعية ، على ما خلفته الرواية من أثر نابعة عن عمق انفعالي لا علمي في كثير من الأحيان ، خاصة في تعاملها الانتقائي مع الرواية فهي تنكر الرواية وعلم الحديث ، ومن جهة أخرى تتبناه حين يعجزها الأمر عن الإجابة على إشكالات حقيقية في بنية الفكر الديني عموماً ، سواء انتسب إلى الرواية الأثرية أو إلى القرآن....) .

ألا ترى يا أخ يوسف إن القسم الأول من التيار القرآني ، الذي تنتسب إليه حضرتك ينطبق عليه المقولة الأولى (ردة فعل طبيعية ...انفعالية) لو صح قولك، وإن لم يصح فكِلا القراءتين محاولتين لتجاوز الأزمة ، وتدشين منهج ثقافي جديد قائم على الوعي والعلم ، مع تقاطع في كثير من قواعده ومنطلقاته ، رغم تطرف الاتجاه الذي تنتمي إليه حضرتك !!.

- أما قولك (إننا ننكر الرواية وعلم الحديث ومن جهة أخرى نتبناه حين نعجز عن الإجابة على إشكاليات حقيقية ....)

فهذا مطب فكري كنت أنوء بك أن تقع فيه ، لأننا نفرق بالتعامل مع الحديث النبوي على وجهين:

الأول : مصدراً تشريعياً إلهياً ، وهذا ننفيه عنه تماماً ، وبالتالي ننفي قدسيته .

الثاني : مصدراً تاريخياً مثله مثل أي نصوص أخرى ، يخضع لعلم التاريخ في التعامل معه .

فإن كانت المسألة أحكاماً شرعية إلهية ، فالمصدر الوحيد هو القرآن ، وإن كانت مسألة تاريخية فالحديث نص تاريخي ، يُعد من المصادر التاريخية بعد القرآن ، ونتعامل معه بحذر ضمن منهج علمي خاص في دراسة التاريخ .

فقولي : (علم مصطلح الحديث كذبة وخدعة كبيرة ...) هو مما يتعلق بالحكم على متن الحديث صواباً أو خطأً، وتعلقه بالدين ،إضافة لجعلهم الحديث مصدراً تشريعياً إلهياً بجانب القرآن، ولم يتم استخدام هذا الفن في الأخبار التاريخية ، لنعده وسيلة من وسائل تقويم الأخبار والأحداث ، فقد انحصر بأخبار الدين وأحكامه ، فمن هذا الوجه كان كذبة وخدعة كبيرة لوجود المصدر الإلهي (القرآن) التشريعي حاضراً .

لذا؛ لا نحتاج إلى مادة الحديث النبوي، أو غيره في عملية التشريع الإلهي أبداً، ولم نقع في أي تناقض قط بين المنهج والتطبيق، وكل سؤال شرعي ينبغي أن يكون جوابه في القرآن، أو منه، ولم نشذ عن هذه القاعدة قط .

أما مثال الصلاة الذي يأتي به أهل التراث لضرب منهجنا ، هو ذات المثال الذي أتيت به حضرتك ، رغم أنك قرآني كما ادعيت ، وجوابنا واحد لكلاكما، الصلاة قد شرعها الله في القرآن من حيث الحكم والشكل وعدد الصلوات وأوقاتها ومقومات الركعة ، ناهيك عن أنها سنة الأنبياء والرسل جميعاً ، إضافة لتواتر فعل الصلاة من النبي نفسه، المعني بالخطاب ابتداءً ، والأمر بإقامة الصلاة الشعائرية لا علاقة له بالتطور المعرفي . **فالصلاة ثابتة في القرآن ، وثابتة في سنة الأنبياء والرسل ، وثابتة في سنة المصطفى محمد** ﷺ. أما الأذكار والأدعية فهي اختيار نبوي، لك أن تلتزم به (وهو الأولى) ولك أن تختار غير ذلك من القرآن لفظاً أو تأويلاً للآيات .

فأين مادة الحديث النبوي التي نعتمد عليها في تشريع الصلاة أو كيفيتها !؟

وعندما قلتُ : (عندما جعل المسلمون مادة الحديث النبوي وحياً ومصدراً تشريعياً أصيبوا بالتخلف والانحطاط ....)

ينبغي أن تنتبه يا أخ يوسف ! وتُفرق بين نفينا القدسية الإلهية عن مادة الحديث النبوي ، وبالتالي ليس مصدراً تشريعياً ، وكل من يجعله مصدراً إلهياً يقع في عملية الشرك التشريعي المنهجي ، ويُصاب بالتخلف والانحطاط ، ويُشرع للناس ما لم يشرعه الله ، ويفرض على المجتمعات اللاحقة فهم وتفاعل المجتمع الأول .

وتعاملنا مع الحديث النبوي وغيره كمعطى تاريخي ، وله حق في ذلك مثل سائر النصوص الأخرى . لذا ؛ أنا أستغرب منك كيف وقعت في هذا المطب !؟ انظر إلى خلطك بين هذه المفاهيم، **التواتر، السنة، الحديث، المصدر التشريعي الإلهي، المصدر التاريخي** .

أخ يوسف

إن مفهوم التواتر ليس من علوم الحديث ، وَوُضع فيه لتعلقه بالأحداث والحديث والأخبار .

فهو من القواعد العقلية، ويدخل تحت ما يُسمى قواعد العقل، فهو من المنطق، وليس من مصطلح الحديث ! .

والتواتر قاعدة منطقية عقلية إنسانية ليست خاصة لمجتمع دون آخر، ولقد **عرفت التواتر بأنه : ممارسة مجتمع شاهد لحدث واستمرار تلك الممارسة دون انقطاع للمجتمع اللاحق مع توسع دائرة التواتر (ظاهرة اجتماعية ثقافية) يُحيل العقل عادة تواطئهم على الكذب أو الضلال لتعلق الأمر بالممارسة وليس بالرواية .**

لذا، ليس للتواتر سنداً، ومجرد أن ينحصر بسند، انتفى عن الحدث صفة التواتر ، وينبغي الانتباه إلى أن التواتر يجب أن يتحقق في الحلقة الأولى المشاهدة للحدث، ويستمر ذلك دون انقطاع .

فقاعدة التواتر تندرج تحت القواعد العقلية المنطقية، وليس تحت مصطلح الحديث .

- أما قولك (ومتى كانت الكثرة دليلاً موضوعياً على حقيقة أو بطلان شيء)!؟ فهذا القول غير واضح القصد منه . فإن كنت تقصد بكلمة (الكثرة) التواتر، وكلمة (حقيقة أو بطلان) كيفية حصول الحدث، وتفسيره ومعرفة أسبابه وسننه ، فلا شك أن الكثرة (التواتر) ليس برهاناً أبداً لمعرفة ذلك، وتخضع معرفة الكيف للدراسة والتفكير باستخدام أرقى الأدوات المعرفية الممكنة للباحث. وإن كنت تقصد بقولك ثبوت حصول الحدث، فلا شك أن قولك باطل، لأن التواتر يُفيد قطعاً الحصول والإثبات للخبر ضرورة عقلية منطقية .

لذا؛ ينبغي أن تُفرق بين مسألتين، وهما :

أ- التواتر يُفيد حصول الحدث قطعاً .

ب-التواتر لا يصلح لتفسير ومعرفة كيف حصل الحدث .

ومثل ذلك، مثل رؤية كسوف الشمس ، فالحدث حصل في الواقع ، ويتم نقل ذلك الحدث بصورة متواترة ،مما يؤدي إلى قطعية الحصول ، وإثبات الخبر لمن لم ير الحدث بعينه . أما مسألة تفسير كيف حصل الكسوف فهو رأي للناس لا قيمة له، ولو تواتر ، لأن البرهان على الكيف، هو العلم، وليس التصور أو التخمين ، فالرواية للحدث، غير تفسيره والحكم عليه.

هل علمت يا سيد يوسف لماذا نحتج بالتواتر في إثبات حصول حدث !؟

وهل علمت أن التواتر ليس من مصطلح الحديث لانتفاء وجود سند له يخضع للجرح والتعديل والدراسة !؟

وبالتالي لا يوجد أي تناقض أبداً في المنهج نظرياً وعملياً .

واعلم أن النص القرآني؛ نصاً متواتراً إنسانياً لارتباطه بالواقع حينئذ مع استمرار التفاعل معه في كل مجتمع لاحق، لذا؛ هو فوق الشبهات والإشكاليات من حيث ثبوته متناً ، أما مسألة مضمونه، وتعلقه مع محله من الخطاب، فهو متروك لكل مجتمع أن يقوم بقراءته حسب أدواته المعرفية ضمن محور الثابت والمتغير (السيرورة والصيرورة)، فتستمر سيرورة القرآن نصاً ، وصيرورة فهمه دراسة وقراءة ، وتتراكم القراءات ويتم المكث للقراءة النافعة .

سامر إسلامبولي ولعبة السنة والحديث .

صديقي يوسف المحترم .

إن اختلاف المبنى يؤدي إلى اختلاف المعنى ضرورة ، وأي زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى . والنص القرآني كونه النص الوحيد الذي يمثل استخدام اللسان العربي بصورته الأصيلة العلمية، فقد حافظ على هذه القواعد، ومنه نستمد قواعد اللسان العربي.

فدلالة كلمة (سنة) في القرآن ، غير دلالة كلمة (حديث).

- {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }الأحزاب62 .

- { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً }النساء 87 ، راجع مقالي (السنة غير الحديث).

وبناء على ذلك التفريق قمنا بدراسة سنة النبي ، وحديث النبي، وقلنا : إن سنة النبي هي منهج عقلاني مرتبط بمعطيات الواقع، يستخدمها في عملية علاجه للأحداث، وينبثق منها الأحاديث النبوية.

لذا؛ قلتُ: إن سنة النبي انبثقت من القرآن، أي تَعلّم النبي المنهج من فحوى النصوص القرآنية ، وهذا المنهج هو الذي أطلق الله عليه اسم (الحكمة) في أحد استخداماته للكلمة في النص القرآني، وهذه الحكمة غير مرتبطة بزمان أو مكان. لذا؛ كانت متاحة للأنبياء السابقين وغيرهم من الحكماء{يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ } البقرة(269)، (وكان خُلُق النبي متمثلاً بالقرآن) منهجاً وسلوكاً.

فنحن مأمورون بالالتزام بالحكمة (المنهج) الموجود في القرآن ذاته، وفي سيرة النبي العظيم ، أما أحاديثه فهي تفاعل النبي مع معطيات واقعه لعلاج مشاكله وتنظيم حياته .

هل ظهر لك الفرق بين مفهوم السنة ، ومفهوم الحديث؟ .

- سنة النبي: نتيجة تفاعل النبي مع القرآن منهجاً ومقصداً فحصل على الحكمة.

– حديث النبي: انبثق من استخدام السنة (الحكمة)، فهو أقوال وتعليقات مرتبطة بالزمكان .

وهذا لا علاقة له بمفهوم سنة الرسول .

– سنة الرسول : هي الطريقة العملية لإسقاط الأمر الإلهي الذي له صورة ثابتة في القرآن على أرض الواقع، وتمثل ذلك بإقامة الصلاة فقط، وليس تشريعها ، لأنها مشرعة في القرآن أصلاً .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ }المائدة6، **وقال النبي: (صلوا كما رأيتموني أصلي).**

فعندما نزل الأمر بأداء الصلاة ، نزل معها تفصيلها في النص القرآني، وإلا كان الأمر بالأداء مجرداً عبثاً، فتلازم الأمر الإلهي مع صورة تطبيق النبي للصلاة ، وتم نقل ذلك تواتراً من خلال عملية الرؤية للنبي.

لذا؛ الإتيان بمثل أداء الصلاة على حاجة القرآن للحديث، أو أنه مصدراً تشريعياً باطل أصلاً، لأن الصلاة أتت في القرآن، وطبقها الرسول النبي ، وإن قالوا : لا يَستغني القرآن عن سنة الرسول النبي، فهذا كلام قاصر ومغالطة ! لأن الأصل لا يحتاج للفرع ، والكل لا يتأثر بغياب الجزء، فالقرآن أصل وكلٌ ، وسنة الرسول النبي فرع وجزء ، ولولا نص القرآن لما وُجدت سنة الرسول النبي من أساسها، فهي محتاجة له ومتعلقة به ، فنحن تأكدنا من بعد التأكد المتواتر لهيئة الصلاة، من صواب هيئة الصلاة في القرآن ذاته، فزاد الأمر نوراً على نور، فكانت سنة الرسول النبي ترجمة عملية للصلاة في القرآن ، وإتباع لسنة الرسل الأنبياء. وانتبه لعدم وجود حديث للرسول النبي لأن حديثه هو حديث الله نفسه الذي يوحى إليه.

وأتابع تخبطك وضياعك ، وعدم قدرتك على جمع نقاط المنهج وتوليفها مع بعضها.

لقد ذكرت حضرتك ، عني : (ما يعتبره مادة تاريخية لا قداسة لها بفعل تاريخيتها ، ستصبح مادة مقدسة تؤسس للمعرفة وتؤصل لمواضيعه المختلفة)!.

أخي يوسف ! أعيد وأكرر، ينبغي أن تنتبه للفرق بين المقولتين، وهما :

1- مادة الحديث النبوي ليست مصدراً إلهياً ، وبالتالي ليست هي مقدسة ، ولا يصح الاستدلال بها على الأحكام الشرعية .

2- مادة الحديث النبوي : مادة تاريخية نتعامل معها في الأمور المتعلقة بالأحداث، وفق منهج تاريخي علمي يخضع لمعطيات الواقع المعني بالحدث ، ويخضع للكليات الثابتة ، وما يوجب العقل حصوله أو امتناعه ضرورة .

فإتيانك بمثل (توثيق النص القرآني في الزمن المدني) لتحليله ومعرفة المنهج، خطأ يا سيد يوسف! لأن مسألة تواتر النص القرآني مسألة محسومة علمياً عند الكفار به قبل المؤمنين به، وكحد أدنى ثبوت صوابه إلى النبي محمد ، ومسألة الإيمان بمصدريته الربانية لا علاقة لها بمسألة التواتر له ، فكل المجتمعات اللاحقة مَعنية بالتفاعل معه، والحكم عليه حسب أرضيتهم المعرفية، مثلهم مثل المجتمع الذي زامن نزول النص القرآني، فالجميع أمام النص القرآني سواء، لا يهم مسألة التواتر، ولا عامل الزمن في قضية الإيمان بمصدريته الربانية ، وكل مجتمع استطاع أن يحقق درجة الإيمان به حسب أدواته المعرفية ومتطلباته . فلا أدري لماذا لم تعرف هذا الفرق بين التواتر والإيمان ، والسنة والحديث ، ورفضنا للحديث أن يكون مصدراً شرعياً ، وتعاملنا معه كمادة تاريخية وفق الثوابت والكليات وقواعد العقل!؟

فالأخبار التي سردتُها عن عملية جمع النص القرآني في العهد المدني، إنما هي طريقة علاجية لمن يتعامل مع النصوص التاريخية ويقدسها ، وتستطيع أن تحذفها كلها من البحث القرآني ، ولا يتأثر مفهوم تواتر النص القرآني أبداً .

لذا؛ سردك للألفاظ لا قيمة برهانية لها ، فهي خبط عشواء ، وتخيلات خاصة بك، ابتداءً من افتراضك ، خلق خصم لي حتى أظهر فكري أو قوته .

واعلم يا أخ يوسف إن هذا المقال موجود ومطبوع قبل أن يكتب الجابري مقالاته على الانترنيت ، وقبل طباعتها كُتُباً . وهو فصل من كتابي (ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة ، رد على كتاب النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة للدكتور طيب تيزيني) صدر عام / 2002 / ولكن رأيت مقالات الجابري تدور في ذات الدائرة ، فأخذت هذا الفصل وغيره من الفصول المتعلقة بالبحث القرآني، ونشرتها على الانترنيت ، وذلك للرد على هذه الشبهات القديمة، ووضع حد لها ، فمن يستغل النصوص الظنية التاريخية لبناء مفهوم، لابد أن تجاريه، وخاصة إن كانت لهذه النصوص بنية ثقافية تحتية في الأمة ، والأخذ بيده نحو البحث العلمي والارتقاء به إلى مستوى التعامل المباشر مع النص القرآني. لذا؛ ضمنت كتابي بحثاً بعنوان (**توثيق النص القرآني من التاريخية إلى الواقعية**) وقصدت به، أن النص القرآني أخذ حقه كاملاً في التوثيق التاريخي تواتراً إلى النبي محمد ، وجاء الوقت إلى الانتقال إلى التوثيق العلمي والمعرفي من خلال الواقع لإثبات مصداقية القرآن، ونسبته إلى الله، مع عدم توقف القراءات وتعددها له، لأن هذا من طبيعة النص القرآني، فقمت بتوجيه المقال في بدايته للجابري ، ويمكن أن أوجهه إلى كل من يقول بقوله.

لذا ، اعلم يا أخ يوسف !إن مادة التاريخ شيء موجود وثابت ، ولو تطرق إليها التحريف والتزوير ، فمهمتك كباحث أن تميز الصواب من الخطأ ، وهذا ما قمت به من استخدام لتلك الروايات ، فهي بحد ذاتها لا تصلح برهاناً لشيء لانتفاء ثبوتها قطعاً ، ولكن تصلح عندما تضع للوحة إطاراً، وتُثبت الكليات ، وتستحضر قواعد العقل المنطقية ، التي منها مفهوم التواتر ، مع استحضار ما يُحيله العقل أو يمنعه، أو يوجبه حسب معطيات الواقع الذي ينتمي إليه الحدث ، وتحمل هذه الروايات الجزئية وتضعها في مكانها من اللوحة ، فإن انسجمت مع

أخواتها في المنظومة ، فذلك بحد ذاته برهان على صوابها ، وإن لم تنسجم مع أجزائها من اللوحة ،كان ذلك برهاناً على كذبها، وعدم انتسابها إلى هذه اللوحة.

فعندما تُدرك المفهوم بصورة كلية، تستطيع أن تتنبأ بالجزء منه قبل وروده إليك، فإن ورد إليك، سرعان ما تضعه في مكانه المناسب .

مثلاً : إن الخبر التاريخي الذي ذكرته من قيام النبي بوضع الآية في مكان كذا من سورة كذا ، ثابت عقلاً وواقعاً دون ورود الخبر ذاته من خلال ثبوت أن النص القرآني لم تنزل سوره الطويلة دفعة واحدة ، وإنما نزلت على دفعات، وهذا يقتضي من الرسول أن يقوم بتعليم الكاتب مكان وضع هذه الآيات في أي سورة وبعد أي آية، وغير ذلك من الأخبار، فكلها ثابتة عقلاً قبل النقل .

فسرد هذه الأخبار النقلية إنما هو لعبّاد الإسناد أولاً ، ولمن يستغل هذه الأخبار في إثارة الإشكاليات ، مع عدم قداستها ونفي صفة البرهان عنها ، مع إمكانية الاستغناء عنها تماماً للباحث الموضوعي .

لذا؛ لا قيمة برهانية لقولك : (فليسمح لي أخي سامر أن أقول ، بأن ليس هناك أي بوادر تأسيس فعلي لتيار بمنهجية رصينة وموضوعية في أبعادها .....) واعلم يا أخ يوسف أن التيار وُلِد ثقافياً، وهو قائم في عملية تأسيس قواعده ومنطلقاته وثوابته مثل أي منهج ثقافي جديد ، وقد قطع شوطاً في ذلك وبدأ ينتشر في وسط المثقفين ، وصار له أعلام كبار، من مختلف البلدان، رغم اختلاف رؤاهم الجزئية ، فهي تعدد رؤى وقراءات ضمن الإطار العام للنص القرآني وكلياته، وقواعد العقل والمنطق، التي تصب في النهاية في بحيرة واحدة، وقانون النفع، كفيل في أن يَركم ويُهمش ويُقلص الخطأ والضار.

{ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ }الرعد(17).

واسمح لي يا أخ يوسف أن أقول لك بمحبة وصدق، أنه لم يحالفك الصواب والدقة في استخراج المنهج من مقالاتي المتعددة ، ووقعتَ في تخبط، وقصور في فهم الأفكار، وربطها مع بعضها ، واعلم أني لم أدَّع أن ما أعرضه هو مشروعاً إنسانياً كبيراً كما ذكرت حضرتك . ولكن لا أنفي تطلعي إلى عرض مشروع إنساني يتقبله الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها . ولا أدعي أنني وصلت إلى الحق المطلق فيما كتبت ، ولكن أعتقد بصواب ما كتبت، حتى يثبت العكس ، متمثلاً بقول العلماء (قولي صواب يحتمل الخطأ ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب).

وختاماً أقول :

شكراً يا أخ يوسف على نقدك الموضوعي غير المشخصن ، وعلى أدبك الجم في الحوار، وأعتذر منك إن استخدمت بعض الألفاظ في المقال التي قد تراها مزعجة ، ولكن التفاعل مع الموضوع قد يدفع الكاتب إلى بعض الاستخدامات.

ولا تغتر بمتابعة بعض الأخوة لك في مقالك ! فهم ليس أكثر من مصفقين ومهللين.

واسمح لي أن أستعير كلمتك في الختام :

(**القصد أكبر من تعالم فاضح، أو تسفيه لفكر آخر ، ولكن العجلة لن تدور إلا بجهودنا متكاملين نقداً، وتصويباً، وبناءً**).

تقبل تحياتي العربية

ليس كل أصحاب النبي أتباعه

إن مفهوم الصحابي؛ ليس له مفهوماً دينياً محدد مثل مفهوم الصلاة والصيام والحج، وبالتالي؛ يرجع ضبطه إلى دلالته لساناً وثقافة (القرآن).

إن كلمة صحابي ترجع في جذرها إلى كلمة (صحب)، فعلى ماذا تدل كلمة صحب !؟

ص : صوت يدل على حركة متصلة محددة .

ح : صوت يدل على تأرجح شديد منضبط.

ب : صوت يدل على جمع مستقر .

وباجتماع هذه الأصوات الثلاثة بالترتيب المذكور، نصل إلى أن دلالة كلمة صحب هي حركة متصلة محددة مؤرجحة بشدة، منتهية بجمع مستقر . وتحقق ذلك بعملية الصحبة، عندما يقوم زيد بإيجاد علاقة اجتماعية مع آخر مستمرة في الزمن، وليست مؤقتة . فالصاحب ليس هو عابر سبيل في العلاقة الاجتماعية

لننظر إلى استخدام القرآن لمفهوم (الصاحب) .

1-{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (يوسف 39)، نلاحظ أن النبي يوسف عليه السلام قد خاطب من معه في السجن بكلمة (يا صاحبيَّ) ، رغم أنهما مختلفان معه في الفكر، ولكنهما مشتركان معه في المكان والحياة المعيشية، وبينهما علاقة معينة .

2-{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً } (الكهف 37).

إذاً؛ لا يُشترط للصاحب أن يكون موافقاً في فكره لصاحبه .

3-{يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ } (المعارج 12-13).

4-{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (الأنعام 101).

إذاً؛ الصحبة يلزم لها العلاقة المستمرة مع الزمن، مثل علاقة الزوج بزوجته . ومن هذا الوجه نقول : أصحاب الجنة ، أصحاب النار ، صاحب الدار ، صاحب المال، وبذلك العرض؛ يظهر لنا أن القرآن لم يُعط لمفهوم الصحبة أي ميزة، أو فضل، لاحتمال وجود الصاحب المخالف بالفكر، والسلبي في التعايش ، مثل صاحبيّ الجنة، فأحدهما كفر باليوم الآخر، ولكنه مازال صاحباً للآخر المؤمن ، لأنه ليس كل كفر أو مخالفة، هو موقف عداء وحقد ، فالكفر كُفران :

أنواع الكفر

أحدهما، كفر سلبي، وهو الموقف الحيادي الانعزالي الخاص بصاحبه، لا يعادي أو يحارب أحداً .

والثاني : كفر إجرامي، وهو موقف عدائي حاقد على الآخرين المخالفين له . ويكون معياره في تصنيف الناس هو، من لم يكن معي فهو ضدي ضرورة. بينما المؤمن صاحب الحق يكون معياره هو التعايش السلمي والإيجابي مع الناس كافة،ولا يُعادي إلا من يُعاديه، ومن لم يكن معه فليس من الضرورة أن يكون ضده.

قال تعالى : {وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ } (التكوير 22)، {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} (النجم 2)، فلقد وصف الله ﷻ النبي محمد ﷺ أنه صاحب لقومه الكفار الذين اتهموه بالجنون، والسحر والشعر، وغير ذلك من المعاداة الإعلامية الثقافية ، ومع ذلك فهو صاحبهم .

إذاً ؛ يمكن أن يكون الصاحب عدواً لدوداً لصاحبه! .

وبناءً على ما ذكرت يحق لنا أن نسأل **من هم أصحاب النبي ﷺ** ؟

1- هل هم كل من رأى النبي ولو لحظة واحدة ؟ والجواب قطعاً بالنفي .

2- هل هم كل من رآهم النبي ولو لحظة واحدة ؟ والجواب قطعاً بالنفي .

3- هل هم كل من عاصر النبي واجتمع معه مرة أو مرتين ؟ والجواب قطعاً بالنفي .

4- هل هم كل من آمن بالنبي وعاصره، ولم يجتمع معه أبداً ؟ والجواب قطعاً بالنفي.

5- هل هم كل من عاصر النبي وشاهده وآمن به ؟ والجواب قطعاً بالنفي .

6- هل هم كل من عاصر النبي، وآمن به، وعاش بصورة إيجابية في حركة وأحداث الدعوة الإسلامية ينطبق عليه وصف الصحابة ؟ والجواب قطعاً بالنفي، فهؤلاء هم أتباع للنبي، وليسوا أصحابه .

7- هل كل من روى ونقل عن النبي حديثاً أو موقفاً وهو مؤمن به يصير صحابياً ؟ والجواب قطعاً بالنفي .

8- هل كل أصحاب النبي كانوا متبعين له ومؤمنين بدعوته ؟ والجواب قطعاً بالنفي. لأن قوم النبي هم أصحابه ، وهو صاحبهم ، ومعظمهم كفروا به وناصبوه الحقد والعداء واتهموه بالجنون والسحر .

9- هل أصحاب النبي كل من غزا مع النبي غزوة أو غزوتين ؟ والجواب قطعاً بالنفي، لأنه شارك بالغزو معظم أتباع النبي .

من خلال هذه التساؤلات نصل إلى بضعة أمور مهمة وهي :

1- ينبغي أن نفرق بين **مقام التابع، ومقام الصاحب**،فلا يُشترط للتابع أن يكون صاحباً، كما أنه لا يُشترط للصاحب أن يكون تابعاً .

2- مفهوم أصحاب النبي عام يشمل المؤمنين به، والكافرين به . وللتمييز بينهم ينبغي أن نحدد المفهوم ونضبطه بإضافة كلمة (تابع) بالنسبة لصاحب النبي المؤمن بدعوته، فيصير (الصاحب التابع) وبهذا العمل نميز الصحابي التابع عن الصحابي الكافر ، لأنهم جميعاً أصحاب النبي ﷺ. فليس كل أتباع النبي ﷺ يتحقق فيهم مفهوم الصحبة ، وبالتالي لا يصح وصفهم بأصحاب النبي . وكذلك ليس كل أصحاب النبي اتبعوه وآمنوا بدعوته ، وبالتالي لا

يصح وصف أصحاب النبي بصفة أتباع النبي !، والأمر يلزم له الضبط والتحديد لاستخدام المفاهيم .

3- مفهوم الصحبة ليس له أي ميزة أو فضل أبداً ، لأن الفضل والميزة هي لمفهوم الإتباع وليس لمجرد الصحبة .

4- لم يذكر القرآن أبداً مفهوم أصحاب النبي كما هو موجود في التراث الفقهي، ولم يذمهم أو يمدحهم ولم يأمر بإتباعهم ، وإنما أمر بإتباع سبيل المؤمنين، وهم الذين اتبعوا النبي فصاروا أتباعاً له سواء أكانوا من أصحابه أم من غيرهم .

5- أصحاب النبي المؤمنين بدعوته هم مثل الآخرين المتبعين لدعوة النبي لا فرق بينهم أبداً، إلا بالتقوى والعمل الصالح .

6- لا يوجد أي عصمة لصحابي تابع للنبي عن غيره من التابعين للنبي، وليسوا من أصحابه.

7- يمكن لأصحاب النبي أن يكفروا به، وبدعوته ويحاربوه كما حصل من قومه .

8- يمكن لأصحاب النبي التابعين له في الدعوة، أن ينقلبوا ضده فيما بعد .

9- يمكن لأتباع النبي أن يكفروا،وينقلبوا ضده، كما حصل لمجموعة منهم في ذلك العهد.

إذاً؛ لا يوجد عصمة لأتباع النبي، ولا لأصحابه التابعين أبداً . فالجميع في دائرة التكليف والحساب والمسؤولية ، والجميع خاضع لعملية الجرح والتعديل ، وإمكانية وقوع الكذب، أو الخطأ، أو الكفر واردة على الجميع دون استثناء لأي أحد منهم . وبناء على ما ذكرت من ضبط **مفهوم الصاحب** ، **ومفهوم التابع** ، نضرب أمثلة للتساؤل والنقاش.

1- هل أبو جهل وأبو لهب وغيرهم من سادة قريش من أتباع النبي أو من أصحابه ؟

2- هل أبو سفيان ومعاوية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم ممن دخل إلى الإسلام بعد الفتح هم من أصحاب النبي، أو من أتباعه ؟

3- هل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم من الصغار، هم من أصحاب النبي، أو من أتباعه ؟

4- هل من دخل في الإسلام بزمن النبي من القبائل العربية المجاورة، سواء رأوا النبي أم لم يروه ، وحاربوا معه أم لم يحاربوا، هم من أصحاب النبي أو من أتباعه ؟

5- أبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وغيرهم ، هل هم من أصحاب النبي ، أو من أتباعه ؟

6- أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وأبو عبيدة الجراح ، هل هم من أصحاب النبي ، أو من أتباعه، أو من الأصحاب المتبعين للنبي ﷺ.

7- هل أبو هريرة وأمثاله ، من الصحابة التابعين للنبي ، أو من الأتباع فقط !؟

8- هل أصحاب النبي التابعين له، أكثر عدداً، أو أتباع النبي أكثر ؟

9- هل صفة الإتباع يُشترط لها المعاصرة للنبي، أو هي مستمرة إلى يوم الدين ؟

الخلاصة

يوجد أصحاب ، ويوجد أتباع ، ويوجد أصحاب أتباع . والقرآن لم يذكر إلا صفة الإتباع، وهي صفة متحركة مفتوحة إلى يوم الدين مرتبطة بإتباع الرسول فيما أُوحِيَ إليه، لا علاقة لأي مجتمع سابق بذلك ، وما ينبغي أن يتم اتخاذ أي مجتمع، ولو كان الذي زامن نزول الوحي وصياً على فهم النص القرآني ، وكل الأفهام أمام النص القرآني سواء ، يؤخذ منها ويُرد عليها ، والحكم الفاصل للجميع هو القرآن والواقع . **ولا فضل لأحد من الناس في حفظ وتوصيل القرآن إلينا ، لأنه وصل من خلال ظاهرة التواتر المتنامية مع الزمن بوسيلة الحفظ والتلاوة له باللسان، والتوثيق له خطاً في الصحف، ومطابقة خطابه لمحله من الواقع . والتواتر مسألة اجتماعية لا تخضع لعملية السند والعنعنة.**

لذا؛ ينبغي أن يزول جدار العصمة والتقديس عن أصحاب النبي المتبعين له، وعن أتباعه . ويخضع الجميع للدراسة والنقد التاريخي مثلهم مثل أي مجتمع . والعلاقة بيننا وبين المجتمعات السابقة مبنية على مفهوم الإتباع للرسول النبي فهو المقياس لحركة التواصل والرضى عنهم ، ولا علاقة لمفهوم الصحابة في ذلك أبداً لأن هذا المفهوم هو خاص بالنبي وحياته الشخصية والاجتماعية ، فقسم من صحابته اتبعوه ، وقسم آخر كفروا به . **أما أتباع النبي شخصياً فهم**

الذين آمنوا بدعوته ونصروه في زمنه ، أما من جاء بعد النبي فهم أتباع الرسول دعوة وعلماً وإيماناً ، وليسوا أتباعاً للنبي، لوفاة النبي الحبيب ﷺ، فانحصرت تابعيتهم في الرسالة المتمثلة بالقرآن العظيم.

{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } (الأنعام 19)

{الَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الأُمِّـيَّ الَّـذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوبـاً عِنـدَهُمْ فِي التَّـوْرَاةِ وَالإِنْجِيـلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الأعراف.157)

التواتر أداة معرفية ، لا علمية

إن مفهوم التواتر، ليس مُنتَجاً إسلامياً، أو عربياً ، حتى تحصر دراسته في الثقافة العربية الإسلامية ، وإنما هو مفهوم إنساني، واستخدامه في مصطلح الحديث من قبل المسلمين، لا يعني أنه من إنتاجهم ، كما أن مصطلح الحديث لا يشمله ، لأن مصطلح الحديث يتعلق بمعرفة الرواة (السند) عدالة وضبطاً، وأداء ولقاء، وغير ذلك، مما يتعلق بأحوال الرواة، ويتناول بتواضع نص الحديث (المتن) لمعرفة صوابه من خلال مجموعة من القواعد ، وأشهرها، أن لا يخالف نص الحديث نصّاً قرآنياً، وأن لا يخالف الواقع ، أو ما هو ثابت قطعاً .

بينما الخبر المتواتر، لا يوجد له سنداً ،أي لا يوجد له رواة محددين يخضعون للدراسة جرحاً وتعديلاً، وبالتالي لا يتناوله مصطلح الحديث لانتفاء إمكانية دراسته من حيث السند، فمفهوم التواتر للحدث، هو بمثابة الأمر البديهي، الذي لا يحتاج إلى برهان لإثباته ، ومن يطالب بالبرهان على ثبوته ، مثل من يَطلب برهاناً على وجود الشمس !.

والتواتر ليس من أدوات العلم، أو مصادره، **لأن العلم هو دراسة كيف حصل الأمر، والوصول إلى القوانين التي تحكمه ، وتسخيره للإنسان ، فهو متعلق بالتفكير، وله طرق متعددة، منها العقلية، ومنها التجريبية** ، بخلاف **المعرفة ، فهي تفاعل الإنسان تعقلاً، من خلال وقوع حواسه على ما يجري حوله من أحداث، فينتج عنه عملية الفهم ،أو الفقه للحدث بصورته الظاهرة لا يتجاوزها إلى الكيف، أو الإدراك للقوانين التي تحكم هذا الحدث** ، مثل رؤية عملية نزول المطر من السماء إلى الأرض ، وتغلغلها في التربة ، وخروج النبات نتيجة ذلك، فهذه المشاهدة الواقعية ، لا تُسمى علماً ، ولا تحتاج إلى تفكير ، وسير في الأرض لمعرفة كيف بدأ الخلق ، وإنما هي تفاعل مباشر مع الحدث من خلال وقوع الحواس عليه ، والوصول إلى عملية الفهم ، أو الفقه ، نتيجة التعقل للحدث ، وهذه العملية هي المعرفة .

بينما دراسة كيف ينزل المطر ؟ وكيف بدأ ينبت الزرع ؟ والوصول إلى القوانين التي تحكم سير هذا الحدث ، يحتاج من الإنسان إلى عملية التفكير ، وهي أرقى من عملية التعقل ، فيصل إلى

العلم وينتج عنه الفاعلية، والعلاقة بين العلم، والمعرفة جدلية، إذ يبدأ الإنسان بالتعامل مع الأشياء من خلال المعرفة، ويرتقي إلى العلم، وبعد وصوله إلى العلم، يقوم بإنزال المعلومات إلى المعرفة، ليستخدمها مرة ثانية قاعدة ومنطلقاً للصعود إلى العلم ، وهكذا دواليك، معرفة، ثم علم، ثم معرفة، ثم علم، **فالعلم دراسة للكيف، وإدراك للقوانين ، وتسخير لها بواسطة عملية التفكير** (**العقلية والتجريبية**)، التي ينتج عنها فاعلية ونهضة، وهذه الصفة هي لخواص الناس.

أما المعرفة، فهي تفاعل الحواس ، أو أحدها ، مع الأحداث للوصول إلى الفهم ،أو الفقه، بواسطة عملية التعقل، وهذه الصفة ، عامة لكل الناس ، وهي الحد الأدنى للوجود الإنساني الواعي.

التواتر أداة علمية، أم أداة معرفية ؟

وهذا السؤال يفرض علينا الرجوع إلى تحديد مفهوم التواتر، فما هو التواتر؟

التواتر: هو ممارسة جماعة غير محددة ، حاضرة وشاهدة لحدث بصورة واعية، واستمرار الممارسة إلى جماعة أخرى لاحقة، يستحيل عقلاً تواطؤهم على الكذب أو الضلال، مع إفادة الحدث الصدق بحصوله عند الممارس له قطعاً من خلال مفاهيم كلية، ومعطيات واقعية .

من خلال التعريف؛ نلاحظ ؛ أن التواتر يتعلق بمسألة حضور جماعة للحدث بصورة واعية وممارسته، ومن ثم استمرار تلك الممارسة لمن بعدهم دون انقطاع مع توسع في الجماعات التي تمارسه ، أي يتعلق بفعل المشاهدة ،أو السماع، بمعنى آخر؛ يتعلق بتفاعل الجماعة الأولى مع حصول الحدث؛ من خلال وقوع حواسهم، أو أحدها عليه بصورة مباشرة ، ينتج عن ذلك عملية الفهم،أو الفقه للحدث؛ بواسطة عملية التعقل له ، فممارسة هذه الأمور واستمرارها إلى المجتمعات اللاحقة ، لا تحتاج إلى عملية تفكير، ودراسة، وإنما هي بمثابة جعل المجتمع اللاحق يتفاعل مع الأحداث من خلال حواس المجتمع الأول ، من باب أنه ليس من الضرورة أن أحرق يدي ، لأعرف أن النار تحرق، فقد حَرَقت يد غيري.

والتواتر يتعلق بإثبات حصول الحدث، الذي ينتج عنه المعرفة بحصوله يقيناً ، وهذه المعرفة المتواترة، لا علاقة لها بمسألة كيف حصل الحدث، وما هي أسبابه وقوانينه، فهذه مهمة الدراسة والتفكير بواسطة العلم.

لذا؛ من الخطأ أن يستخدم أحدهم مقولة: (إن مفهوم الأكثرية، مذموم في القرآن، ولا يصلح برهاناً لمعرفة الحق من الباطل)، وذلك لينقض مفهوم التواتر، فهذا خلط بين مسألتين:

–أولاهما: تتعلق بالحكم على الشيء ، حقّاً هو؛ أم باطلاً، وهذه المسألة محلها العلم، لا الأكثرية .

– الثانية : تتعلق بالإخبار عن حصول الحدث ، و بالتالي ، فتواتر هذا الحدث برهان على صدق حصوله ، وليس على صوابه، أو أحقيته.

فالتواتر يرتبط بالصدق ، لا بالصواب ، أو بالحق .

وكذلك يظهر خطأ مقولة أحدهم : (**إن التواتر للحدث له بداية ، والبداية لاشك أنها من خبر آحاد الناس**).

وخطأ هذه المقولة ناتج عن قصور فهم لمفهوم التواتر ، لأن حصول الحدث ابتداء، ينبغي أن يكون بصورة جماعية ، يُحيل العقل تواطؤهم على الكذب وانتقال تلك الممارسة لمن بعدهم دون انقطاع، مع إفادة الخبر الصدق عند السامع قطعاً، وهذا يعني في واقع الحال أن الجماعة الأولى الحاضرة للحدث ، مؤلفة من مختلف شرائح الناس ، مع كثرتهم ، وتفاوت ثقافاتهم ، واختلاف عقائدهم ، وانتفاء العلاقة بينهم ، و عدم وجود مصلحة تجمعهم ، وتكرار الممارسة ، مع عدم ثبوت نفيها بصورة علمية من أحد، لأن نفي الحدث، غير مسألة إنكاره، فالنفي مرتبط بالبرهان،أما الإنكار، فهو موقف شخصي.

وكذلك يظهر خطأ مقولة المحدثين: (إن هذه الأحاديث المتعلقة بنزول المسيح،أو المهدي ، أو غير ذلك ، تَبَيّن بعد الدراسة أنها متواترة) .

وخطأ هذه المقولة ناتج عن خلط ما بين **تواتر الخبر بحصول الأحداث** ، **ورواية الأخبار المتعلقة بالألفاظ والأقوال،** وقد بينا آنفاً، أن التواتر يتعلق بنقل ممارسة لحدث دون انقطاع

في المجتمعات، ودون الالتفات إلى اختلاف الألفاظ التي حملت الخبر بحصول الحدث، ولا يوجد تواتر لنقل ألفاظ وأحاديث صدرت من أي إنسان قط، غير أن التواتر في أسرة ، أو قوم ، أو مجتمع هو أمر معروف لديهم بالضرورة لا يحتاج إلى دراسة وتبيين ، وبالتالي يظهر خطأ من يقول: إن هذه المسائل قد ظهر تواترها بعد أن لم تكن كذلك. فهذا القول برهان على نفي تواترها ابتداء.

فالتواتر ، ليس من رواية الآحاد ابتداء، وإنما هو ممارسة جماعة شاهدة حاضرة للحدث ، **يُحيل العقل تواطؤهم على الكذب ، مع إفادة الخبر صدق حصول الحدث عند السامع من جراء معطيات واقعية ، ومفاهيم كلية .**

وهذا الكلام يوصلنا إلى سؤال آخر ، وهو،(**ما ضابط التواتر، وما الحد الأدنى لحصوله؟**) وهذا القول ، يرجع أيضاً إلى إغفال تعريف مفهوم التواتر ، **وذلك لأن من مقومات العقل الإنساني، قَبول الممارسة المتواترة المتصلة، ويُحيل العقل كذبها، وذلك من خلال استحضار معطيات الواقع الذي حصل فيه الحدث ، من إمكانية حصوله في الواقع المعني، وعدم تناقضه مع الثوابت الكونية (آفاق وأنفس).**

لذا؛ لا يوجد عدداً معيناً من الناس يكونون حداً أدنى لصدق التواتر ، وإنما يوجد صفات له ، وهي:

1-وجود مجموعة كبيرة من الناس حاضرة للحدث بصورة واعية .

2-تنوع ثقافتهم ، وتفاوتهم بالعلم والمكانة الاجتماعية .

3- تكرار الممارسة، وتأكيدها من قبلهم مع اتصالها لمن بعدهم دون انقطاع .

4- إفادة الممارسة في زمن حصولها؛ القطع والصدق بها من قبل الأسرة ، أو المجتمع الذي تواتر فيه الحدث، وتواتُر ذلك عنهم.

5-عدم تعلق الالممارسة بتفسير كيف حصل الحدث، وإنما بإثبات الحصول فقط.

6- وجود الإمكانية، والأدوات العلمية والمعرفية في المجتمع التي تسمح بحصول هذا الحدث بداية .

7-عدم تناقض الحدث مع الثوابت الكونية (آفاق وأنفس).

8-عدم القيام بتقديم برهان على نفي حصول الحدث من أحد الذين زامنوا بداية الحدث.

9-إفادة الحدث عند الممارس له الصدق حسب المعطيات، واستحالة كذبه .

وهذا أيضاً، يوصلنا إلى نقاش مفهوم التواتر و نسبيته ، بمعنى ، أن ما تواتر عند فئة ، هو غير كذلك عند الأخرى ، أو لم يفيد القطع بصدقه .

ولمعرفة صواب هذه المسألة، ينبغي دراسة مسألة مفهوم التواتر بين الناس، كيف يحصل، وما هي صوره ؟.

- **الصورة الأولى** : تواتر حدث على مستوى الأسرة ، من أحداث متعلقة بها ، تفيد عند أفرادها الصدق والقطع بحصولها ، ولا يُشترط صدقها عند الأسر الأخرى، ولا يهمها صدق هذه الأحداث من كذبها ، لأنها خاصة.

- **الصورة الثانية** : تواتر حدث على مستوى منطقة سكنية محدودة ، يفيد عند أهلها الصدق والقطع بحصول الحدث ، ولا يفيد ذلك، الصدق في منطقة أخرى، لانتفاء الحاجة أو الاهتمام بذلك .

- **الصورة الثالثة** : تواتر تاريخ أحداث مجتمع ، أو أمة ، يفيد عندهم الصدق والقطع به، مع عدم معرفة الأمم الأخرى به ، مع إمكانية معرفته ، والوصول إلى تصديقه ، والقطع به ، مثل دراسة تاريخ الأمم الأخرى .

- **الصورة الرابعة** : تواتر أحداث كونية ، وهي تفيد الصدق عند الناس جميعاً بحصولها .

إذاً؛ مفهوم التواتر، له مفهوم خاص ، وآخر عام ، وشرط كليهما استحالة تواطؤ الجماعة الأولى على الكذب ، واستمرار تحقيق هذا الشرط في كل جماعة لاحقة ، بما يُفيد عندهم القطع بصدق الخبر ، من خلال استحضار الصفات المذكورة .

وتحقيق هذا الشرط ليس له عدداً معيناً ، و لا حداً أدنى، فالأمر متعلق بأهمية الحدث، وعظمته، فكلما كان الحدث عظيماً ،كلما طلب الإنسان توسع وكثرة انتشار رواية الخبر في

الجماعة الأولى، مع وجود مفاهيم عقلية كلية تضبط هذا الشرط ، التي توصل الإنسان إلى الحكم على صدق الحدث بصورة قطعية .

وينبغي أن ننتبه إلى **أن التواتر يتعلق بنقل الأحداث، وليس بنقل الأقوال ،لأن الأقوال لا يمكن أن يتم استمرار تواترها دون أن تتغير، أو تتبدل الألفاظ، مع تدخل الراوي في فهمه للرواية ، واحتمال وقوع الخطأ والكذب، وهذا يدل على انتفاء وجود أحاديث للناس متواترة قط** .

وقد يقول قائل: (**أليس النص القرآني أقوالاً وألفاظاً، وبالتالي ينطبق عليه استحالة تواتره؟**) فنقول له : إن نزول النص القرآني في ذلك الزمن كان حدثاً عظيماً ارتبط بنهضة أمة، وهذه الأمة قامت بالاهتمام بحفظ لفظ النص حرفياً، ولم تتدخل بفهمها به، مع توثيقه كتابة، وتواتر في عهدها بصورة اجتماعية، وتعهدت ذلك التواتر ، وانتقل إلى الأجيال اللاحقة متصلا دون انقطاع ،مما أدى إلى الحكم بصدق نسبته إلى محمد بن عبد الله، دون تحريف أو تغيير ، حتى أن الكفار لم يطعنوا بنسبته إليه، وإنما أنكروا مصدريته الربانية ، وهذه مسألة أخرى، لا علاقة لها بالتواتر ، وإنما تخضع للعلم والدراسة والتفكير .

فالتصديق بمسألة تواتر النص القرآني في المجتمعات الإسلامية ثابت، لا شك فيه، أما التصديق بمصدريته الربانية ، فتحتاج إلى تفكير ، ودراسة من كل إنسان ، ولا يلزم من حصول التصديق بتواتره ، والتصديق بمصدريته الربانية ، عملية الإيمان به، لأن الإيمان –إضافة للتصديق– انقياد وعمل ، إذ، لا يوجد إيمان دون عمل ،كما أن الكفر، لا يعني عدم التصديق، لأن الكفر هو تغطية وإنكار للشيء قولاً، أو فعلاً، ومن الأمور التي تواترت في الأمة الإسلامية ، فعل الصلاة ، وهي حدث، وليست أقوالاًَ،(**صلوا كما رأيتموني أصلي**)، مما يدل على صدق نسبتها إلى النبي، وأصحابه المتبعين له قطعاً، وإنكار فعل الصلاة، هو في الحقيقة طعن في صدق النبي، ونقض للعقل ، إذ أنكر ما هو من مُسَلمات العقل والمنطق، لأن العقل يقَبل صدق حصول الحدث المتواتر، فالنبي وأتباعه؛ قطعاً؛ قد أقاموا الصلاة بصورتها المعروفة ، وتم تواتر ذلك الفعل في مجتمعهم، وانتقل إلى المجتمعات الأخرى بصورة أفعال متصلة ، لا تنقطع، وإنكارها مكابرة للعقل، وإغماض العين عن الواقع، والجري خلف السراب.

الخلاصـة

1- التواتر أداة معرفية، وليس أداة علمية .

2- التواتر يُفيد حصول الأمر، ولا يفيد في معرفة كيف حصل الحدث.

3- تصديق حصول الفعل الممارس المتواتر دون انقطاع ضرورة عقلية ومنطقية، وإنكاره اغتيال للعقل، ونقض للمنطق .

4- التواتر يتعلق بنقل ممارسة لحدث معين، وليس بنقل الأقوال .

5- التواتر مفهوم عقلي إنساني .

6- التواتر خاص ، وعام ، وتصديقه ملزم لكل منهما .

7- التواتر يتعلق بصدق حصول الحدث، لا بصوابه أو بأحقيته .

8- لا علاقة للتواتر بمصطلح الحديث ، ولو تم وضعه في كتب الاصطلاح.

9- ليس للتواتر سنداً (رواة) حتى يخضع للجرح والتعديل .

10- ليس للتواتر حداً أدنى من الممارسين فهو ظاهرة اجتماعية ، وإنما له شروطاً، يترتب عليها استحالة تواطؤ الممارسين له على الكذب ، مع إفادة ممارستهم المتصلة عند اللاحق القطع بوجودها بداية ضرورة.

11- وجود الإشكاليات والشبهات، لا ينقض صدق تواتر ممارسة الحدث، لأن اليقين لا يزول إلا بيقين مثله .

12- تواتر حصول الحدث غير قابل للدراسة، ولا يصح القول بتواتر شيء تاريخي بعد أن لم يكن كذلك.

13- النص القرآني، حدث عظيم ، تواتر تلاوة بشكل متصل دون انقطاع وتوثق خطاً، منذ بدء نزوله.

14- فعل إقامة الصلاة، تواتر بصورة اجتماعية ابتداء دون انقطاع لمن بعدهم، واستمر ذلك التواتر الفعلي .

15- ارتبط فعل الصلاة بالأمر بها في النص القرآني، وتواترا مع بعضهما .

النص القرآني نص إلهي فوق الشبهات[1]

إن من الغرابة على درجة كبيرة أن يأتي أحد، ويناقش ما هو ثابت ومعلوم بالضرورة، بل بلغ صفة الحق من حيث الحكم عليه وجوداً أو صواباً، نحو أحقية وجود الخالق المدبر، وأحقية وجود اليوم الآخر، ووجود السماء والأرض.. ،وقصدت بكلامي أحقية النص القرآني كمتن، وحفظه من التحريف زيادة أو نقصاناً.

فالنص القرآني بدأ حقاً، واستمر بهذه الصفة إلى أن وصل إلينا حقيقة تاريخية كنص ثابت لم يتعرض للاختراق أبداً، وأي محاولة جرت للتلاعب فيه كانت تُجهض ذاتياً لتفكك وهزالة المحاولة أمام عظمة النص القرآني، ومع ذلك يأتي باحث ليغوص في التراث، ويتتبع الروايات التي وُضعت بدافع إيديولوجي، ويجمعها ليناقش على موجبها حقيقةً مشاهدةً في الزمن المعاصر، ويحاول على أقل احتمال التشكيك بهذه الحقيقة، فمثله كمثل من يريد أن يناقش مسألة دوران الأرض حول الشمس من خلال الموروث البشري، وذهب يجمع المقولات والنصوص لكبار الرجال في التاريخ، بجانب الإشكاليات التي جرت حول هذه المسألة، ووصل من جراء ذلك، إلى أن مسألة دوران الأرض حول الشمس أمر مشكوك فيه ،أو على الأقل يجب إعادة النظر بهذه المسألة والتأكد منها، ولا يمكن ذلك إلا بمعالجة النصوص التاريخية ، والأحداث التي جرت، وحل الإشكال الحاصل حينئذ، وهذا أمر محال، لأن ذلك مغالطة كبيرة ، فالأرض والشمس واقع مشاهد، والتأكد من صواب النظرية أمر متاح الآن ؛ لا علاقة لها بالنصوص والأحداث التي جرت، وعدالة الرواة ، وغير ذلك ، فهذا أمر مستحيل حل إشكالياته بأية وسيلة، فكل حل وتوفيق قابل لأن يرفض من جهة، ويُقبل من أخرى، وبالتالي فالأمر لا يمكن حسمه، ويصير الأمر موقفاً شخصياً، وليس حقيقة علمية تُلزم الجميع بالتسليم والإقرار بها.

---

[1] رد على الدكتور عابد الجابري بصورة غير مباشرة في ذكره لإشكاليات نقل النص القرآني .

والنص القرآني هو من هذا القبيل، فهو موجود بين أظهرنا قابل للدراسة والتأكد من صواب مضمونه على صعيد الآفاق والأنفس ، من خلال مراكز ومؤسسات علمية على كافة الاختصاصات، فإن ثبت أن مضمونه خطأ، أو مناقض لمحل الخطاب من الآفاق والأنفس، يكون نصاً قد تم تحريفه، والتلاعب به قطعاً؛ رغم أنف الجميع، ولو ألّف المؤمنون بصوابه آلاف المجلدات، ونقلوا الإجماع على ذلك، والتواتر له، لأن النص الرباني لا يمكن أن يتناقض مع محل خطابه ولا بأي شكل، أما إذا ثبت أنه نص منسجم كل الانسجام مع سيرورة وصيرورة الآفاق والأنفس، بحيث صار النص القرآني المتلو هو صورة لسانية طبق الأصل للصورة الموضوعية، فلا شك أن هذا النص رباني، وهو صواب لم يتعرض لأي تحريف ، أو تلاعب، ولو جرت في التاريخ محاولات لذلك ، وتم نقل روايات عن زيد وعمرو بما يُفيد أن النص قد تحرف، فالأمر تجاوز موضوع السند والإسناد؛ وعدالة الرواة، والإشكاليات التي رافقت استمرار النص القرآني، لأن كل هذه الترهات كانت تسقط في زمانها أمام نور النص القرآني، لأن النص القرآني أشبه بالشمس وهي ساطعة في كبد السماء تحرق بشعاعها كل من ينكر وجودها، أو يشكك فيه، وهو يتعرض لضوئها وحرارتها، فَمَنْ من الناس يسمع لمدعي هذا الادعاء مهما أتى بالمقولات ، والروايات ، والإشكاليات، وحشد شهادات للخصوم ، وغير ذلك. فالحقيقة أقوى من الجميع، لأنها مشاهدة في الواقع ، ومن يُنكر عالم الشهادة، وهو يراه لا يُعتدُّ بقوله، ولا يسمعه أحد كائناً من كان، فالنص القرآني تواتر في المجتمع الأول الذي نزل فيه النص، وبدأ التواتر يتصاعد و يتنامى مع مرور الزمن، وتتسع دائرته إلى أن تجاوز المجتمع العربي، وبدأ يتواتر في المجتمعات الإسلامية غير العربية، وبهذا الأمر صار النص القرآني متواتراً إنسانياً، وهذا لا يعني انتفاء وجود إشكاليات رافقت تواتر النص في الزمن الأول، وذلك بسبب الصراع بين الحق والباطل، فالتواتر غير الإجماع، وبالتالي لا يُشترط في تواتر الخبر أن يُسلم به الجميع، فيمكن– لظروف وملابسات معينة – أن يطعن أفراد من الناس دون برهان بصواب هذا الخبر، وهذا الطعن من أفراد من الناس لا يؤثر بتواتر الخبر وصوابه، ولا يشكك به إطلاقاً، ولا يُعتدُّ بقولهم ، ومن يأخذ بقولهم مقابل التواتر لا يُعَدُّ موقفه موقفاً علمياً إطلاقاً.

ومسألة تواتر النص القرآني مسألة متواترة في الأمة الإسلامية ليست هي محل نقاش، أو دراسة، فالنص القرآني واحد في مشارق الأرض ومغاربها، **واليقين لا يزول إلا بيقين مثله،** أما الظن فلا يُعتد به أمام اليقين أبداً.

لننظر على سبيل المثال قول الباحث موريس بوكاي[1]: (فالقرآن هو الوحي الذي أُنزل على محمدﷺ عن طريق جبريل، وقد كُتب فور نزوله، ويحفظه ويستظهره المؤمنون عند الصلاة، وخاصة في شهر رمضان، وقد رُتِّب في سور بأمر من محمد نفسه، وجُمِعَت هذه السور فور موت النبي، وفي خلافة عثمان، ذلك لتصبح النص الذي نعرفه اليوم).

وقال في صفحة (13): (وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي، استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها، أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث).

وقال في صفحة (145): (وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة، لا نكتشف في القرآن أي خطأ، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن إنساناً، كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة؟! ليس هناك أي مجال للشك، فنص القرآن الذي نملك اليوم هو فعلاً نفس النص الأول).

وقال في صفحة (151): (صحة القرآن التي لا تقبل الجدل تُعطي النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل، ولا يَشترك مع نص القرآن في هذه الصحة، لا العهد القديم ، ولا العهد الجديد).

وقال في الصفحة نفسها: (لم يتعرض النص القرآني لأي تحريف من يوم أن أُنزل على الرسول حتى يومنا هذا).

---

[1] في كتابه (دراسة الكتب المقدسة) الصفحة (10)، ط دار رشا، بيروت

وما ذكرته من أقوال إنما هي مَثَلٌ على طريقة البحث الموضوعي، وكيف يصل الباحث إلى الحقيقة ، فهو لم يجر وراء السند والإسناد، والإشكاليات، إنما تعامل مع النص بشكل مباشر، وحكم عليه من جراء الدراسة العلمية له.

بينما نلاحظ بعض الباحثين العرب [1] ! يتناول دراسة النص القرآني من خلال السند، والرواة ، والأحداث، والإشكاليات في الموروث الثقافي، أي بمعنى آخر، درس كل ما يُحيط النص من إشكاليات، وأغفل دراسة النص ذاته الذي هو محل الدراسة، وأغمض عينيه عن مسألة تواتر النص القرآني، وتتبع الإشكاليات وأقامها وجهاً لوجه أمام الحقيقة، وخرج بنتيجة **أن النص القرآني طبخة عثمانية،** النص الذي بين أيدينا ليس هو ذاته كما نزل على محمد ﷺ.

انظر على سبيل المثال إلى طريقة بحث الدكتور طيب تيزيني [2]إذ يقول: (ومن الملاحظ أن تلك الظروف التي أحاطت بعملية جمع القرآن في مصحف واحد وتحريق ما تبقى من المصاحف، كانت تُشير إلى أن عثمان ربما كان يهدف من وراء ذلك تحقيق أمرين اثنين متضايفين. الأول منهما تمثل في الحفاظ على الوحدة الدينية (الإيديولوجية) للمسلمين في الدولة الفتية المتعاظمة، حتى لو تم ذلك على أساس نص قام على أنقاض نصوص انتهى بها الأمر إلى ""**الطبخ**""...).

وانظر أيضاً إلى هذا النص[3]: (إذا أخذنا بما نقله إلينا بعض المحدثين والفقهاء، مثل البخاري ومسلم والترمذي من أن حجم نص القرآن الحقيقي ليس هو هذا الذي نجده في (مصحف عثمان)، أفليس من المحتمل حينئذ أن نرجع أسباب ذلك الوجه الإشكالي إلى هذا الأمر؟ فالكثير من السور والآيات زيدت أو نقصت أو أبعدت، بحيث لم يعد صحيحاً–

---

(1) مثل الدكتور طيب تيزيني ، والدكتور عابد الجابري، والدكتور محمد آركون ، وغيرهم .

(2) في كتابه (النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة) ط 1 دار الينابيع ص 402

(3) نفس المرجع ص 253

بالاعتبار الوثيقي التاريخي- **أن يُقال: بأنه لم يطرأ على النص المعني أي تغيير وبأننا نملك الآن هذا النص في حجمه الأساسي تماماً**).

ولننظر أيضاً إلى قوله (ص 65): (وسوف نتبين . في ضوء عودة مدقّقة لنصوص إسلامية مبكرة . أنه يبدو أن للمسألة وجهاً آخر أكثر دلالة وحساسية ولم ينتبه إليه ماسيه ولابيرك، وباحثون آخرون كثيرون، ويقوم على أن القرآن، وفق آراء جمع من الكتاب الإسلاميين، **خضع أثناء جمعه–وبتأثير من المصالح السياسية المتصارعة خصوصاً للتكونات السياسية والإيديولوجية الإسلامية الناهضة – لعمليات أَدَّت إلى اختراق متنه زيادة ونقصاناً**).

بينما نحى بعض الباحثين منحى آخر، لم يتطرقوا إلى إشكاليات السند والرواة التي رافقت تواتر النص القرآني، وإنما تطرقوا إلى المفاهيم والأحكام التي استندت على النص القرآني، وعَلقت به، وانتقلت على أساس أنها الحكم الشرعي الذي أنزله الله ﷻ، ولم يفرقوا بين النص القرآني كنص رباني، وفهم وتفاعل المسلمين الزمكاني مع هذا النص ، ونظروا إليهما نظرة اندماجية ، وكون الفهم السابق للنص يمكن أن يكون خطأ، وغير مناسب للمجتمع اللاحق، فطالبوا بإبعاد الدين عن الحياة الاجتماعية.

انظر على سبيل المثال إلى قول الدكتورة نوال السعداوي[1]: (فلماذا لانفصل الشريعة أو الدين عن قانون الأحوال الشخصية مثل غيرها من القوانين حفاظاً على سلامة الأسرة وحقوق النساء والأطفال)!.

وعند دراسة أبعاد ودوافع هؤلاء الباحثين ، والظاهر من أبحاثهم نجد أن السبب هو واقع المسلمين الثقافي المتخلف، والمتردي ، والموقف المتشنج من الحوار ، وعدم احترام الرأي الآخر، ومحاولة اغتياله، ورفض الاجتهاد، والجديد، وإضفاء -على الموروث الثقافي- صفة الحق المطلق ، وما سواه لاشك ببطلانه ، غير الانحطاط والممارسة الاستبدادية من جميع مؤسسات المجتمع ، التي ينتج عنها الاستعباد

---

(1) في كتابها (المرأة والدين والأخلاق) ط دار الفكر في دمشق .

للشعوب على كافة الأصعدة ، فكل ذلك وغيره، دفع هؤلاء إلى التفكير في النهضة بالأمة ، والرقي بها فنظروا إلى ثقافة الأمة ، فرأوها رُكاماً ضخماً جداً من الموروث الثقافي الديني ، والأساس لهذه الثقافة هو القرآن بالدرجة الأولى، ومن منطلق أهل مكة أدرى بشعابها، أي رجال الدين أقروا ما هو موجود في التراث؛ وأعطوه صفة الحق ، والتمثيل للنص القرآني ذاته، حتى نظرت الأمة إلى موروثها الثقافي الديني، نظرتها إلى النص القرآني من حيث القداسة، وبالتالي أي طعن ، أو نقد للموروث، يُعدُّ طعناً ونقداً للدين ذاته.

فلم يجد هؤلاء الباحثون إلا عملية النقض للنص القرآني ذاته، سواء بعرض الإشكاليات التي رافقت تواتره للوصول إلى أنه قد تم تحريفه ، أم المطالبة بإبعاده عن الحياة الاجتماعية ، فالنتيجة لكليهما واحدة ، وهي سحب صفة صلاحية النص القرآني وديمومته لكل زمان ومكان.

إذاً ، الأمر على درجة كبيرة من الخطورة ، والأهمية ، وأقل ما يُقال في أمثال هؤلاء الباحثين أنهم وقعوا فريسة الغزو الثقافي العولمي، وأنه تم اختراق طبقة المثقفين والمفكرين العرب.

النص القرآني ليس تراثاً ثقافياً

النص القرآني ليس موروثاً ثقافياً - بمعنى أنه ليس من صنع أي مجتمع - تتوارثه المجتمعات اللاحقة عن المجتمعات السابقة، وإنما هو نص أصيل ، ووحي من الخالق المدبر للناس عبر الزمان والمكان ، وهذه مسألة إيمانية لها أصول في البحث غير تلك التي نحن بصددها، فنحن ننطلق من كون أن النص القرآني رباني المصدر، وهذا محل اتفاق وتسليم بين المؤمنين به ، وبما أن الأمر كذلك ، فالحوار، هو حوار بين المؤمنين، أي حوار ثقافي داخلي في الأمة الواحدة.

لذا ، ينبغي التمييز بين النص القرآني كمتن رباني ، وبين فهم وتفاعل المجتمعات معه حسب الزمكان، والأدوات المعرفية التي يملكونها، فهذا التفاعل هو موروث ثقافي يتراكم خلال التاريخ ، ليس له أية صفة من القداسة ، أو الإلزام به للمجتمع اللاحق، **وبمعنى آخر التفريق بين الشرع الإسلامي (الرباني)، والفقه الإسلامي(البشري)**.

ومن هذا الوجه نطالب - بإلحاح - بإعادة فرز الموروث الثقافي دون استثناء لأي مفهوم منه، والعمدة بذلك هو القرآن ، ومحل خطابه من الواقع - آفاق وأنفس - دون الخوف من مخالفة الموروث الثقافي ، أو مجتمع السلف.

وبهذا العمل الثقافي - سيرورة وصيرورة - نستطيع أن نحمي ثقافتنا العربية، والإسلامية من الاختراق والغزو الثقافي نتيجة العولمة الزاحفة بواسطة التقنية الإلكترونية، والتكنولوجية التي فرضت ذاتها على معطيات الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

فالأمر على درجة كبيرة من الخطورة، إنه صراع بين الثقافات، والبقاء للأقوى ، والأقوى هو الأصلح والأنفع للناس ، ولو لم يظهر ذلك عاجلاً.

وندعو الباحثين والمفكرين العرب والمسلمين إلى تشكيل فريق بحث من كافة الاختصاصات العلمية ،ومختلف الثقافات ، والبلدان ، لدراسة النص القرآني متناً، وبناءً، ومنظومة مرتبطة

بالواقع ، حسب أدواتنا المعرفية والعلمية ، للوصول إلى جواب سؤال : **هل النص القرآني من صياغة الإنسان أو يمكنه أن يأتي بمثله ، أو من صياغة الخالق تبارك وتعالى !؟ والخروج بتقرير علمي موثق من الفريق كله ، وإنهاء ، وإجهاض محاولة بعض الذين في قلوبهم مرض من التشكيك بأحقية الخطاب القرآني كل حين من الزمن، وجعل أحقية النص القرآني مثل وجود الشمس تماماً، حقيقة علمية، غير قابلة للنقاش أو الدراسة، وإنما قابلة للتعامل معها، والاستفادة منها استنتاجاً، واستنباطا، واستنباتاً لمعلومات جديدة ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، والشمس مستمرة في عملية الشروق والغروب !.**

{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ } الرعد(17).

لفظة (ﷲ) ليست عربية

الدكتور أحمد صبحي منصور

لفظ الجلالة (الله) ليس عربياً، لأنه كان منطوقاً و معروفاً قبل ظهور العرب، واللغة العربية، والدليل أنه يحتوى على حرف لا يوجد في اللغة العربية ، وهو اللام الثقيلة. ولا يوجد في اللغة العربية سوى اللام الخفيفة. وهذا هو الفرق بين نطقك (الله) باللام الثقيلة، و (الإله) باللام العربية الخفيفة، و التي تفيد نفس المعنى.

اللغة العربية مشتقة من الآرامية القديمة، هي و شقيقتها اللغة العبرية. وبينما تحور لفظ الجلالة (الله) في العبرية ليكون (لاهويم)، أو نحو ذلك ، فإنه في العربية أصبح (الإله)، بالإضافة إلى نطقه الأصلي (الله). ثم عندما نزل القرآن الكريم ازدهر نطق لفظ الجلالة (الله)، و خفت استعمال لفظ (الإله).

والملاحظ إن القرآن الكريم لم يستعمل مطلقاً لفظ (الإله) دلالة على الله تعالى، وان استعمل لفظ (إله) في إثبات أنه لا اله إلا الله ، كقوله تعالى لخاتم النبيين : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إلا اللّهُ }محمد(19) ، وسنتوقف بالتفصيل مع لفظ (إله) فيما بعد ضمن حلقات القاموس القرآني.

علم التجويد المزعوم، و القواعد اللغوية التي تم وضعها و اختراعها بعد نزول القرآن الكريم، وَجَّهت طعنة للقرآن ، وحاولت إخضاعه لاجتهادات البشر القاصرة، وهو موضوع سنعرض له فيما بعد في هذا الباب ، ولكن نتوقف مع ما فعلوه في النطق بلفظ الجلالة (الله)، ومدى الظلم الذي عوّدوا المسلمين عليه عندما ينطقون اسم الله تعالى بما لا يُليق ، وهو أقدس و أعظم كلمة منطوقة. ولتسهيل هذه القضية فلنبدأ بالتذكير بالقواعد الأساسية في الإعراب في اللغة العربية.

الإعراب في الأسماء العربية هو تغير آخر حرف في الكلمة حسب العوامل ، بالرفع (أي ضمة)، أو بالنصب (أي فتحة)، أو الجر (أي كسرة). تقول : (جاء زيد) ، فتكون الدال الأخيرة من (زيد) مرفوعة بالضم لأنه فاعل . وتقول : (رأيت زيداً) فتكون (زيداً) منصوبة بالفتح لأنه مفعول به . وتقول (سلمت على زيدٍ) فيكون (زيد) مجرور بالكسرة بحرف الجر (على).

والنحويون القدامى جرى عملهم على قاعدة (الاستقراء)، بمعنى تعميم الحكم اللغوي دون اعتبار لاستثناءات توجد في كل لغة حية ، مع أن كل لغة (حية) تكون بطبيعتها (حية) متحركة متغيرة ، لا يمكن خضوعها لقاعدة محكمة شاملة جامعة. أي لا بد من وجود استثناءات أو محترزات. هذا هو أساس الفجوة بين لغة القرآن، و قواعد النحو التي اخترعها علماء العصر العباسي.

بالنسبة إلى لفظ الجلالة (الله)، فإنهم لم يراعوا خصوصيته الدينية ، ولا حتى خصوصيته اللغوية ، باعتبار أنه أقدم من اللغة العربية ، وأن الحرف الأساس فيه وهو (اللام الثقيلة) لا يوجد أصلاً في اللغة العربية ، وأن هذا الحرف ليس مجرد الحرف المحوري المركزي في الكلمة، بل هو أيضاً الحرف المضَعَّف فيها ، أي هو حرفان مُدغمان في كلمة لا تتعدى أربعة أحرف. ونتج ضرر كبير عن (إخضاعهم) لفظ الجلالة لاجتهاداتهم . و نستغفر الله العظيم من لجوئنا إلى استعمال كلمة (إخضاع) لأنها هي التي تعبر بصراحة ودقة عن المراد.

وللتوضيح فإننا نحتاج لأن يتابعنا القارئ بالنطق لما نقول.

ليقرأ القارئ بنفسه سورة المجادلة ، وهى السورة الوحيدة التي تحوى كل آية فيها على لفظ الجلالة (الله) مرة أو أكثر من مرة، وسيلاحظ أنه ـ حسبما تعود ـ ينطق لفظ الجلالة باللام

الثقيلة الأصلية في حالة الرفع، و النصب، و بعض حالات الجر والكسر. ولكن في حالات أخرى من الجر، و الكسر يَنطق لفظ الجلالة باللام الخفيفة العربية.

ولنقرأ معاً الآية الأولى من سورة المجادلة، ليرى القارئ بنفسه معنا كيف ينطق لفظ الجلالة :

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (المجادلة 1):

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ } لفظ الجلالة هنا فاعل مرفوع بالضمة ، ونطقناه باللام الثقيلة نُطقاً صحيحاً.

{وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ } لفظ الجلالة هنا مجرور بالكسرة بسبب حرف الجر (إلى) ونطقناه باللام الثقيلة نُطقاً صحيحاً.

{وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا } لفظ الجلالة هنا مرفوع بالضمة لأنه مبتدأ. ونطقناه باللام الثقيلة نُطقاً صحيحاً.

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } لفظ الجلالة هنا منصوب بالفتحة لأنه (اسم إنّ). ونطقناه باللام الثقيلة نُطقاً صحيحاً.

أي أن المفروض أن **ننطق لفظ الجلالة في كل الحالات باللام الثقيلة غير العربية،** لأنه النطق الصحيح ، بغض النظر إذا كان مرفوعاً بالضمة، أو منصوباً بالفتحة، أو مجروراً بالكسرة.

ولكن قبل أن تقرأ سورة المجادلة، أو أي سورة من القرآن الكريم، عليك أن تنطق البسملة { بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ }. وهنا تقع المشكلة. ولينطق القارئ بالبسملة فسيجد أنه تَعَوّد على نطق لفظ الجلالة فيها باللام العربية الخفيفة. وإذا قرأ الفاتحة . وليقرأها القارئ معي . فسينطق { الْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ } بنفس النطق المخالف للفظ الجلالة حيث تكون اللام فيه خفيفة.

والمشكلة هنا أن أكثر سور القرآن الكريم شيوعاً على الألسنة هي الفاتحة التي نقرؤها في الصلاة وغير الصلاة ، وأكثر آيات القرآن انتشاراً على اللسان هي البسملة. وفى كل مرة ننطق فيها بالفاتحة أو بالبسملة **فإننا نوجه إهانة لرب العزة** جَلَّ وعلا، بالنطق الخاطئ للفظ الجلالة.

والسؤال الهام : كيف يكون نطق لفظ الجلالة باللام العربية الخفيفة إهانة لله تعالى؟

لأنك حين تنطقه فتقول (اللاهي) من اللهو، أو فاعل اللهو. أي تصف الله تعالى ـ دون أن تقصد ـ بصفة ذميمة لا ترضاها لنفسك. تقول: (باسمِ اللاهي)، (الحمدُ للاهي).

ومن عجائب القرآن الكريم أنه أشار ـ ضمنياً ـ إلى ذلك الخطأ المتوقع. فمن شيمة الإنسان الضال أن يعصى الله تعالى كما يحلو له ، كما لو أن الله تعالى خلقه و خلق السماوات والأرض لمجرد اللعب و اللهو ، وينسى، أن الله تعالى خلق الإنسان والموت والحياة ليبلونا أيُّنا أحسن عملاً و ليحاسبنا يوم القيامة، حيث سيقول لنا: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } (المؤمنون 115) وعن أولئك الضالين يقول تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ۞ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ } (الأنبياء : 16-17) أي أن الله تعالى لا يلهو و لا يلعب . ومع ذلك فإننا ننطق اسم الله تعالى الأعظم في البسملة، و الفاتحة و مواضع أخرى من القرآن، فنقول: (اللاهي) من اللهو .

لذا؛ وجب التنبيه، و التصحيح. والله جَلَّ وعلا المستعان.

رد إسلامبولي على الدكتور أحمد منصور

أستاذ أحمد منصور المحترم

أنت تعلم أن النبي ﷺ نقل النص القرآني بصوته إلى الناس ، ولم ينزل القرآن بصحف مخطوطة حتى نختلف في طريقة نطقه . والنبي ﷺ كما هو ثابت عندكم أنه كان يَؤُم المسلمين بالصلاة ، ويجهر بتلاوة الفاتحة في صلاة الليل ، ويسمعها المسلمون من خلفه ، كما أنه يبدأ خطبه وكلامه بالحمد لله والثناء عليه ، وكل ذلك على مسمع المجتمع الأول الذي زامن نزول الوحي الإلهي ، وتواتر ذلك إلى المجتمع اللاحق، ومن بعده إلى يومنا المعاصر ، فالأمر لا علاقة له بالتجويد والتلاوات أبداً ، وإنما هو أمر متواتر كما نزل تماماً ، والله ﷻ قد تكفل بحفظ الذكر (القرآن) ، وهذا لا يتم إلا بصيغة صوتية للتلاوة ، فتم حفظ الصيغة الصوتية لتلاوة القرآن ، وتواتر ذلك أيضاً في مشارق الأرض ومغاربها .

أما رأيكم المذكور فهو ينقض صفة الحفظ الإلهي، ويطعن بالتواتر للنص القرآني، وأنا أرى، إن هذا تجرؤ على النص القرآني دون برهان أبداً ، والأمر لا يتجاوز مسألة الافتراض والتخمين والخاطر في نفس الإنسان ، ولكن لا يصح أن يكون رأياً يُعرض على الآخرين ، وخاصة ممن كان في مقامكم .

أستاذ أحمد الكريم

إن ترقيق لفظة الجلالة ﷲ إذا سبقها حرف مكسور هو أمر فيزيولوجي، وفطري، والعرب تميل إلى السهولة في لفظها للكلمات.

وقل لي بربك ! كيف أستطيع أن ألفظ كلمة {بِسْمِ اللّهِ}مفخمة اللام حسبَ رأيكم ؟ وكذلك { الْحَمْدُ للّهِ }! ،ألا تجد أن الأمر ثقيل على اللسان ! أما قولكم إن كلمة (ﷲ) ليست عربية ، فهذا غير صواب من وجهين:

الأول : إن النص القرآني نزل بلسان عربي ، ولا يحتوي في داخله على أي لفظة أعجمية ، وما قيل في بعض الكلمات أنها أعجمية ، فهو رأي ضعيف ومرجوح ، لأن أصل هذه الكلمات هو عربي ، سواء تم استخدامها من قبل قوم النبي، أم اندثرت أو تقلصت .

الثاني : إن اللسان العربي هو الأصل، والأم للألسنة ، وما سواه صور ولهجات عربية توقفت عن التطور والانتشار ، مع انقراض بعضها الآخر . لذا؛ نلاحظ وجود عدد ضخم جداً من الكلمات المتداخلة بين العبرية والفارسية والتركية والأوردية وغيرها من اللهجات العربية .

فنحن نشاهد في القطر الواحد الذي يتكلم لسان عربي ، فرق في لهجات الناس بين شرقه، وغربه ، وبين أهل الساحل، وأهل البادية، وهكذا دواليك . ولهجة قريش؛ قوم النبي محمدﷺ كانت أرقى صورة للنطق باللسان العربي وأقربها له، فصار اللسان العربي لسان القرآن، و تم حفظ اللسان العربي من أن ينقرض، أو يتحرف مثل باقي اللهجات ،. ومن هذا الوجه نلاحظ التداخل والاشتراك بين ألفاظ اللهجات العربية، ومن هذا الوجه تم استخدام الكلمات مثل: (الأرائك، استبرق) التي يظنها الآخرون أنها أعجمية وليست عربية، والصواب أنها عربية الأصل والمنشأ، وعدم استخدامها في مجتمع معين، لا ينفي عنها صفة العربية . والقرآن نزل باللسان العربي عموماً ، ولم يستخدم حصراً المفردات التي كانت تستخدمها قريش ومن حولها . ومن هذا الوجه صار النص القرآني حجة على العرب ، والمعاجم التي ُوضعت فيما بعد ، لأن القرآن قد احتوى نظام اللسان العربي كاملاً ، بخلاف المعاجم أو كُتب القواعد فهي قاصرة، لا تمثل نظام اللسان العربي كاملاً .

لذا؛ نطالب بتصويب المعاجم،وكتب القواعد وفق رؤية قرآنية علمية .

- وأخيراً لا يصح النطق بلفظة { ٱللَّهُ } بالترقيق (اللاه) منفردة لأن الترقيق ينبغي أن يأتي ضمن سياق مُعين {بِسْمِ اللّهِ}، ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ } البقرة (156) ، ولا علاقة لذلك بآخر حركات كلمة { ٱللَّهُ }الرفع والنصب والجر، فالأمر يتعلق ببداية لفظة { ٱللَّهُ }، فإن أتت مكسورة اللام، وجب أن تُرَقق لفظة { ٱللَّهُ } بالتلاوة . انظر لقولنا : { الْحَمْدُ للّهِ } ، { وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } العنكبوت(45)، كيف اختلف اللفظ وكلاهما مجرورتان .

مداخلة في ندوة الملتقى الثاني لكُتّاب التنوير
في مركز الدراسات الإسلامية في دمشق
بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أيها الأخوة الكرام

يوجد بضع نقاط هامة ينبغي التركيز عليها، ووضع النقاط على الحروف ، وقد ذكر بعضها السيد الدكتور محمد حبش في كلمته الافتتاحية ، و الأساتذة الأفاضل أثناء مداخلاتهم.
وهذه النقاط هي :

1-**الإسلام دين أنزله الخالق للناس جميعاً**، ابتدأ منذ نوح واستمر إلى إبراهيم، وموسى، وعيسى، واكتمل بناءً بمحمد صلوات الله عليهم جميعاً. فالتوحيد للخالق كما تعلمون؛ هو أمر ثابت ابتداءً، ولم يخضع لعملية التدرج والمرحلية ، بخلاف الشرع فقد كان ينزل تباعاً بصورة مرحلية متدرجاً إلى أن اكتمل نزولاً بالقرآن الكريم. فكان ينزل أموراً لها صفة الإنسانية والثبات نحو حرمة نكاح الأمهات، فكانت هذه الأحكام هي اللبنات الأولى للشرع الإسلامي، وكان ينزل معها أحكام ظرفية مرتبطة بمعطيات زمانية ومكانية تُسمى الشرع العيني، وهكذا استمر الشرع نزولاً بنوعيه: **الشرع الإسلامي ينمو ويتسع بناءً، والشرع العيني يعدل وينسخ ويتقلص مع الزمن**، إلى أن اكتمل الشرع الإسلامي بنزول القرآن، الذي أعاد إنزال كل ما سبق من الشرع الإسلامي، وحواه بين دفتيه وأعرض عن الشرع العيني، وتركه للتاريخ لعدم صلاحيته وانتفاء صفة الإنسانية عنه . فمن هذا الوجه **لا تصح مقولة : تعدد الأديان السماوية . فدين الله واحد وهو الإسلام، وأتباع الرسل السابقين دينهم الإسلام عموماً.**

الشرع الإسلامي، والشرع العيني

إن الشرع الذي أنزله الله للناس ؛ خلال التاريخ الطويل مؤلف من قسمين:

الأول: أحكام من الشرع الإسلامي.

والآخر: أحكام من الشرع العيني التاريخي.

فأهل الكتاب الذين اتبعوا محمداً، وما نزل عليه، لم يتركوا دينهم من حيث الإيمان بالله واليوم الآخر ، ولم يتركوا الأحكام التي لها صفة الشرع الإسلامي من حيث الثبات والإنسانية، وكذلك لم يتركوا القيم والأخلاق، مثل العدل والصدق والأمانة ...الخ. وإنما تركوا الأحكام الشرعية العينية الظرفية لانتفاء صلاحيتها إنسانياً وعالمياً ، وأكملوا الشرع الإسلامي الذي عندهم بالشرع الإسلامي الذي نزل على محمد، فهم بهذه العملية ارتقوا بناءً وتكاملاً، ولم ينقضوا بناءهم الأول، بل عدَّلوه بما يناسب الإنسانية عامة . فمن يؤمن بمحمد، وما نزل عليه يكون قد آمن بكل الرسل، ومن لم يتبع محمداً فهو أمام أحد أمرين:

الأول : إذا لم يحارب ما نزل على محمد، و احترمه واعترف بحقه في الوجود، ولكن لم يتبعه، وإنما بقي متبعاً الرسول السابق ، فهذا الإنسان هو مسلم في دينه عموماً متبع لجزء من الشرع الإسلامي ، ومتمسك بشرع عيني ظرفي ارتضاه لنفسه. فهذا الإنسان أشبه برجل صعد بناء مؤلف من عشرة طوابق فوقف في وسطه، واكتفى بما يراه، لا يُلزم أحد برؤيته تلك ، وجاء آخر وتجاوزه إلى الطابق الأخير، وجاء آخر فقصر عنه إلى الطابق الأسفل ، وهكذا توزعوا في الطوابق . فعملياً كلهم في البناء ذاته، وكلهم يقفون على أساس واحد وأسس مرتفعة (**الإيمان بالله واليوم الآخر، والقيم والأخلاق، والعمل الصالح**) واختلفوا في عملية وقوفهم في الطوابق ، واختلفوا في طريقة عيشهم في المتغيرات ضمن طوابقهم ، ولكن لا يمس أحدهم أسس البناء، أو يهدمه ، ومن الطبيعي جداً أن تكون رؤية الإنسان الذي وصل إلى الطابق الأخير متصفةً بالشمول والبُعد الآفاقي ، بينما من كان في الطوابق الدُنيا تقصر رؤيته حسب المستوى الذي يقف فيه، ولكن لا يعني أنه ضال، أو لا قيمة لنظرته ! لأنه يقف في ذات البناء

وضمن الأسس المرتفعة في البناء، لا يهدمها أو ينقضها، وله كامل الحرية في التجول والتنقل بين الطوابق.

الآخر : وقف من ما نزل على محمد موقف الكفر والعداء والحقد، فهذا الرجل أشبه بمن وضع متفجرات في أساس البناء رغم أنه واحد من سكانه ! فهو أول من يتأذى بذلك، ويهلك، لأنه هدم ونقض الأساس الذي يعتمد عليه بيته !، وبالتالي ينبغي التعاون بين سكان البناء لمنع هذا الإنسان من عمليات التخريب، ونشره للفساد والأذى والحقد والكره بين سكان البناء، وطرده خارجاً، أو توقيفه عند حده وإرجاعه إلى الالتزام بقانون الاحترام والسلام والتعايش والتعاون بين جميع سكان البناء.

وهذه أهم الآيات القرآنية التي تدل على ما ذكرت . قال تعالى:

{إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 92

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} آل عمران 67

{ قُولُوٓاْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }البقرة 136

{ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ }الحج 78

{ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ } آل عمران 19

{ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً }المائدة 48

{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }الجاثية 18

{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِيۤ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ }الشورى 13

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخر وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 62

{ لّيْسَ بِأَمَانِيّكُمْ وَلآ أَمَانِيّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوَءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً۞وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً }النساء 123-124

{ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنّةَ إِلاّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىَ تِلْكَ أَمَانِيّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ۞بَلَىَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }البقرة 111-112

{ لَيْسُواْ سَوَآءً مّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَآءَ اللّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ۞يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـَئِكَ مِنَ الصّالِحِينَ۞وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَروهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتّقِينَ }آل عمران 113-115

وينبغي الانتباه إلى أن الآيات التي وصفت جماعة من أهل الكتاب بالكفر هي آيات محددة بوصف معين غير متحقق بجميع أهل الكتاب ، بدليل أن الآيات السابقة قد وصفتهم بالإسلام والإيمان ، وآيات الكفر أتت بصورة جزئية نحو:

{مّا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزّلَ عَلَيْكُمْ مّنْ خَيْرٍ مّن رّبّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }البقرة 105

وكلمة (من أهل الكتاب) تدل على التبعيض كما هو معلوم من دلالة (من) في اللسان العربي ، كما أن دلالة كلمة (كفر)، تدل على مجرد التغطية للشيء. ويقصد منها موقف سلوكي يقوم الإنسان به تجاه أمر معين ، قد يصدر تهاوناً وهوى ، أو خطأ ، فهذا سلوك شخصي، لاعلاقة لأحد به ، أما إذا صدر منه حقداً وعداء، وبغضاً للحق، وحرباً لأهله ، فهذا الحاقد المعادي للحق كافر، وعدو ينبغي محاربته للحماية من عدوانه وإجرامه .

لذا؛ ينبغي أن تفهم هذه النصوص على ضوء النصوص السابقة بصورة منسجمة مع بعضها قال تعالى: {لّقَدْ كَفَرَ الّذِينَ قَالُواْ إِنّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لّمْ يَنتَهُواْ عَمّا يَقُولُونَ لَيَمَسّنّ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }المائدة73

إن النص يحتوي على فعلي كفر، الأول: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ}، والثاني: {لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }، ففعل الكفر الأول، هو خبر عن وقوع هؤلاء بمخالفتهم للحق وتغطيتهم له بقولهم هذا. أما الكفر الثاني، فهو تهديد لمن استمر على كفره منهم بعد علمه، وتحول موقفه إلى الإجرام والحقد وإنكار الحقيقة.

وهذا لا ينطبق على كل من يقول : إن الله ثالث ثلاثة !، رغم أن قوله ذلك بحد ذاته، هو كفر مخالف للحقيقة .

{قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ۝اللّهُ الصَّمَدُ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ۝وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ }

2– مفهوم الديمقراطية

والحديث عنها يطول شرحه، ولكن سوف أعتمد على ثقافة السادة السامعين

أيها الأساتذة الكرام

غير مطلوب منا أخذ شهادة حسن سلوك من أمريكا أو أوربة حتى نعيش في أوطاننا سالمين آمنين ، ويُملون علينا مفاهيمهم وثقافتهم ! إن الديمقراطية وُلدت مشوهة ابتداء كما تعلمون، فقد كانت أداة بيد المستكبرين والمستبدين لإحكام قبضتهم على الشعوب واستعبادها، ولذلك قال المفكرون الديمقراطيون: لم تُطبق الديمقراطية في التاريخ الإنساني أبداً، ولا يُنتظر تطبيقها في المنظور القريب .

وقد طوى التاريخ هذا المسخ قروناً من الزمن، إلى أن تم فصل الكنيسة عن سلطة الحكم لتجاوزها حدودها وطغيانها ووقوفها في وجه العلم والتطور، فانفجرت الجماهير نتيجة الظلم والفساد بصورة عشوائية، وقضوا على سلطة الكنيسة ومن يُمثلها وأرغموها على الانكماش والانسحاب إلى داخل جدران الكنيسة، وإغلاق الباب عليها، وبدؤوا بالبحث عن البديل لأن المجتمعات لا تنهض دون فكر كلي يقود ويوجه نهضتها . فكانت الديمقراطية المسخ القديم هي الوحيدة المرشحة لأن تأخذ دور قيادة الفكر الكلي وتقود الجماهير، فكان ولادتها من جديد **ولادة الضرورة**، وغياب الفكر الحق، مما أدى إلى أن يأخذها المفكرون والفلاسفة حينئذ.

وقاموا بتزيينها بالاتفاق مع أصحاب النفوذ والمال ، وقدموها للشعوب بأنها مركب النجاة والخلاص ، فاستجاب الجماهير لها بغفلة وسذاجة وصدقوها، وقام أصحاب القوى والمال باستخدامها في توطيد وترسيخ استبدادهم لاستعباد الشعوب. وهكذا صارت الديمقراطية أداة متطورة بيد المستبدين قادرين على إدارة اللعبة بصورة معقدة فوق مستوى وعي وإدراك الجماهير، لأن الاستبداد و الاستعباد انتقل من أفراد إلى مؤسسات وأحزاب .!

أيها الأخوة ! **إن الديمقراطية على أرض الواقع، هي تداول السلطة بين الأقوياء من خلال الصراع لاستعباد الشعوب مهما تغير تعريفها بين المجتمعات، ومهما ادعى المستبدون أن الديمقراطية هي نظام إنساني، ولكل مجتمع خصوصيته** . فهم غير صادقين فيما يقولون! والواقع شاهد على ما أقول ! **فالديمقراطية أكبر وأخطر أداة استبدادية يتم استعمالها لاستعباد الشعوب بطريقة متطورة ومتلونة.**

الديمقراطية مولود غربي

أيها السادة الأفاضل

إن الديمقراطية قد وُلدت نتيجة ظروف ومعطيات غربيّة تخصهم ، وتمخض عن الديمقراطية الشعار المعروف لديكم (**فصل الدين عن الحياة**) الذي صار شعارٌ للعلمانية، التي بدورها تمخض عنها الفكر الشيوعي، ورفع شعار (**لا إله والحياة مادة**)، والفكر الرأسمالي الذي احتفظ بالشعار الأم (**فصل الدين عن الحياة**) ، وهكذا وُلد هذان التياران وبقيا محتفظان بجينات الديمقراطية، وفصل الدين عن الحياة .

وقام **الفكر الرأسمالي** بتمييع وتسطيح الفكر واتخذ موقفاً تلفيقياً لا إنكار للدين، ولا تفعيل له بالحياة، وهذا الموقف صبغ به كل فكره، ومواقفه، فلا يوجد في الفكر الرأسمالي ثوابت، وقيم، ومقاييس ، فكل شيء قابل للمساومة حسب المصلحة ، وهذا مُشاهد في سياسة البلاد الاستكبارية .

أما الفكر الشيوعي، فقد أخذ موقفاً حازماً صريحاً متطرفاً عندما أنكر الدين ومفاهيمه أصلاً، وتعامل مع الواقع المحسوس فقط، وصبغ كل مفاهيمه بذلك، فضاع وأضاع الجماهير معه ، إلى أن تفكك ذاتياً لأنه يحمل بذرة التفكك والهلاك ابتداء**!. فالديمقراطية ولادة غربيّة نتيجة ظروف خاصة بهم، ومع ذلك هي خدعة سياسية، ونظام لترسيخ الاستبداد وممارسة الاستعباد للشعوب . ولو بُعث فرعون من جديد لكان أول من ينادي بالديمقراطية، واستعبد الشعوب التي تصفق له، وتجتمع عند قدميه، وتعد نفسها رعايا لراعيها عوضاً عن صفة المواطنة .**

مع العلم أيها السادة **! إنّ صفة الرعاية للمواشي ، والعناية للإنسان، فنحن مواطنون، ولسنا رعايا لأحد،** قال تعالى: { كلوا وارعوا أنعامكم}. طه(45)، **لذا؛ ينبغي محاربة ثقافة الرعاية التي هي خاصة للمواشي والبهائم ، ونشر ثقافة العناية التي هي خاصة للإنسان كفرد وأسرة ومجتمع.**

أيها السادة !

3- **إن التمييز بالهوية الثقافية ضرورة اجتماعية،** وواجب ومقصد قرآني، وما ينبغي خلط المفاهيم بالمصطلحات والتسميات، فالحق غير الباطل ، والعدل غير الظلم ... الخ، فما ينبغي تسمية الأشياء بغير مسمياتها، وخلط الحابل بالنابل كي لا تضيع الحقائق وتنخدع الجماهير**!**.

أيها السادة **!** إنّ **الإسلام ليس هو الديمقراطية !** كما أن الديمقراطية ليست هي الإسلام ، وإذا وُجد تشابه في بعض الاصطلاحات ، أو المضمون لها، فلا يعني ذلك الوحدة والاندماج، لأنه لا يوجد في الدنيا فكر إلا وهو متشابه أو متطابق في بعض مضمونه مع فكر آخر بصورة أو بأخرى ، وهذا لا يعني أن فكر الناس جميعاً هو واحد، فالرأسمالي غير الشيوعي، رغم أن أساسهما واحد وهو العلمانية **!** فالتمييز ضرورة ثقافية اجتماعية . والذي يخلط بين المفاهيم والمصطلحات يقوم بدس السم في العسل. سواء أكان قاصداً أم عن غير قصد .

لذا؛ ينبغي الحذر والانتباه لاستخدام المصطلحات في محلها وحسب محتواها، **فالديمقراطية أداة ونظام ملتصق بها الاستبداد بصورة لازمة لا ينفكان عنها أبداً**،وبالتالي؛ ينبغي استبعاد هذا المصطلح المشؤوم من ثقافتنا مثله مثل مفهوم **الرعاية للناس** ، وعدم استخدامه، أو تعبئته بمفاهيم إسلامية، أو عرضه على الجماهير على أساس أنه أداة محايدة ونظام إداري فقط! إنه السم الزعاف. ينبغي أن يُعرض الإسلام كما عرضه الخالق{ إِنّ الدّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ }، {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ } آل عمران (85)، إن الإسلام دين نزل في الدنيا ليُطبق فيها، ولها، لنهضة المجتمع الإنساني، ويجب أن يتم ذلك باسمه الذي اختاره أبو الأنبياء وإمام الناس، أبونا إبراهيم عليه السلام، وأقره على ذلك الخالق تبارك وتعالى: { مّلّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ} الحج 78.

4- إن الإسلام فكر كلي ثقافي أوجد أجوبة عن الحياة والكون والإنسان وعلاقتهم ببعضهم بعضاً، ينبثق منه نظام تشريعي حدودي للمجتمع، وقد ترك حرية التحرك في الجزئيات والمتغيرات للمجتمع حسب أدواته المعرفية، بما يحقق له المصلحة والنهضة (ثبات النص وحركة المحتوى) فمفاهيم العدالة والأمن والسلام والحرية والمشاركة، والتعايش والتعاون والمحبة، وغير ذلك من المفاهيم هي أساس ومقاصد يقوم عليها الشرع الإسلامي ، **والخالق قد جعل القرآن إنسانياً في محتوى خطابه ، وعالمياً في حركته ، وعلمياً في مقاصده ومفاهيمه ، وربط خطابه بمحله من الواقع ليُعطيه مصداقية، ويحفظه ويكون أساساً لفهمه، فما كان إسلامياً؛ يكون إنسانياً ، وما كان إنسانياً؛ يكون إسلامياً . فالإسلام، والإنسانية، والعلم مفاهيم تلتقي وتتطابق على أرض الواقع.**

5- علاقة الدين بالدولة

أيها السادة الكرام

إن موقف الإسلام من الدولة موقف متميز ومتفرد ، فهو لا يقوم على صفة **دمج الدين في الدولة**، فيظهر على أثر ذلك دولة هامان (رجل الدين)، ولا يقوم على **فصل الدين عن الدولة**، فيظهر دولة فرعون (رجل القوة والقهر)، لأن كليهما يتولد منهما الاستبداد، وممارسة الاستعباد للشعوب، **الأول باسم الرب، والآخر باسم فرعون أو الملك، أو باسم الشعب قررنا ما يلي**: (**يُذبح الشعب على عتبة القصر، وتجري دماؤه في أنهر الحديقة**).

ومثل ذلك، كمثل الحمار الذي يركبه فرعون ، ويسوقه قارون ، ويُتمتم في أذنيه هامان قائلاً : اصبر ولك الجنة !. فينهق الحمار!، ويجري مسرعاً بحمولته ويستمر في حمرنته **!**.

هذا المثلث (**فرعون وقارون وهامان**) هو مثلث الإجرام يتعاونون مع بعضهم بعضاً لاستعباد الشعوب**.**

الإسلام كثقافة مجتمع هو المصدر الرئيس للدستور وليس النهائي وعلاقته مع الدولة وليس مع السلطة السياسية

الإسلام خطاب هداية للناس

أما الإسلام فقد توجه في خطابه للناس ، وطلب منهم الإيمان والتفاعل معه للوصول إلى الفاعلية، واختيار نظام الدولة الذي يرونه مناسباً لهم حسب ثقافتهم ويُلبي احتياجاتهم وينهض بهم .

فالإسلام قام على علاقة جدلية زوجية بين الدين والدولة، يؤثر كل منهما بالآخر، إذ يكون القرآن المصدر الأول للدستور والقانون، ويتبعه مصادر أخرى، **مثل العلم والتاريخ والتفكير والعرف والمصلحة** . وتكون الدولة حامية وحارسة للدين ومقاصده من أن يهدمها أو يتجاوزها أحد **.**

6- صفة الإيمان أو الكفر هما صفتان للإنسان ، **والصلاح والفساد للمجتمع، والدولة منفعلة بالمجتمع**، وتُقاس الدول بصفة العدل والعلم،والحرية والمشاركة في زمام أمور الدولة .

وبناء على ذلك، فالأزمة بين الدول والشعوب ليست دينية ! وإنما هي العدل والظلم ، و العلم والجهل ، والحرية والاستعباد ! ولذلك؛ لا نجد في القرآن مانعاً من تَسلم رجل مسيحي زمام السلطة في المجتمع الإسلامي، من منطلق أن المسيحي هو مسلم أساساً، والمنع الموجود في الفقه، إنما هو سياسي وتاريخي، غير أن رئيس الدولة سوف يلتزم بالدستور والقانون المنبثق من ثقافة المجتمع، والمحمي من قبل مؤسسات وأحزاب المجتمع، فلن يحكم هو أو غيره بمعتقداته الخاصة، بل سوف يطبق القانون ويلتزم بالدستور، وإلاَّ يُعزل من منصبه الإداري، لأن القيادة لمؤسسات القوى في المجتمع وفق الدستور والقانون، ولذلك ينبغي فصل السلطات عن بعضها التي هي :

سلطة الأمر –وسلطة القضاء – وسلطة التشريع –وسلطة الصحافة– وسلطة التربية والتعليم – وسلطة الإعلام والفن – وغيرها من السلطات، مع وجود رابط يربط الجميع بالدستور والقانون، ويهدفون جميعاً نهضة المجتمع والرقي به نحو الحضارة والمدنية.

لا؛ للأحزاب الدينية

لذا؛ أقول صراحة وبصوت عالٍ: **لا ! للأحزاب الدينية والعقائدية، والعرقية،ونعم! للأحزاب و المؤسسات الاجتماعية الثقافية الإنسانية، التي تهدف لبناء البنية التحتية وتنشر الوعي والثقافة وفق مفاهيم إنسانية قائمة على نبذ العنف، والطائفية ، والعرقية ، والإرهاب**، وعدّ ذلك مرضاً اجتماعياً، ينبغي استئصال الثقافة التي تُكرسه، وتمده بالقوة كائنة من كانت هذه الثقافة .

نعم ! للحزب أو المؤسسة الاجتماعية التي تحتضن في داخلها كل أطياف المجتمع على الصعيد الديني والطائفي والقومي، لأن الوطن للجميع لهم حق الحياة فيه ، وواجب عليهم الدفاع عنه ، وبالتالي لا مانع من التعددية الحزبية، لأن جميع الأحزاب قائمة على أساس واحد، ومختلفة في اختيار الجزئيات والمتغيرات حسب أدواتها المعرفية واحتياجاتها ، فهي أشبه بسكان في بناء واحد يقومون على أساس واحد، وملتزمون بثوابت واحدة، ومختلفون بطريقة عيشهم في بيوتهم الخاصة، مع التزامهم بالنظام العام الذي يحكم البناء.

أساس علاقة الأحزاب

التكامل والتعاون، لا الصراع والتناحر

إنّ الأحزاب في المجتمع الواحد؛ **رديفة لبعضها بعضاً، قائمة على التعاون والتعايش، والتماسك والمشاركة، والتعاضد، تنبذ العنف والصراع، وتهدف إلى النهضة والصلاح والأمن والسلام .**

ويكون كرسي السلطة محل مراقبة، وليس هدفاً يسعون له، لأنه بطبيعة الحال ينبغي أن تكون السلطة تداولاً بين مراكز القوى العادلة السلمية المتعاونة في المجتمع، وفق الدستور والقانون، وينبغي مشاركة جميع مراكز القوى بكافة الأطياف في إدارة وقيادة الدولة .

وبهذا العرض أكون قد خلصت إلى حل إشكال **الدولة الدينية، والدولة العلمانية، والوصول إلى الدولة العلمية الإنسانية القائمة على ثقافة العناية والمواطنة** .

وحل إشكال الأحزاب الدينية، وتحويلها إلى أحزاب اجتماعية إنسانية منفتحة، تحارب العنف والإرهاب، والظلم والفساد، بالسلم والأمن، والعدل والصلاح، والحرية والمحبة بين الناس .

وهذا العرض كفيل بإيجاد أسس لبناء الوحدة الوطنية، والقضاء على مشاكل قومية، أو طائفية، أو دينية، وجعل جميع أفراد المجتمع ومؤسساته على مختلف أطيافه، مواطنين يحملون التابعية لوطنهم ، ويتنافسون في نهضته؛ وَفق رؤية سلمية تعاونية؛ تعايشية متماسكين مع بعضهم كالبنيان المرصوص؛ يحرصون على سلامة الآخر كما يحرصون على أنفسهم .

وأنتهز هذه الفرصة لأوجه نداء لأهل الحل والعقد، وأصحاب الفكر والوعي من كافة الأطياف في المجتمع إلى تبني هذا الفكر الإنساني، والمشاركة في تأسيس ميثاق عمل، يلتزم الجميع به، يرفع شعار (**العلم والأخلاق أساس للنهضة والعمران**) ويهدف إلى (**التعايش ، والتماسك ، والنهضة**)، **ونشر ثقافة المواطنة والعناية**.

ولا مانع من تسمية الحزب أو المؤسسة بأي اسم إنساني أو علمي، ولكن يجب منع التسمية الدينية، أو الطائفية ، أو القومية ، ومنع أي حزب يقوم فكره على ذلك، لأنهم من حيث الخطورة و الضرر على المجتمع سواء.

وأخيراً اسمحوا لي أن أعرض عليكم مفهوماً عظيماً غَيَّبه العرب المسلمون وهو:

الإسلام دين إنساني علمي نزل بلسان عربي للناس جميعاً . وبالتالي ينبغي تحرير الإسلام من هيمنة ثقافة القومية عليه، وتركه حراً ! يحلّق في أجواء الأرض، ويمارس دوره الإنساني العلمي العالمي .

{**قُلْ يَأَيّهَا النّاسُ إِنّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** }الأعراف 158

والحمد لله رب العالمين

وشكراً للقائمين على العناية بهذه الندوة الثقافية التنويرية

دعوة للتفكر بالمنهج

أيها الأخوة الكرام! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية عربية وبعد

أريد أن أوجه مجموعة من الأسئلة لكم، وأرجو أن تجاوبوا عليها في أنفسكم بصورة موضوعية دون انفعال، أو استخدام أجوبة مسبقة الصنع، أو استخدام عقول غيركم ؟.

1-إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة ، والصيام، ألم تكن واجبة على من سبقنا من الأمم؟.

2-كيف مارس وطبق الأمم السابقة هذه الأمور؟

3- أليس التاريخ مصدراً للمعلومات ومعرفة للأحداث؟

4- هل القرآن كتاب كوني تجريدي مثل الرياضيات ؟

5- أليس الإنسان بحركته الواعية كأسرة ومجتمع هو بُعد من أبعاد الكون ؟

6- أليس النفس الإنسانية وتموضعها في الجسم الذكري والأنثوي بُعد كوني؟

7- هل القرآن نزل للكون، أم نزل للإنسان ؟

8- البُعد الإنساني ألا يشمل ويتضمن البُعد التاريخي والثقافي ؟

9- ألم يتناول الخطاب القرآني البُعد التاريخي والثقافي؟

10- ألم يطلب القرآن التواصل مع الأنبياء السابقين؟

11- هل اللسان العربي لسان غيبي نزل ابتداء مع نزول القرآن به ؟

12- اللسان العربي هو صيغة صوتية أم صورة مخطوطة؟

13- الصفة العلمية للسان واحتواء المعاني والمقاصد موجود بالصيغة الصوتية له أم بالصورة المخطوطة؟

14-الصيغة الصوتية للسان هي أول ظهوراً، أم الخط والرسم للألفاظ أولاً ،أم كلاهما ظهرا معاً ؟

15- ألا يوجد في الخطاب القرآني صوراً قد تم تثبيتها من مفهوم الكلمة العام حيث كلما أتت بهذا السياق والإطار يكون المقصد منها هذه الصورة، نحو صورة (الذكر والأنثى) التناسلية ؟

16- عدم العلم بسبب حصول الشيء هل يصح أن يستخدم برهاناً لإثبات شيء؟

17- تكرار ظواهر معينة على وتيرة واحدة هل تفيد في تحديد هوية الفاعل ، أو تفيد أن الأمر يستحق الدراسة لمعرفة سبب ذلك الحصول وما الرابط بينها !؟

أيها الأخوة الكرام !

هذه نماذج للأسئلة وليست للحصر، والمقصد منها إثارة النقاش والحوار، وإعادة النظر في المنهج المطروح عليكم، فأنا مع التجديد والتحديث، وتوسيع المفهوم القرآني، والتحليق بأجوائه، والغوص في أعماقه، والأخذ بأبعاده ومستلزماته ومنطوقه ومفهومه، وعدم التوقف حيث وقف الآباء، لأن الكون (آفاق وأنفس) لا يتوقف، فهو بعملية امتداد وتوسع وتغير ضمن محور ثابت ليتم حركة السيرورة والصيرورة؛ فأي عملية توقف في دراسة القرآن، هي في الحقيقة إخراج القرآن عن مساره الكوني، وبالتالي الحكم عليه بالإعدام والانقراض!.

أيها الأخوة الكرام !

إن عملية التفعيل، والتحديث للنصوص القرآنية، عمل مطلوب، بل واجب، ولكن ذلك ما ينبغي أن يتم على حساب إلغاء صوراً ثقافية ثبتها القرآن على وجه من الوجوه ابتداء؛ فكان ينبغي الانطلاق من هذه الصورة الثابتة، وتفعيل وتوسيع مقاصد النص في فضائه ضمن ضوابط لسانية وعلمية، دون إلغاء أو نفي هذه الصور، وهذا الكلام ليس عاطفياً، ولا بُغية المحافظة على التواصل مع الآخرين، أو خشية القطيعة، أو ما شابه ذلك مما قد يتخيل بعضهم،

وإنما هو منهج قرآني قد اعتمده الخالق تبارك وتعالى في صياغة النص القرآني، إذ اعتمد على مفهوم الكلمة لسانياً (الدلالة الواحدة للفظة) مع تغير عملية إسقاطها على الواقع حسب الحدث الذي تعلقت به، ومن هذا الوجه ظهرت الصور المتعددة لمعنى الكلمة الواحدة، ونلاحظ أن دلالة مفهوم الكلمة قد تحققت في كل الصور التي حدثت مع بعض الفروقات التي اقتضتها زيادة، أو نقصان، أو تقديم، أو تأخير تركيبة الأحرف للكلمة؛ مثل ضرب، يضرب، اضرب ، ضارب ، تضاربا..

- ضرب الله مثلاً .
- ضرب الجندي عدوه .
- ضرب زيد في الأرض سفراً .
- ضَربت النساء بأرجلها.

فمفهوم الضرب لم يتغير، وتحقق في كل هذه الصور، ولكن عملية إسقاطه واستخدامه اختلفت حسب اختلاف الحدث ، فصورة ضرب المثل، غير صورة الضرب بالأرجل أو ضرب العدو، وكذلك كلمة (أكل)، فهي تدل على مفهوم واحد، ولكن تظهر بصور مختلفة حسب اختلاف الحدث وتعلقها به.

مفهوم **أكل**: تدل على مجرد تناول الشيء وأخذه .

1- أكل الرجل الطعام. إذا تناوله عن طريق فمه.

2- أكل الرجل مال الأيتام . إذا تناوله من غير وجه حق أو استخدمه لنفسه.

3- لا تأكل من هذه الشجرة . لا تتناول ثمار هذه الشجرة إن كانت نباتية ، وإن كانت تدل على علاقات اجتماعية يكون النهي عن تناول وتعاطي هذه العلاقات الفاسدة.

قال تعالى: {فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ } الحج(28)، { وَالأنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } النحل(5) ، { لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ}الزخرف (73)، { وَقَالُواْ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} الفرقان(7)، ففعل (طعم) وفعل (أكل) بينهما علاقة الخصوص والعموم، إذ لا يمكن أن يتم فعل (طعم)في الواقع إلا إذا سبقه فعل (أكل) . والعكس غير صواب ، إذ يمكن أن يتم فعل (أكل) دون وجود لفعل (طعم) ويظهر بصورة أخرى. فلا يصح ضرب صور ظهور الكلمة في الواقع ببعضها، أو سحب صورة واحدة لجميع الصور. انظر قوله تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ}الواقعة (68)، وقوله: { وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ}البقرة (93)، ففعل (شرب) يدل على مفهوم واحد، وهو انتشار وتفشي الشيء، وتكرار منته بتجمع مستقر. وهذه العملية تختلف في ظهورها على أرض الواقع حسب تعلقها بالحدث، فإن تعلقت بشيء معنوي مثل { وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } ظهرت بصورة حركة دخول وانتشار الأفكار وتغلغلها في قلوب (عقول) الكافرين. فعندما يقول الله تعالى { كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} البقرة(60)، يكون تعلق فعل (أكل) بصورة تناول الطعام، وتعلق فعل شرب بصورة دخول وانتشار الماء إلى الجوف .

لذا؛ ينبغي أن ننتبه إلى هذه القاعدة المنهجية التي هي محل اتفاق بيننا، وليس اختلاف، ولكن يُساء استخدامها وتطبيقها على النصوص والواقع من قبل بعضهم، وللحديث بقية حسب ما يستجد من الأفكار.

وتقبلوا تحياتي العربية

جواب سؤال
الشفاعة والخلود في النار

إن السؤال أو الاهتمام بتلك المسائل (الوعد والوعيد، الشفاعة، الخلود في النار) غالباً ! ما تصدر من إنسان له تجربة في العمل الاجتماعي الثقافي، وهو واقع تحت تأثير وضغط الواقع من حيث عدم قدرته على تغيير الظروف مع حساسيته المرهفة وإرادته الخير للناس ، وهذه المرحلة التي يمر الإنسان بها على درجة من الخطورة إذ قد تدفعه إلى التطرف والغلو، وإذا كان في عمر الشباب وصفة الانفعال تقوده، وبعيد عن الدراسة العميقة ، وغياب القيادة الراشدة الفاعلة الواعية !، مع وجود الظلم والاستبداد والاستعباد للشعوب !، يؤدي عند ذلك الشاب إلى الجنوح نحو العنف وتكفير الناس ، بل؛ إلى أكثر من ذلك، إذ يُنَصب نفسه قاضياً في أعراضهم ودمائهم، وأموالهم، فيستبيحها وَفق المفاهيم الثقافية التي تمَكَّنت في نفسه نتيجة قصوره الثقافي، وغفلته النفسية، وغياب المنهج العلمي ، وإتباعه لمن هم مثله في التطرف !، وحركته الانفعالية كردة فعل على الظلم والاستبداد . وقد قال الله لنبيه:

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ } (الروم60

بمعنى أن لا تجعلهم يثيرونك، فيصدر منك سلوك سخيف كردة فعل لسخافتهم !.

أخي الكريم ! لم أقصدك بكلامي، ولكن شعرت بصورة خفية أن وراء هذه التساؤلات إشكاليات كبيرة وعميقة ، وما أدري موقفك منها ، وأين تقف الآن بقناعتك منها !؟ فالأمر بحاجة ماسة إلى وقفة طويلة، وإعادة الدراسة لكل المفاهيم الثقافية دون استثناء ، وحذف من عقلنا مقولة : **ما ترك الأولون للآخرين شيئاً !** . واستبدالها بمقولة :**كم ترك الأولون أشياء لنا لدراستها وفق معطيات واقعنا وحسب أدواتنا المعرفية.** وكُتبي وأبحاثي ومقالاتي المنشورة في الموقع الذي ذكرته لك تساعدك كثيراً في عملية النقد، وبناء منهج علمي ثقافي تستخدمه في دراسة المفاهيم الأخرى التي تهمك نحو: مفهوم الإسلام وأهل الكتاب ، والجهاد والقتال ،

والقرآن والسنة والحديث ، النبي والرسول ، الحق والصواب ، والباطل والخطأ ، الشرك والكفر ، التأويل والتفسير ، الترادف في اللغة ، العقل والنقل ، والناسخ والمنسوخ ....الخ . وأحيلك إلى دراسة الأبحاث الهادفة والجادة في عملية إيجاد منهج علمي لفهم القرآن حسب معطيات واقعنا المعاصر . وكلهم يؤخذ من قولهم ويرد عليهم ، أصابوا في كثير من المفاهيم وأخطؤوا في بعضها ، ويكمل البناء من خلال تراكم الدراسات والعمل الجماعي.

أخي الكريم

سوف أستعرض لك آيات تحت عناوين عامة تستطيع وحدك أن تشكل منها مفهوماً، وتصل لأجوبة عن أسئلتك التالية : الوعد والوعيد ، الشفاعة ، الخلود في النار ؟

1-الوعد والوعيد

هما مفهومان مبنيان على أساس واقع الإنسان من كونه في دار ابتلاء، وامتحان، ويملك إرادة واعية حرة ، ويعيش في عالم قائم على الثنائيات المتناقضة (الخير والشر)، (العدل والظلم)، فوصل الإنسان بصورة علمية إلى وجوب وجود اليوم الآخر، وبالتالي لا بد من الوعد والوعيد (الجنة والنار) ضرورة .

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (الملك2) {وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} (ق 14)

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ } (ق 20)

{ قَالَ لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ } (ق28)

{قَالُواْ يَوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } (يس 52) {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} (يس 63)

ولا يُلتفت إلى الأقوال المتطرفة جداً في هذا الصدد نحو:

أ – قول بعضهم إن الوعيد في القرآن ليس حقيقياً، وإنما هو مجرد تخويف وتهديد، وذلك مثل تهديد الأب لابنه، بأنه سوف يفعل كذا وكذا !، وهو ليس جاداً في قوله . وبالتالي فجميع الناس بكافة أطيافهم (الصالحون والطالحون) مآلهم الجنة ! .

ب – والقول الآخر : إن من يدخل النار لن يخرج منها أبداً . وبذلك استوى المجرم العتيد مع الإنسان الذي وقع في ممارسات سيئة . أي يصير فرعون وهامان وقارون مع عامة الناس من المسلمين الذين وقعوا في شباك المعاصي، **فكِلا الرأيين يناقض صفات الله، العلم و الحكمة والعدل والرحمة !** .

2-الشفاعة

إن مفهوم الشفاعة متعلق بمفهوم الوعيد ، وإذا انتفى مفهوم الوعيد انتفت الشفاعة لعدم الحاجة لها ! . وكون مفهوم الوعيد ثابت، صار ممكن لمفهوم الشفاعة أن يوجد، ولكن ليس كشرط، وإنما كإمكانية احتمالية ، ومن هذا الوجه صار مفهوم الشفاعة مفهوم غيبي يعتمد على النقل الصادق الصادر من صاحب الأمر الذي بيده زمام الأمور كلها من حيث أنه يسمح للشفاعة، أو لا .

أ- **ثبوت الشفاعة من خلال القرآن،** اقرأ قوله تعالى:

{ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ **أَذِنَ لَهُ** الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً } (طه109)

{وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ **أَذِنَ لَهُ** } (سبأ23)

{ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن **بَعْدِ إِذْنِهِ** } (يونس 3)

{ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ **إِلاَّ بِإِذْنِهِ** } (البقرة 255)

ب- **الشفاعة إكرام للشافع وليس للمشفوع له،** اقرأ قوله تعالى:

{ لاَّ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ **عَهْداً** } (مريم 87)

{ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ **وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**} (طه109)

ت- **الشفاعة مرتبطة بإذن الله للشافع** ، والرضى عن مضمون الشفاعة . لأنه ليس من الضرورة أن يتم قَبول شفاعة الشافع فيما شفع له ، فالإذن بالشفاعة لا يُشترط له الرضى بمضمونها، اقرأ قوله تعالى:

{ يَوْمَئِذٍ لاّ تَنفَعُ الشّفَاعَةُ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً } (طه109)

{وَلاَ تَنفَعُ الشّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } (سبأ23)

{وَكَمْ مّن مّلَكٍ فِي السّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللّهُ **لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىَ** } (النجم 26)

ث- **الشفاعة للناس الذين خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئ ويرجون رحمة الله وعفوه** .

فهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات، ولكنهم وقعوا في ممارسات سيئة وفاسدة للمجتمع، فهؤلاء قد يرضى الله بشفاعة الشافعين لهم ويدخلون برحمة الله الواسعة ، وليست الشفاعة للمجرمين بأي حال من الأحوال، فهؤلاء لابد أن يطولهم الوعيد عدلاً وحكمة ، اقرأ قوله تعالى:

{ مَا لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ **يُطَاعُ** } (غافر18)

{أَمِ اتّخَذُواْ مِن دُونِ اللّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ۞قُل لِلّهِ الشّفَاعَةُ جَمِيعاً لّهُ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ ثُمّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (الزمر 43-44)

3- **الخلود في النار** : يوجد في التراث بضع آراء لهذا المفهوم .

أ- استمرار عذاب أهل النار إلى ما لا نهاية .

ب- عذاب أهل النار مدة طويلة جداً ثم فناء النار ومن فيها .

ت- عذاب أهل النار حسب ذنوبهم، ويخرجون من النار تباعاً كل حسب عقوبته، فلا يبقى فيها إلا المجرمون (فرعون وقارون وهامان)، ومن تبعهم في إجرامهم فيبقون مدة طويلة جداً (خالدين فيها أبداً) إلى أن يأذن الله بخروجهم بعد أن يكونوا قد طهرتهم النار من شرورهم وخبثهم ، فيخرجون إلى الجنة، وتسعهم رحمة الله ﷻ. وتفرغ النار من أهلها، فَيُفنيها لانتفاء وظيفتها !.

فناء النار وخروج من فيها

يوجد في التراث بضع آراء لمفهوم الخلود في النار.

1- كل مَن يدخل النار لن يخرج منها أبداً ويستمر عذابه إلى ما لا نهاية (عذاب سرمدي)[1].

2- عذاب أهل النار مدة طويلة جداً ثم فناء النار ومن فيها[2].

3- يخرج من النار مَن كان في قلبه ذرة من الإيمان، ويخلد المجرمون أمثال إبليس وفرعون وهامان وقارون إلى ما لانهاية[3].

4- يتعذب أهل النار حسب ذنوبهم،ويَخرجون من النار تباعاً كل حسب عقوبته، فلا يبقى فيها إلا المجرمون (فرعون وقارون وهامان)، ومن تبعهم في إجرامهم فيبقون مدة طويلة جداً (خالدين فيها أبداً) إلى أن يأذن الله بخروجهم بعد أن يكونوا قد طهرتهم النار من شرورهم وخُبثهم ، فيخرجون إلى الجنة، وتسعهم رحمة الله، وتفرغ النار من أهلها، فَيُفنيها لانتفاء وظيفتها، وهذا الرأي نصره ابن القيم في كتابه " حادي الأرواح" ونقل ذلك عن شيخه ابن تيمية الذي أرجع ذلك لآراء بعض من الصحابة.

والرأي الرابع هو الذي أرجحه وأميل إليه. وسأعرض لك أهم القرائن والأدلة التي اعتمدتها في ذلك:

1-إن النفس للكائن الإنساني متصفة بصفة الدوام لا تفنى، هكذا أرادها الخالق تبارك وتعالى، فسواء أكانت النفوس في الجنة أم في النار، فهي متصفة بصفة الدوام ، وبالتالي يبطل مفهوم فناء أهل النار، ويبقى للنقاش والحوار المفهومين الأول والثالث .

---

(1) عدنان الرفاعي:

https://www.youtube.com/watch?v=M1f5YmUMgrs

(2)

(3) رأي جمهور المسلمين.

2- مفهوم أسماء الله الحسنى وبالذات اسمَي الحكيم والرحيم يقتضيان أن يكون العقاب مناسب للعمل، وليس أكبر أو أكثر منه . فمهما كان العمل إجرامي، فهو لا شك محدود في النهاية، وبالتالي لابد من محدودية وانتهاء مدة العقاب، بخلاف الثواب والعطاء، فهما مبنيان على العمل الصالح، ولكن غير مُقيدان به من حيث الكم والكيف، وإنما هما مرتبطان بصفة الكرم والقوة والقدرة للمُعطي ، **فالعقاب محدود، والعطاء والثواب مفتوح، والأصل في استمرار الشيء هو الخير والصلاح ، وليس للشر والفساد ، فالناس يدخلون إلى الجنة بعملهم الصالح وبرحمة الله لهم، ويخرج العُصاة من النار تباعاً بحكمة الله وقدرته ورحمته .**

3-إن صفة الغضب الإلهي واللعن صفة عارضة غير مستمرة، بخلاف الحكمة والرحمة فهما مستمرين، وذلك يقتضي تحديد العقاب، وفناء النار، وخروج أهلها برحمة الله الواسعة إلى الجنة في نهاية المطاف، فالحكمة والرحمة أصل ، والغضب واللعن ظرف راهن

.

4- كلمة (عذاب) من عذب، التي تدل على عزل أو فصل أو تنقية شيء من أمور لحقت به، نحو الماء العذب، وهو الماء الصافي الصالح للشرب وخالي من الشوائب. والعذاب للإنسان هو القيام بتطهيره أو عزل الشوائب التي أصابت نفسه، **وهذا مفهوم التعذيب، وإذا انتفت الغاية انتفى مفهوم العذاب وصار تشفياً، وهذا الفعل منزه عنه الخالق الصمد المستغني عن كل شيء، والقيام بالتعذيب ومن ثم إفناء المعَذبين عبث، واستمرار التعذيب إلى ما لا نهاية أيضاً عبث وخلاف الحكمة، فالتعذيب ضرورة أن يكون له مآل و غاية ينبغي أن تتحقق وإلاّ انتفى مفهوم العذاب**، والعذاب للنفس ، والألم للجسم، وبالتالي بطل الرأي الأول والثالث لانتفاء مفهوم العذاب عنهما.

وأفعال الله غائية فما هي غاية الله من استمرار عقوبة أهل النار إلى ما لانهاية ؟

مع العلم أن العقوبة كمفهوم هي تطهير للإنسان من نجاسته وخبثه في الآخرة، وفي الدنيا لردعه وزجره !

5- مفهوم التعويض للناس عما أصابهم في الحياة الدنيا من المصائب ، فالإنسان المظلوم يأخذ حقه كاملاً مضاعفاً حتى يرضى، ويذهب من نفسه الضيق والحزن، ويُعاقب اللهُ الظالمَ بما يستحق ، فيتم شفاء غليل نفس المظلوم، وبعد ذلك ينتفي عن المظلوم صفة وقوع الظلم عليه لأخذ حقه مادياً ونفسياً، وفي هذه المرحلة يرجع الأمر إلى مشيئة الله وعلمه وحكمته ورحمته، فيفعل ما يريد، ليس لأحد بعد تحقيق الحق والتعويض عن الضرر وحصول الرضا من قبل المظلوم من حق بالاعتراض أبداً على رحمة الله (إِنّ رَبّكَ فَعّالٌ لّمَا يُرِيدُ) (هود107)

6- لم يأت أي نص يخبر عن المكوث في الجنة بصيغة زمنية محددة، بينما أتى في الإخبار عن المكوث في النار بصيغة زمنية محددة . قال تعالى:(لاّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَاباً)(عم 23)، وكلمة أحقاب: جمع كلمة (حقب)، التي تدل على مجموعة زمنية طويلة جداً ، ولكن في النهاية هي محدودة من حيث الكم ، ومجموع المحدودات محدود ضرورة ، بينما اللانهاية لا تُجمع ! .

وقال: (وَأَمّا الّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَاهُمُ النّارُ كُلّمَآ أَرَادُوَاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النّارِ الّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ) (السجدة20) ، انظر إلى فاعل كلمة (يخرجوا) وهم أهل النار، ولم ينف النص إرادة الله لهم بالخروج فيما بعد بإذنه، وانظر إلى كلمة (ذوقوا) ؟ وهي كلمة تدل على تناول بعض الشيء لاختباره ، فهي تدل على المدة المحدودة، انظر قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}الأنبياء35، ولم تُستخدم هذه الكلمة لأهل الجنة أبداً.

7-انظر إلى دلالة النص الذي يتكلم عن إرادة أهل النار في الخروج ونفي ذلك عنهم {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ

حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}البقرة167، فكلمة (خارجين) اسم فاعل، وهي تدل على إرادة أهل النار الخروج من تلقاء أنفسهم من شدة العذاب، فنفى الله عنهم تحقيق مرادهم، ولم ينف إرادة الله لهم بالخروج فيما بعد، انظر إلى النص التالي الذي يتكلم عن أهل الجنة{لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ }الحجر48، فمن الطبيعي أن أصحاب الجنة لا يريدون الخروج ولا يطلبونه لأن الأصل في الثواب والعطاء التمليك والاستمرار، لذا؛ أتى النص بكلمة (مُخرَجين) لتدل على نفي إخراجهم من قبل الله. أما النص الذي يتكلم عن أهل النار: {ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ }الجاثية35، لاحظ وجود كلمة (فاليوم) قبل كلمة (لا يُخْرجون) وهذا يدل على يوم الحساب وبدئه، فلابد أن يتحقق الوعيد ويدخلون النار، ويخضعون للعذاب، ولا يُقبل منهم أسفاً أو اعتذاراً أبداً. ولا تدل الكلمة على نفي الإخراج بصورة دائمة في غير هذا اليوم، انظر مثلاً قول الملك لوزيره: اليوم لا يُخرَج أحد من السجن. لا تفيد نفي الإخراج في غير هذا اليوم.

8- انظر إلى دلالات الكلمات المستخدمة في دخول أهل النار إلى النار،وكيف أنها لا تدل لساناً على اللانهاية للحدث :

أ- مكث :تدل على توقف وانتظار {مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً }الكهف3

ب- لبث : تدل على مجرد السكون والتجمع والالتصاق في الشيء {لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً }النبأ23.

ت- أوى : تدل في عمومها على ميل الإنسان إلى مكان والدخول فيه ليحصل على الحماية، ولذلك يأوون الكفار إلى النار ليتخلصوا من شعورهم بالخزي الذي يحرق قلوبهم {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى }النازعات39.

ث- خلد : كلمة تدل على ارتخاء وحركة متصلة لازمة منتهية بدفع شديد . نحو خلد زيد إلى الأرض . إذا التصق بها بشدة، {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ }الأعراف176 .

ج- أبد : تدل في عمومها على الزمن الطويل الممتد، ولكن في النهاية هو محدود ضرورة إلا بقرينة تعطيه صفة الامتداد {إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً }النساء169.

اشتراك بعض الكلمات لأهل الجنة وأهل النار في الاستخدام مثل (خالدين، أبداً، مأوى..) الضابط لها هو: أن العدل والرحمة أصل، والغضب واللعن ظرف، أي الثواب دائم، والعقاب مؤقت، والجنة دار السلام والمقام، والنار دار البوار والهلاك، وأهل الجنة لن يُخرجهم أحد منها، بينما أهل النار لا يخرجون بإرادتهم ، وإنما يخرجون بالعفو الإلهي والرحمة التي وسعت كل شيء بعد تحقيق العدل ، والوعد لابد من تحقيقه لأصحاب الجنة، والوعيد متعلق بمشيئة الله إن شاء فعل ، وإن شاء عفا، فهو الملك القاهر الحكيم الرحيم الحي القيوم القادر على كل شيء.

9- دلالة النص {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً }مريم71

فحسب سياق النص والآيات التي قبله وبعده متعلقة بإحضار المجرمين إلى قرب النار جاثيين،{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً }مريم68 ، ورؤية المؤمنين لهم، كما أن دلالة كلمة (ورد) غير دلالة كلمة (دخل)، فالنص يتكلم عن عملية ورود وليس دخول، وهي تدل على العرض والحضور والمجيء وما شابه ذلك، ومن ثم نجاة المؤمنين من النار ودخول المجرمين فيها. {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً }مريم72.

10- ودلالة النص {وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }البقرة80، لا يوجد فيه نفي خروج أهل النار، وإنما يدل على أن الكافرين يظنون أن المكوث في النار هو بضع أيام،

وسوف تمضي بسهولة، فيخبرهم النص أن هذا القول هل كان نتيجة أخذكم من الله عهداً ، أم تقولون على الله ما تعلمون، إن العذاب والمكوث في النار أكثر مما تعتقدون بكثير، والعذاب شديد ومهول، ومثل ذلك كمثل من يقول إن مدة عقوبة جريمة القتل بضع أيام، وبالتالي يستسهل الجريمة، بينما الواقع غير ذلك تماماً فقد تصل العقوبة إلى الإعدام.

أخي الكريم

لاحظ أن آيات الخلود في النار تأت بصيغة اسم فاعل دائماً (خالدون)، ولم تأت ولا مرة واحدة بصيغة (مُخَلدون)، بينما أتى وصف دخول أهل الجنة للجنة بيوم الخلود: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ }ق34، وهذا يدل على أن صفة الخلود سرمدية لأهل الجنة، وليست هكذا لأهل النار وإنما الخلود منبثق من إرادة الإنسان الكافر، وذلك لشعوره بالخزي والعار فيسارع إلى الخلود إلى النار ليطفئ نار الخزي والندم والعذاب النفسي الملتهب في داخله ، وذلك من باب تغطية الألم النفسي بألم أشد منه، نحو استخدام الكي في النار لتغطية ألم نفسي أو جسمي ! وهذا لا يعني عدم وجود الألم الشديد في النار الذي يدفعهم إلى إرادة الخروج منها، فهم يخلدون إلى النار للخلاص من الألم النفسي، وعندما يدخلونها يجدون ألماً أشد منه فيريدون الخروج منها فلا يستطيعون، ويمكثون في النار إلى أن تَطْهُر نفوسهم الخبيثة النجسة، فإذا طَهُرَت نفوسهم، وذلك يكون بعد أن أدوا عقوبتهم كاملة، وتحقق الحق الإلهي وحكمته فيهم، وانتفى وجود المبرر لبقائهم في النار بعد أن صارت نفوسهم طاهرة، فتسعهم رحمة الله ، ويخرجون بالأمر الإلهي العفو والرحمة، فيخرجون من النار إلى الجنة، ولكن بالحد الأدنى منها، لانتفاء العمل الصالح عنهم في دار الامتحان، وسوف يرضون بذلك، ويشعرون في قرارة أنفسهم بالكرم والعطاء الإلهي العظيم، لأنهم يعلمون أنهم لم يحصلوا على ذلك بعملهم وطاعتهم لله ، ومثل ذلك كمثل ملك أصدر قراراً بالعفو عن مجرم بعد انتهاء نصف عقوبته المحددة له، فمجرد فعل العفو بحد ذاته هو كرم ورحمة، فما بالك إذا رافقه عطاء

!، هل يظن أو يتساءل المجرم عن قلة أو كثرة العطاء؟ وهل يعتقد أن العطاء حق له؟ أم يرضى بأي شيء وهو مسرور به لأقصى الحدود لعلمه في نفسه أنه لا يستحق ذلك أبداً .

مفهوم الخلود غير السرمدية

أما النصوص الأخرى التي تدل في ظاهرها على المكوث اللانهائي مثل (إنَّ الذين كَذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة حتى يلجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاط)الأعراف40، فالنص ذكر صفتين وهما التكذيب والاستكبار، فمن اتصف بهما لابد أن يطوله الوعيد، ونفي فعل دخول الجنة (لا يدخلون) لا يفيد النفي المستمر إلى ما لانهاية بدليل مجيء بعده جملة(حتى يلجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاط) لأنه لو كان النفي يفيد الاستمرار في النص لصارت الجملة الأخيرة عبثاً ولم تفد شيئاً جديداً، ولو كان المقصد النفي المستمر لأتى النص بصيغة(ولا يَخرجون من النار حتى يلج الجمل في سم الخياط) بدل كلمة (لا يدخلون الجنة)، فالنص نفى دخول الجنة ابتداء وذكر أنه لابد أن يطول الوعيد الكاذبين بآيات الله والمستكبرين عنها ،فينبغي أن تُفهم هذه النصوص وأمثالها على ضوء المنظومة العامة للمفهوم وعدم تحميل الكلمات دلالات لا تحتملها، فمفهوم اللانهاية لا يدل عليه أي كلمة مما تم استخدامه في النصوص المتعلقة بدخول النار والمكوث فيها، مع العلم أن اللسان العربي يحتوي على كلمة تدل على الاستمرار اللانهائي في اتجاه واحد فقط، وهي كلمة (سرمد) وهي مؤلفة من كلمتين : (سر+ مد) وكلاهما مع بعض يدلان على بدء الشيء وتكراره ومده واستمراره مجتمعاً ومندفعاً بقوة على ما هو عليه إلى ما لانهاية لذلك نقول:الله أزلي في وجوده، وسُرمدي في بقائه. ولم يتم استخدام كلمة (سرمد) لأهل النار أبداً، مع استخدامها في النص القرآني مُقيدة (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ۞قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفلاَ تُبْصِرُونَ) القصص 71-72).

وقد يقول قائل: ولم تُستخدم لأهل الجنة أيضاً. وأقول: لأن استمرار أهل الجنة في الجنة تحصيل حاصل، **فكما ذكرت سابقاً الثواب والعطاء دائم ومستمر**، فَمَن مِن الناس يظن أن جائزته التي حصل عليها مؤقتة؟ ولو سأل المانح لها عن حقه في امتلاكها أو استمرارها لضحك الناس منه!، بخلاف سؤال المعاقَب عن مدة انتهاء عقوبته ،فهو سؤال مشروع وحق له.

هل يمكن دراسة القرآن منفصلاً عن الواقع

لقد انتشر في الآونة الأخيرة فكرة دراسة القرآن دون الرجوع أو الاستعانة بأي شيء، من منطلق أن القرآن هو المصدر الإلهي التشريعي الوحيد، وبالتالي فعملية فهمه ودراسته كامنة في داخله غير محتاج لشيء من خارجه ، فيكفي للإنسان أن يدرس النص القرآني من خلال تتبع موضوعه في القرآن كله ، وكذلك دلالة المفردة القرآنية، يكفي أن تتبع استخدامها في النصوص القرآنية لتصل إلى المقصد منها ، وهذا يعني أن الإنسان يستطيع أن يأخذ النص القرآني، ويصعد به إلى قمة جبل ويقعد وحده ليدرسه دون الاستعانة بأي أمر خارج النص، وبناء على هذا الفهم القاصر، والانعزال، وفصل الخطاب عن محله من الواقع، وصل بعضهم إلى مفاهيم مغلوطة نحو :

1-{... أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ... }المائدة6

قال : الغائط مكان يقصده الإنسان لقضاء الحاجة (البول والبراز)، أما خروج الغازات، فهي عملية لا تحتاج إلى أن يذهب الإنسان إلى الغائط ، وبالتالي فخروج الريح من الدبر سواء عن عمد، أم غير عمد، لا يُنقض الوضوء، ولو حصل ذلك أثناء أداء الصلاة !.

وأضاف أحدهم بناءً على المقولة السابقة أن خروج المذي أيضاً لا ينقض الوضوء . كونه لا يحتاج إلى الخروج إلى الغائط والعودة منه !.

بينما ذهب آخر إلى منحى جديد في فهم النص فقال : بما أن القرآن صالح لكل زمان ، ونزل خطاباً للناس جميعاً فهو غير مُقيد بفهم المجتمعات السابقة، وإنما مقيد بدلالة اللسان العربي ، ودلالة كلمة (الغائط) تدل على المكان المنخفض المستور ، والمجيء من هذا المكان دلالة على رجوع الإنسان إلى بيته من عمله بعد بذل الجهد والتعب الذي ترتب عليه خروج العرق من جسمه، والتصاق الغبار والأوساخ بملابسه مثل عمل الفلاحة وما شابه ذلك، فهذا الإنسان ومن كان على شاكلته، يجب عليه الوضوء من باب النظافة وإزالة الأوساخ والغبار وأثر التعرق !. وبالتالي، لا علاقة لطرح الفضلات من الإنسان لأنه لا يذهب إلى الغائط لقضاء الحاجة .

2- {... وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ ...}المائدة6

قال أحدهم : إن دلالة كلمة (جنب) تدل على وجود الشيء بقربنا إلى درجة الاتصال مع تركه وعدم الالتفات إليه. ومن ذلك قوله تعالى: {... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }الحج30، ، بمعنى اتركوه جانباً ولا تلتفتوا إليه، ومنه {... وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ... }النساء36 ، وهو الذي يسكن في دار ملتصقاً بدارك .

فيكون النص المعني بالدراسة يدل على الإنسان الذي أدار جنبه إلى الحق إعراضاً وتكبراً فطلب الله ﷻ من هذا الإنسان الجنب، أن يُطهر نفسيته من الكبر والإعراض ويرجع مُقبلاً إلى الحق، ويتوضأ لأداء الصلاة . وكذلك دلالة قوله تعالى: {... وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ ...}النساء43 ، فدلالتها بناء على ما سبق تكون وجوب غسل الجسم لهذا الإنسان الذي أعرض وتكبر على الحق ، فالطهارة الأولى للنفس ، والغسل للجسم حتى يصير انسجام بين طهارة النفس، والجسم ، والرجوع إلى الحق طاهراً . ظاهراً وباطناً !.

وبالتالي فعملية خروج المني من الرجل عمداً أو احتلاماً لا تحتاج إلى غسل ، ومن باب أولى لا تحتاج إلى وضوء . أما قوله تعالى: {... أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء ...}النساء43، فهي لا تدل على عملية النكاح أو الدخول بالنساء ، وهذه الكلمات مستخدمة في النص القرآني ، مما يعني أن دلالة (لامستم) تدل على الإنسان الذي يتعمد التحرش بالنساء في الحياة الاجتماعية،

ويَقصد مزاحمتهم في أماكن تجمعهم حتى يلامسهم، فهذا الإنسان إذا أراد الصلاة فعليه أن يتوضأ ليطهر نفسه وجسمه مما ارتكب من إثم . وهؤلاء جميعاً إذا لم يجدوا ماءً فليتيمموا صعيداً طيباً !.

لذا؛ ينبغي إزالة مصطلح الحدث الأصغر والأكبر من الفقه الإسلامي، لأن الصلاة لا تحتاج إلاّ إلى الوضوء فقط {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }المائدة6 ، ولا ينقض الوضوء شيئاً سوى الكفر والمعاصي فهما يحتاجان إلى عملية الغسل . أما التبول والتبرز، وخروج المذي، والغازات، والاحتلام والجماع والنوم فليس من نواقض الوضوء !، **هكذا زعموا!**.

3- قال أحدهم في تفسير دلالة قوله تعالى : {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ }النساء3 ،إن ذكر كلمة : مثنى وثلاث ورباع تدل على استمرار وزيادة في العدد إلى آخره، وبالتالي لا يوجد تحديد لعملية تعداد الزواج، فالأمر على الإباحة المفتوحة حسب ما يشاء الرجل!.

4- وقال آخر : إن المحرمات في النكاح هن المذكورات في النص القرآني عيناً، وكل ما لم يذكر في النص فحكمه الإباحة . ونظر في نص التحريم فلم يجد ذكر تحريم نكاح خالة الزوجة أو عمتها جمعاً مع المرأة . فقال : بإباحة أن يجمع الرجل البنت وخالتها وعمتها في النكاح بوقت واحد . أي يمكن للإنسان أن يذهب خاطباً إلى أسرة، فيطلب للزواج منها؛ البنت، وخالتها، وعمتها، في وقت واحد !.

فقال أحدهم : بناء على ذلك لا أجد ذكر تحريم جدتي من طرف أبي أو أمي ، كما أني لا أجد ذكر تحريم بنت ابن أو ابنة أخي ......!، كما أني لا أجد تحريم بنت ابني أو ابنتي !، وكذلك لا أجد ذكر تحريم جدة زوجتي من طرف أبويها !.

5- وقال أحدهم : إن الله قد حرم أكل لحم الخنزير في النص، وسكت عن حكم تناول الشحم، أو الدهن، أو العظام مما يدل على الإباحة حسب قاعدة (**الأصل في الأشياء الإباحة إلا النص**)، والنص ذكر (لحم الخنزير)!، وبالتالي نستطيع أن نربي الخنازير من أجل دهونها وشحومها وعظامها، ونرمي لحمها للكلاب !.

6- وذكر أحدهم : إن حكم تناول السباع مثل الضباع والكلاب والقطط والأفاعي والنسور والصقور والعقاب ....، وأي حيوان آكل للحوم مباح أكله حسب القاعدة (الأصل في الأشياء الإباحة إلا النص)، ولا يوجد نص ذكر تحريم هؤلاء الحيوانات اللاحمة .

7- وقال آخر: إن الصلاة في القرآن هي عبارة عن ركعة واحدة مؤلفة من قيام وسجود، وتُؤدى ثلاث مرات فقط، في الفجر، وفي وسط النهار، وعند المغيب .

8- وقال آخر : لا يوجد صلاة خاصة في يوم الجمعة ، لأن الصلوات موجودة في كل الأيام ، وما يوم الجمعة إلا يوماً مثل غيره ، والتأكيد في القرآن أتى لأن يوم الجمعة هو يوم اجتماع الناس للتجارة، وكان ذلك يحصل قبل صلاة الفجر إلى وقت الضحى وبدء اشتداد الحر، فينشغل الناس عن صلاة الفجر في هذا اليوم، فنزل القرآن يحذر من الانشغال عن صلاة الفجر . ولو كان جمع الناس للتجارة يحصل في يوم آخر مثل الخميس مثلاً، لنزلت الآية بصيغة (من يوم الخميس). لذا؛ لا يوجد صلاة مرتبطة بيوم الجمعة التي يقيمها المسلمون من خطبة وصلاة ركعتين !.

9- وقال آخر : إن الحائض يجب أن تُصلي لعدم إسقاط الصلاة عنها في النص عندما ذكر إقامة الصلاة وشرط الطهارة !.

10- قال لي أحدهم ذات يوم : ألم يقل الله ﷻ: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ }فاطر24 !

قلت : بلى .

قال : ألم يقل الله عن الحيوانات أنهم أمم أمثالكم في قوله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ }الأنعام38.

قلت : بلى .

قال : إذن الحيوانات يوجد فيهم نذير من أنبياء ورسل ، وذلك من خلال تقاطع النصوص مع بعضها !.

فسكتُّ متعجباً ومذهولاً من طريقة الفهم !. ولكن سرعان ما قطع ذهولي.

وقال : هل تعلم من هو النبي كيكي !؟

قلت : لا. ومن هو النبي كيكي !؟

قال : ألم تسمع بقصة بين الناس يروونها عن نبي بُعث في أمة الدجاج اسمه كيكي؟

قلت : لا . لم أسمع به .

قال : هذه القصة صحيحة، لأنه لا يوجد دخان من دون نار ، وبما أن النص القرآني قد أثبت أن الحيوانات أمم أمثالنا؛ ما يدل على وجوب بعثة الأنبياء والرسل فيهم ، وهذا النبي كيكي أحدهم .

قلت: وهل يوجد أحكام خاصة لهم نزلت في القرآن !؟

قال: القرآن نزل لأمة البشر، وليس للحيوانات ، فأحكام الحيوانات نزلت على نبيهم، وقد بَلَّغها لهم بطريقته الخاصة .

قلت: إذن سلم على النبي كيكي نبي الدجاج ، وقل له : إن النبي بطوط، نبي البط يسلم عليك !.

هذه نماذج للفهم القاصر ، وهي ليست للحصر !. ولكم أن تتخيلوا لو أن هذه الطريقة تم اعتمادها في فهم القرآن كله إلى أين يمكن أن نصل ، وما هو شكل الدين فكراً، وفقهاً الذي سوف نخرج به !.

القرآن خطاب من حي إلى أحياء

أيها الأخوة الأعزاء !.

إن القرآن كتاب من رب العالمين الحي القيوم أنزله إلى الناس العقلاء، ليتعاملوا معه على أرض الواقع ، فربط خطابه بمحله من الخطاب، وأمر الناس أن يدرسوا ويتدبروا القرآن من خلال السير في الأرض قال تعالى:

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }العنكبوت20 ، وذلك لفهم كل النصوص المتعلقة ببدء خلق السموات والأرض والكائنات الحية ، والحياة الواعية المتمثلة بالإنسان. وقال: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ }النمل69 ، وذلك لفهم أحداث التاريخ ، واكتشاف القانون الذي يحكم حركة التاريخ، ومعرفة عواقب الإجرام والكذب في المجتمعات، إلى أين تصل بهم من هلاك ودمار ، وذلك حتى يقوم المجتمعات الصالحة باجتناب هذه الفيروسات الاجتماعية القاتلة ، ويُطيلوا أعمارهم، ويعيشوا بصحة وسعادة من خلال تحقيق العدل، والسلام، والحرية على قاعدة الحق .

وقال: {ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }البقرة199 ، وذلك في مناسك الحج، ولا يمكن أن يتم فهم النص دون النزول إلى الواقع الاجتماعي، ومعرفة من أين أفاض الناس حتى نفيض مثلهم .

وقد أمر الشارع حين يغيب العلم عنَّا، وينتفي عن شيء معين، أن نسأل أهل العلم والخبرة والاختصاص ، وهؤلاء من خارج النص القرآني، قال تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} النحل43 ، والخطاب حسب سياقه، المقصود به أهل العلم بالكتاب ، وفي عمومه يشمل أهل كل علم

حسب اختصاصه . وقال تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً }النساء83 ففهم القرآن ليس بهذه السهولة كما يُشيع بعض الباحثين في قنوات التلفزة، أنه يستطيع أي إنسان مهما تَدنى ثقافياً أن يتفاعل ويفهم القرآن !، فهذا الأمر غير صواب ، فالقرآن كتاب سهل الذكر الصوتي من حيث التلاوة، والحفظ كما هو مشاهد في الواقع ، ولكن الذكر التدبري يحتاج إلى مستوى ثقافي وعلمي معين ، وكل إنسان حسب مستواه وحسب أدواته المعرفية يتفاعل ويدرس القرآن .

لذا؛ لابد من تضافر الجهود في المجتمع الواحد من كافة الاختصاصات، واستخدام أرقى الأدوات المعرفية، لفهم ودراسة القرآن بما يتناسب مع مستواهم المعرفي ، والدراسة التي يصلون إليها هي دراسة زمكانية نسبية قابلة للتطور، والتراكم المعرفي حسب نظام السيرورة والصيرورة . (الثابت والمتغير).

أهم الأبعاد المعرفية للخطاب القرآني

1-بُعد علمي مرتبط بالتطور المعرفي والأدوات لا علاقة للمجتمع الأول به .

2- بُعد تاريخي مرتبط بدراسة التاريخ على ضوء النص القرآني .

3- بُعد تشريعي حدودي ثابت مقاصدي مرتبط بمفهوم الإنسانية والعالمية، فيه خاصية الحركة والتغير ليواكب المتغيرات .

4- بُعد لساني . لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وهذا يقتضي فهم القرآن حسب نظام اللسان العربي، والقرآن حجة على كتب النحو والمعاجم .

5- بُعد ثقافي اجتماعي مرتبط بثقافة المجتمع الأول الذي زامن نزول النص ، وهذا غير قابل للتطور ، وهو محصور في الأمور التعبدية وما يتعلق بها. مثل :

أ- عملية إفاضة الناس في الحج .

ب- مفهوم الصلاة وكيفية أدائها .

ت -مفهوم الغائط .

ث- مفهوم الجنابة .

ج- مفهوم المحيض .

ح- صلاة الجمعة .

وما شابه ذلك من مفاهيم ثقافية ثابتة اعتمد القرآن فيها على ثقافة المجتمع الأول.

لذا؛ لا يصح فصل هذه المفاهيم عن الواقع ، وفهمها من خلال النص القرآني بصورة منعزلة مبتورة عن محله من الخطاب .

و ينبغي أن نفرق بين مقولة : **إن القرآن هو المصدر التشريعي الإلهي الوحيد** ، وبين مقولة : **إن دراسة القرآن وفهمه لابد له من الاعتماد على العلم والتاريخ والنظرية الحدودية للتشريع، وثقافة المجتمع الأول، بالنسبة للمفاهيم التي لا تخضع لعامل التطور، نحو مفهوم الصلاة، وما يتعلق بها من شروط** ، ولا يمكن الاستغناء عن هذه الأبعاد في فهم القرآن ، فهاتان المسألتان منفصلتان عن بعضهما ، ولا يصح استخدام المقولة الأولى (انفراد القرآن بصفة التشريع الإلهي) على نفي مسألة الحاجة والضرورة لأشياء أخرى من خارج النص القرآني لدراسته وفهمه .

فالقرآن مرتبط بأبعاده، ولا يمكن فصله عنهم ، وأي عملية فصل بينهما ، تؤدي إلى تفريغ القرآن من محتواه وفاعليته ويصير خطاباً خُلَّبياً لا قيمة له !.

أيها الأخوة الباحثون في القرآن

انتبهوا إلى هذه المسألة، ولا تفصلوا في دراستكم بين الخطاب، ومحله من الواقع . فالواقع هو الذي يجسد المفاهيم والأفكار ، وهو الذي يُعطيها المصداقية وصفة الحياة ، فلا تسلبوا الفاعلية والحياة من الخطاب القرآني .

أيها الأخوة الكرام

لا تقعوا في عملية التعضية للنص القرآني . قال تعالى: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} الحجر91 ، والتعضية للنص القرآني تتمثل في صورتين :

الأولى : اقتطاع جملة من النص، أو اقتطاع نص من سياقه ومحاولة فهمه وحده دون المنظومة التي ينتمي إليها النص، نحو {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ }الماعون4 أو { فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء }النساء3.

الثانية : فصل الخطاب عن محله من الواقع ومحاولة دراسته وحده في الفراغ .

فهاتان الصورتان هما التعضية للنص القرآني .

رد على جميع الأخوة المعترضين على الدراسات القرآنية

أيها الأخوة الأكارم . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اعلموا أن الحوار بيننا هو حوار داخلي في الأسرة الواحدة لترميم وتحديث أسس البيت ، وما المسائل المطروحة للنقاش إلا نماذج لأهمية التحديث، وإعادة النظر في الأدوات المعرفية المستخدمة في فهم القرآن .

إن تعريف نقطة الدم منذ مائة عام، وليس منذ ألف عام !، يختلف عن التعريف الحالي المعاصر ، ومرد ذلك ليس لاختلاف الدم، وإنما لاختلاف الأدوات المعرفية التي يتم استخدامها في دراسة الشيء ، ما يدل على (**إن اختلاف الأدوات المعرفية يؤثر في اختلاف الأحكام والنتائج**). وهذا الأمر ينطبق على الجانب الديني المتغير، والذي يخضع للاحتمالات في فهمه

، والذي يخضع للتطور ، ولا يتناول الجانب الثابت نحو مسألة أحدية الله ﷻ، واليوم الآخر، والعمل الصالح، والوصايا العشرة ، وما أتى صريح وقطعي في دلالته على شيء معين .

لذا؛ ما ينبغي أن يكون الحوار بيننا قائماً على الاتهامات، والعمالة، والزندقة والتشبيه باليهود، والمجوس، ووصف الآخر بأنه يريد أن يهدم الدين من خلال رفض إعطاء مادة الحديث النبوي صفة الوحي الإلهي التشريعي المحفوظ !، وما شابه ذلك من المهاترات، والمزايدات التي لا قيمة لها من الناحية الحوارية والبرهانية . ولذلك؛ لم أرد على معظم ما تم الاعتراض عليه في مقالاتي، لأن الردود كانت انفعالية هجومية ساخرة، ولم يأت؛ ولا رد واحد فيه صفة العلم والحوار الجاد .

واعلموا أيها الأخوة الكرام ! إن الجميع يستطيع أن يشتم ويلعن ويشجب ويُكيل الاتهامات يميناً ويساراً .... ولكن القلة، وأقل من القلة الذين يستطيعون أن يدرسوا، ويناقشُوا بثقة، وقوة للوصول إلى الصواب، أو أقرب إليه .

أيها الأخوة

إن النص القرآني سجل حوار الملائكة ، وحوار إبليس ، وسجل شتائم اليهود للإله العظيم {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ... }المائدة64، ولم يُكمم الأفواه، ولم يمنع أحد من إبداء رأيه، بل استوعب الجميع، ورد عليهم ، وأظهر بطلان اعتراضهم، أو شبهاتهم التي يشهرونها في وجه أي دراسة ليعيقوها ويشككوا في مصداقيتها ، **التي منها إتباع الآباء، والهوى، والأكثرية، والقِدَم للشيء، والتعضية ...الخ .**

أيها الأخوة الأعزة

انزلوا من أبراجكم العاجية الوهمية، التي وضعتم أنفسكم فيها ، **وابدؤوا بعملية القراءة أنتم، تطبيقاً لأمر الرب {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ }العلق3 ، ولا تدعوا أحداً يقرأ عنكم، ولا ترددوا أقوال غيركم ، ولا تسمعوا بآذان آبائكم ، ولا تروا بأعينهم .... لكم عقول،**

وسمع، وبصر محاسبين عليهم {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }الإسراء36

أيها الأخوة والأصدقاء

من الملاحظ أن المقالات لا يتم قراءتها بصورة جيدة وواعية ، وإنما يتم النظر إلى نتائج الدراسة أو المقال، فإذا خالف ما هو مألوف في ثقافتنا الموروثة، تم عملية رفضه والهجوم عليه، دون وعي وإدراك لما نقول، أو نرفض . وهذه أمثلة على ذلك .

1- قال الأخ (س) : الأستاذ سامر قال: كل الآيات التي فيها (قل) ليست تشريعية ! .

والصواب : أني قلت بما معناه: إن الآيات التي تبدأ بكلمة (قل) لها وجهين :

الأول : آيات تعليمية،وهي الآيات التي لا تتعلق بأحكام شرعية مثل: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} الإخلاص1،{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }الناس1 .

الثاني : آيات تشريعية وهي التي تتعلق بالأحكام (افعل ولا تفعل) تناولت السلوك الإنساني . مثل {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } ، والمقال موجود (حكم غطاء رأس المرأة وشعرها) راجعوه بهدوء ووعي.

2-وقال السيد (س) : لماذا أغفلت الجزء الأخير من الآية {... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ...}النور31 ، والتي ليس بعدها رأي إلا ممن أراد لنفسه التهلكة.

أيها الأخوة؛ أنا بدأت مقالي بمقولة (هذا النص الوحيد في تشريع حدود لباس المرأة، وبيان أحكام ظهور زينتها بالنسبة للرجال)، ودرست المعني في موضوعنا وتركت ما ليس له علاقة مباشرة بموضوعنا، وذلك لوجود الدراسة كاملة في كتابي (المرأة – مفاهيم ينبغي أن تصحح)، فهذه الجملة القرآنية التي ذكرها السيد (س) هل يوجد فيها أحكام متعلقة بغطاء الرأس أو الشعر !!؟

لماذا يتم حشد أي قول أو جملة مقتطعة من سياقها في وجه الدراسات والحوار !؟ أما كان الأولى أن يَسأل عن تفسيرها عوضاً عن الهجوم الانفعالي دون حساب لخط الرجعة ، وكنا قد استجبنا له وأجبناه ، وأبدينا رأينا في فهم هذه الجملة .

أيها السيد (س) ! اعلم أن كلمة (ضرب) تدل على إيقاع شيء على شيء تترك فيه أثراً . انظر لضرب الرقاب، وضرب الأمثال، والضرب في الأرض سفراً. وضرب الخمار ...الخ، فالضرب لا تعني مجرد الحركة . فقولنا : الضرب بالأرجل . بمعنى القيام بحركة عنيفة وصدم الأرض . ويمكن أن تكون بمعنى الحركة بجهد بقصد تحصيل الرزق من خلال السفر في الأرض . ويمكن أن تكون بقيام الناس بضرب بعضهم بعضاً بالأرجل . فالنهي {... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ...} ، ليس المقصود به النهي عن الحركة، إذ لو كان هذا المعنى مقصوداً لاستخدم الشارع كلمة (ولا يُحركن، أو لا تَهزّوا.....) ولكن الشارع استخدم كلمة (يضربن) ودلالتها مختلفة عن الكلمات السابقة، لذا؛ ينبغي أن تعلم (**إن اختلاف المبنى يؤدي إلى اختلاف المعنى ضرورة ، وأي زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى**) .

والنهي الإلهي (لا يضربن ...) لا يدل على التغطية للزينة، لأن الزينة قد تغطت بالأوامر التي قبلها، وإنما أتى الذكر يتعلق بحال جديدة، وهي النهي عن فعل الضرب، والمقصد به حسب سياق النص عموماً هو السعي في الأرض ، بمعنى النشاط الاقتصادي والاجتماعي التي تمارسه المرأة في حياتها . فنهى الشارع المرأة عن ممارسة أي عمل يترتب عليه إعلام الرجال (وليس الرؤية) بصفة الزينة المغطاة بالأمر السابق، وذلك من خلال قيام المرأة بحركات معينة يترتب عليها إعلام الرجال تصوراً في الذهن لحجم الزينة، وحركتها تحت الغطاء، وهذا لا يكون إلا للأرداف والثديين، و لا علاقة للنص بالخلخال ولا بغيره .

3- أما الأخ المصري ! فلقد كتب تعليقاً على (الحج أشهر معلومات) وتساءل بصورة ساخرة غامزاً لامزاً !، لذلك لم أرد عليه !. فعاد وكتب تعليقاً آخر تحت مقالي (غطاء رأس المرأة) غاضباً ومُطالباً بالرد على تعليقه السابق، وبسرعة، أو الاعتذار، أو الاعتراف بعدم

وجود جواب !، وطلب مني آمراً ! أن لا أكتب أي مقال قبل أن أرد على الاستفسارات !،. وخفت أن يَمد يده من جهاز الكمبيوتر ويضربني !.

أخي العزيز المصري ! إن السؤال له آداب، فإن التزم السائل بها، حصل على الجواب . والمشكلة هي ذاتها تتكرر مع الأخوة المعارضين ، عدم قراءة المقال بصورة واعية بأعينهم ، وليس بأعين الآباء !، ولو فعل ذلك الأخ المصري، لما تساءل من أين أتيت بصفة الحج الأصغر .

اعلم يا أخي ! إن النص القرآني منزه عن الحشو، والعبث، وكل كلمة محسوبة، ولها معنى. فعندما ذكر الله {وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }التوبة3 ، دل ضرورة على وجود الحج الأَصغر. ولو لم يكن الحج الأصغر موجوداً لصارت كلمة (أكبر) عبثاً وحشواً لا قيمة لها في النص ، نحو قولنا : الثلج أبيض . فكلمة (أبيض) إذا كانت صواباً في الجملة، موافقة للواقع، فيعني ذلك أن هناك ثلج أسود، ولتحديد المقصد استخدمنا كلمة أبيض . أما إذا لم يكن في الواقع إلا الثلج بلون أبيض . صارت كلمة أبيض في الجملة حشواً وعبثاً ، ولا يستفيد السامع منها أي معنى، لوجوده في ذهنه سابقاً . وهكذا النص القرآني (يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ) ، هل علمت يا أخي من أين أتيت بصفة الحج الأصغر !؟ وهذا مذكور في المقال ذاته لم أزد عليه بشيء . لذلك لم أرد . ولك كامل الحرية والخيار في أن تقبل هذا الاستنباط، أو ترفضه، ولكن لا يحق لك أن تتهم بأن هذا الرأي هو من عندي وليس له أي برهان ! . وكان الأولى أن تناقشه، وتثبت لي بطلان استنباطي .

4- أما الأخ الذي علق على مقالي بعنوان (الرد على بيان)

فهو لا علاقة له بقراءة مقالي أبداً !، وإنما اكتفى بقراءة العنوان فقط، وسارع إلى فتوى الشيخ صالح بن فوزان، وسجلها كما هي، ظناً منه أنها كافية شافية ، وهي مليئة بالأخطاء الأصولية، والاستنباطية، وهذا شيء طبيعي لأن الشيخ فوزان نفسه ينقل عن غيره من الآباء.

أيها الأخوة الكرام ! ينبغي أن يتم ضبط المفاهيم والمصطلحات .

وهذه مجموعة أسئلة للنقاش والحوار .

1- كم وحي تشريعي دائم أنزل الله ﷻ؟

2- ما هو حبل الله المأمورين بالاعتصام به ؟

3- هل حبل الله متعدد أو هو واحد ؟

4- هل القرآن نص كامل أو ناقص يحتاج إلى غيره ليكمله ؟

5- هل القرآن نص مبين أو هو غامض وطلاسم ؟

6- ما وظيفة الرسول ؟

7- ما الفرق بين النبي والرسول ؟

8- هل يملك أحد سوى الله ﷻ صفة التحريم والتحليل ؟

9- هل مفهوم السنة يعني الحديث ؟

10- هل للرسول حديث خاص به ؟

11- هل فعل طاعة الرسول يعني أن هناك أموراً خارج النص القرآني لها صفة التشريع الإلهي الدائم المحفوظ ؟

12- ألا يوجد فرق بين فعل الطاعة للرسول المقترن بطاعة الله ، و فعل طاعة الرسول المنفصل عن فعل طاعة ﷻ؟

طاعة متصلة:

{قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ }آل عمران32

طاعة منفصلة:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }النساء59

13- هل يمكن أن نأخذ من القرآن نصاً واحداً ونفهمه وحده . مثل :

{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ }الماعون4 أو نقتطع جزءاً من نص{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى }النساء43

14- هل المعاجم اللغوية حُجة على النص القرآني !؟

15- هل الذكور مشرعين للإناث !؟

وهذه الأسئلة ليست للحصر، وهي بحاجة إلى أجوبة ودراسة . ومعظم أجوبة هذه الأسئلة قد أجبت عليها بفضل من الله ﷻ وتوفيقه في معظم مقالاتي وأهمها:

1- السنة غير الحديث . 2 – وفي كتابي (القرآن من الهجر إلى التفعيل).

فأدعو الأخوة إلى قراءتها بوعي وإدراك وهدوء، ومن ثم نقاشها، والبدء بالحوار النافع دون شتائم، أو إهانات، أو سخرية، وأوصاف، مثل المفتي، أو الشيخ الأعظم، وتظن نفسك عالماً، وما شابه ذلك من هراء، نحو عدم الجواب هروب، أو ضعف، أو عجز، .....الخ .

أيها الأخوة إن الدراسة لها مستوى معين ، فإذا لم يرتفع السؤال إلى المستوى المناسب فمن الطبيعي أن لا يكون له جواباً . لأنه من المستحيل أن نُعطي السائل منهجاً كاملاً في جواب على سؤاله !. وخاصة أنه لا يسأل طلباً للعلم أو الحقيقة.

ملاحظة : أيها الأخوة أرجو أن لا تسيئوا الظن بما كتبت ، ولا تبدؤوا بتحليل شخصيتي وتفكروا عني، وتشقوا قلبي، وتعرفوا مقصدي !.

فلنرتفع إلى عالم الأفكار، ونعيشها، ونتجنب عالم الأشخاص والأشياء .

وشكراً لكم على مُختلف الأطياف والرؤى ودمتم

اللسان العربي والقرآن[1]

سوف أعرض الموضوع بصورة عرض لمجموعة من الأفكار لسهولة فهمها :

1- من المعلوم أن وجود النبي وقومه سابق عن نزول القرآن، وكان هذا المجتمع له لساناً يتكلم ويتواصل من خلاله، ويعبر عن ثقافته ، وعندما نزل القرآن نزل متوجهاً ابتداءً لهم ، فكان يخاطبهم ويناقشهم، ويسألون ، فيتم جوابهم في الخطاب القرآني كما هو معلوم، وهذا يدل على أن القرآن نزل مستخدماً في خطابه أصوات (أبجدية) اللسان الذي كان المجتمع يستخدمه حينئذ في عملية التعقل، والتفكير، والتواصل فيما بينهم.

2-إن القرآن ليس له لساناً، فاللسان صفة للإنسان، والقرآن نزل للإنسان، وهذا يقتضي أن يتم استخدام اللسان (اللغة) ليحصل عملية التلقي للخطاب، والتفاعل معه من قبل الإنسان (بلسان عربي مبين).

3- إن الألسن (اللغات) بين الناس على وجهين لا ثالث لهما :

أ-اللسان العربي . ب- اللسان الأعجمي .

{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ } النحل(103).

4- إن استخدام اللسان العربي من قبل مجتمع أو إنسان، إنما هو استخدام نسبي، وقاصر، لا يخلو من أعجمية . بمعنى أن الإنسان لا يستطيع أن يحتوي في خطابه على الحقيقة ، ويعبر عنها بألفاظه ، فهو يقترب منها بصورة نسبية،تحكمه أدواته المعرفية، ومحدوديته العلمية،

[1] راجع كتابي (علمية اللسان العربي وعالميته) للتوسع في الموضوع.

والخَلقية، ومن هذا الوجه ظهر التفاوت في مستوى الخطاب بين الناس، رغم استخدامهم للسان واحد، ولا يمكن رفع صفة الأعجمية عنهم في الاستخدام مع تفاوتها بينهم.

5- نزل القرآن من جهة غير محدودة العلم، فكان من الطبيعي أن ترتفع صفة العجمة عن استخدامه للسان العربي، فصار الخطاب القرآني يتمتع بصفة مميزة لا يشاركه فيها أي خطاب، والخطاب القرآني هو الوحيد الذي يُمثل اللسان العربي المبين من حيث (ثبات المبنى والمفهوم وحركة المحتوى) بصورة تطابق كل مستوى معرفي للمجتمع الإنساني مع احتفاظ القرآن بحق السبق والاستمرار ؛ وقصور ونسبية المعرفة الإنسانية المتراكمة والمتجهة نحو الأعلى بحركة حنيفية

6- إن نشأة اللسان العربي وولادته كان بصورة فطرية من خلال تفاعل الإنسان الواعي، وتواصله مع البيئة والإنسان، وولادة اللسان العربي مثله مثل ولادة أي علم آخر، ليس للإنسان إلا عملية اكتشافه، ومعرفة القانون الذي يحكمه، ومن ثم استخدامه؛ فمن قال : إن اللسان العربي وحي من الله بهذا المعنى الفطري، فقوله صواب. أما إن قصد بالحرفية للألفاظ فقوله خطأ . ومن قال: إن اللسان العربي وضعي من صنع الإنسان ، وقصد بذلك المعنى الفطري مثله مثل أي علم، فقوله صواب، وإن قصد بقوله الاعتباطية والاصطلاح فقوله خطأ .

7- إن النحو والقواعد التي وُضعت للسان العربي، وُضعت بصورة متأخرة، ولاحقة عن ميلاد، ونشأة اللسان العربي ، وتم وَضعها بناء على عملية سبر وتقسيم للخطاب الإنساني العربي، الذي لا يخلو من عجمة ضرورة لازمة له، وترتب على ذلك قصور وعجمة في النحو والقواعد بصورة واضحة ، والمشكلة الأخطر أنهم قاموا بعملية دراسة الخطاب القرآني ذو اللسان العربي الخالص بواسطة هذه القواعد القاصرة ، فكان الأولى بهم وضع النحو من خلال سبر وتقسيم الخطاب القرآني ليصلوا إلى قواعد عربية خالصة، تصير إماماً ومنهجاً لهم في دراسة القرآن أولاً، وخطابهم ثانياً .

لذا، لابد من إعادة دراسة النحو والقواعد حسب الخطاب القرآني، والصواب ما يقرُّه القرآن ، والخطأ الذي يخالف القرآن.

8- نزول القرآن بلسان عربي، لا يعني أن الله أخضع نفسه لأفعال الناس القاصرة والأعجمية ، وإنما ذلك مثل استخدام القرآن لعلم الرياضيات والفيزياء وغيرهما من العلوم ، لأن هذه العلوم ليست من وضع الناس، وإنما من اكتشافهم لها في الواقع، فهي من أفعال الله، وكذلك اللسان العربي فهو من حيث الأصل فعل من أفعال الله الكامنة في الوجود ، أظهره الإنسان العربي بتفاعله مع الواقع مثل إظهارِ أي علم إلى حيز الوجود ، فكما يستخدم الإنسان العلوم بصورة نسبية وأعجمية ،كذلك يستخدم اللسان العربي بصورة نسبية وأعجمية، بخلاف الله ﷻ فهو يستخدم العلوم واللسان العربي بصورة مطلقة.

9- وهذه النقطة مبنية على ما سبق من نقاط ، وهي وجوب ضرورة فهم الكون والقرآن معاً، بعلاقة جدلية يُصدق بعضهما الآخر؛ إذ يمكن أن يصل الإنسان من خلال الكون إلى القرآن ، ويمكن أن يصل من خلال القرآن إلى الكون ، رغم أن الأصل في الدراسة هو الكون، حيث أنه يتمتع بوجود موضوعي قابل للدراسة والتحليل، **أما دراسة الخطاب القرآني بصورة منفصلة عن الكون فهي دراسة قاصرة، واحتمال الضلال فيه أكبر من الهدى والصواب، لأن الخطاب القرآني مرتبط بمحله من الواقع ؛ إذ لا يمكن تصور دلالة دون إسقاط الدال على المدلول عليه، وإذا حصل فصل أو استبعاد بين الدال والمدلول عليه، سوف نفتح باباً من الهراء والتصورات الهزلية ،كالتي نراها في العقلية التراثية الشعبية الملتصقة بالخطاب القرآني .**

10- إن الخطاب القرآني كله قائم على اللسان العربي المبين ، ولا يوجد فيه أي كلمة أو لفظ أعجمي، كما يعتقد بعض المدارس الإسلامية للأسف الشديد .

وهذا يعني أن الأحرف الأولى التي تأتي في بداية السور هي مقاطع صوتية عربية فطرية، منها تألّف الكلام في بُنيته ونشأته الأولى، مع احتمال وجود دلالات أخرى لها، تظهر مع تطور العلم والمعرفة.

11- إن اللسان العربي هو نظام علمي يضبط استخدام الألفاظ والكلمات بصورة علمية منسجمة مع الكون ،مما يعني أن كل كلمة لها دلالة انبثقت من علاقة الدال والمدلول عليه، وبما أن المدلول عليه يتمتع بهوية منفردة عن غيره، أتت الكلمات التي تدل على ذلك ،مما أدى إلى ظهور قاعدة (إذا اختلف المبنى اختلف المعنى) وظهر ما يسمى (مفهوم الكلمة) وهذا المفهوم هو تصور قائم بذاته يتم استخدامه في الواقع بكل صورة تحقق بها هذا المفهوم، وتم ظهور قاعدة ***(مفهوم الكلمة واحد، وصورها أو استخدامها متعددة بصورة نسبية مرتبطة بالمستوى المعرفي للإنسان)***.

12- نزول القرآن بلسان عربي ليس محاباة لقوم على حساب الآخرين، لأن حركة وتوجه القرآن علمية، وإنسانية، وعالمية ، ورَبَط خطابه بالكون، فعندما أراد الله أن يُنزل القرآن بصفته الإكمالية، والعلمية، كان لابد من لسان يتصف بالعلمية من حيث النشأة والولادة، وما زال يحافظ على أصالته، وهذا غير متحقق إلا باللسان العربي، فتم نزول القرآن بهذا اللسان ضرورة علمية ليتم الانسجام، والتوليف والاستمرار بين النص القرآني والكون، ومن الطبيعي جداً أن يحمل هذا الخطاب قوم معينين يكونون بمثابة الرسول للمجتمعات الأخرى.

لذا، ينبغي التفريق بين اللسان العربي، والقومية العربية ؛ بمعنى آخر التفريق بين التعامل مع القرآن، والتعامل مع ثقافة القومية العربية .

ومن هذا الوجه أطالب بتحرير القرآن من هيمنة ثقافة القومية عليه، وإرجاع حركته العلمية والإنسانية، ليصير عالمياً، ويصير اللسان العربي علمياً.

13- إن القرآن له أبعاد في عملية فهمه ودراسته، وهذه الأبعاد أتت من وجودها في الواقع، فأبعاد الواقع هي ذاتها أبعاد القرآن ، لنرى ذلك عملياً :

1- الواقع قائم على بُعد علمي (سنن وقوانين)، والقرآن أتى بذلك .

2- الواقع قائم على نظام الثابت والمتغير، فأتى القرآن مستخدماً هذا النظام ليواكب حركة الواقع (السيرورة والصيرورة).

3- الواقع قائم على بُعد غيبي ، فنحن نؤمن ونتعامل مع عَالَمٍ لا مرئي، وكذلك القرآن أتى بمفاهيم غيبية أسَّسَها على عَالم الشهادة.

4- الواقع قائم على تاريخ إنساني بدأ واستمر، وكذلك القرآن أتى بمحاور ومرتكزات تاريخ الإنسان.

5- الواقع قائم على ثقافات مختلفة، فأتى الخطاب القرآني وحدد مجموعة من مفاهيم ثقافية وأعطاها صفة الثبات .

6-الواقع قائم على أنظمة اجتماعية ، فأتى القرآن بنظام وحدود كلية للمجتمعات الإنسانية .

7- الواقع قائم على وجود ألسنة مختلفة للناس، فنزل القرآن بلسان واحد يتحقق فيه صفة العلمية والإنسانية، وهو اللسان العربي .

8-الواقع قائم على بُعد موضوعي للوجود، فأتى القرآن بهذا البُعد الموضوعي للوجود .

9- الواقع قائم على بُعد المنظومة الكونية التي تحتوي منظومات ذات علاقة جدلية فيما بينها ، فأتى القرآن منظومة عامة يحتوي على منظومات، وكل منظومة تحتوي على مجموعات، وبالتالي لا يمكن فهم القرآن إلا من خلال الرؤية المنظومية له، ابتداء من المنظومة العامة، وانتهاء بالمجموعة والجزء منها، والعكس خطأ .

لذا من الخطأ الفاحش أن يتم استبعاد أو فصل أي بُعد من أبعاد القرآن أثناء دراسته وفهمه[1]، وإن حصل ذلك نكون قد وقعنا في عملية التعضية للنص القرآني، وسوف نصل إلى تشكيل مفاهيم مخلخلة، ومتطرفة، ومصابة بمرض سرطان فكري يلتهم المفاهيم الأخرى للقرآن، ويقضي عليها، وبذلك يتم القضاء على أحد أبعاد القرآن ، وإن حصل ذلك في الواقع يتم انهيار البناء الحقيقي كله، لأنه لا يتجزأ، فهو منظومة واحدة ذات أبعاد متعددة، مثله مثل المنظومة الكونية، وعلاقتها بالمجرات، وعلاقة المجرة مع مجموعتها الشمسية .

[1] وبسبب التعضية للنصوص القرآنية، والتعامل مع النص دون منظومته، وفصله عن المنظومة الكونية والإنسانية ، التي وقع المسلمون فيها ، ظهر الصحفي اليهودي وقام بدراسة لمفهوم القتال والجهاد في الإسلام، ومفهوم الإرهاب، واعتمد على الموروث الثقافي ، والمفاهيم التي يحملها المسلمون على أرض الواقع ، فوصل إلى أن العنف والإرهاب موجود في أصل القرآن، وبالتالي فإله المسلمين هو الإرهابي ، ورسولهم ؛ كَرَّس هذا الإرهاب ومارسه على أرض الواقع!، ونشر كتابه تحت عنوان (نبي الخراب)!.

قراءة نقدية لكتاب (محنتي مع القرآن ومع الله)
للدكتور عباس عبد النور[1] .

إن الملاحظ من بداية الكتاب أن المؤلف مريض نفسياً، ومُصاب بالحزن والاكتئاب، والنظرة السوداوية، وهذا من خلال كلام المؤلف عن نفسه، من كونه قد أجرى عمليه جراحية لعينيه ، وعملية جراحية لقدمه سببت له عاهة دائمة (العرج)، مع تَرَقُّق في عظامه، وتعبه من السير ، وإصابته بأزمات مادية شديدة إلى درجة أنه هّمَّ أن يبيع منزله ، وما شابه ذلك من مصائب (كان الله في عونه)، التي لا يخلو منها إنسان في الوطن العربي على الغالب، وبدأ بعملية الدعاء والابتهال إلى الله، يُذكِّره بعبادته لمدة أعوام طويلة دون أن يطلب منه شيئاً، والآن حان دورك يا الله !، لترد لي جزاء عبادتي، وتفي بوعدك ، وتقف بجانبي، وتفرج عني كربي وهمي ، وكرر الدعاء ، وأقام الليالي بالصلاة والابتهال ، فلم يتم حل مشكلته المادية، وتأزمت معه الأمور أكثر، فسارع إلى إنكار وجود الخالق، لأنه لم يستجب دعاءه، ويفرج عنه مصيبته .

وللانتقام من الخالق، قرر في نفسه الطعن في كتابه الذي سهر الليالي وهو يتلوه ويقرأه، فدخل إلى النص القرآني وقلبه مليء بالحقد عليه، فبدأ يُثير الإشكاليات من هنا؛ وهناك، مستغلاً التراث وضحالته ، فيأتي بفهم الآباء للنص القرآني وكأنه وحي نزل مع النص ذاته ،

---

[1] الدكتور (عباس عبد النور) ولد في دمنهور (قرية في مصر) سنة 1927.التحق بكلية أصول الدين في الأزهر، وبقي فيها ثلاث سنوات، وعزم على إتمام الرابعة في جامعة فؤاد الأول كلية الآداب قسم الفلسفة ، وسافر إلى باريس والتحق بجامعة السوربون ليحضر دكتوراه في فلسفة العلم ، وعندما حصل عليها رجع إلى بلده ، وصار إماماً وخطيباً ، وواظب على التعليم الجامعي وتأليف الكتب الفلسفية العلمية، ثم تعرض لصدمات نفسية ومادية شديدة دفعته لمراجعة أفكاره حول معتقداته الدينية، والفلسفية في أواخر عمره (80 سنة)، وخرج بنتيجة مفادها أن مفهوم الله مفهوم من صنع الذهن الإنساني لا وجود له على أرض الواقع ، وتباعاً لذلك نقض النص القرآني، واتهمه بالقصور في البلاغة، ومخالفته للحقائق العلمية، وتناقض مواضيعه ، واختلافها مع بعضها ، وحصول التحريف لنصه ، وغير ذلك مما قرره في كتابه المشؤوم !.

ويعده صواباً ، ويبدأ بنقده، وطعنه، والسخرية منه ، ثم يسحب ذلك الفهم الساذج إلى النص القرآني ذاته، فيحكم عليه بالبطلان والتحريف، وهكذا؛ **تابع رحلته من الإيمان إلى الشك !**، ينقل عدواه إلى أمثاله ممن في قلوبهم مرض .

وسوف أناقش مجمل دعواه بعقل منفتح ، وبصورة مختصرة جداً اعتماداً على ثقافة القارئ .

مفهوم الإيمان

– **أول مقولة** تُظهر تَخبطُه وضلاله هي قوله : (**رحلتي من الإيمان إلى الشك**) .

فهذه المقولة باطلة على أرض الواقع ، وساذجة وسطحية ، فهي معكوسة المراحل، وهي مثل مقولة : (**رحلتي من العلم إلى الجهل)!** فهل يمكن أن يصل الإنسان إلى حقائق الأمور أو صوابها بطريقة منهجية علمية ثم يقوم بإنكار ذلك ويعود إلى حالة الجهل[1] **!؟** متى كان الجهل هو المرحلة العُليا للعلم ؟

أيها الأخوة

إن الإيمان ليس مجرد تصديق وإتباع فقط، إنه تصديق قام عليه البرهان من الواقع ونتج عنه الإتباع ، فإن انتفى الإتباع؛ انتفى الإيمان عن حالة الإنسان ، وصار اسمه تصديقاً فقط، ويكون محله في الذهن معلومات ليس أكثر ، ولسان حال الإنسان (العمل) هو الكفر الذي يدل على تغطية الحقيقة، سواء بإنكارها قولاً ، أم ممارسة عملية خلاف الحق في الواقع . **فمفهوم الإيمان قائم في أساسه على العلم أولاً ، والإتباع ثانياً ، لا يفترقان،** فكيف يمكن لإنسان صادق مع نفسه يريد الحقيقة أن ينتقل من الإيمان إلى الشك **!؟**

فهو أمام أحد احتمالين :

أ– **لم يكن في مرحلة الإيمان أصلاً** ، ولم يصل إليها علماً ودراسة وإتباعاً ، وإنما كان في مرحلة التقليد والحفظ للمتون ، والضياع والضلال، يظن أن ذلك هو الإيمان !، وإنما هو

---

[1] نقصد بكلمة الجهل نفي المعرفة أو العلم ، ولا نقصد دلالتها اللسانية القرآنية؛ التي تدل على السلوك المخالف للحق والصلاح.

التقليد والعمى والاعتقاد بأفكار دون برهان ، وهذا دلالة مفهوم العقيدة ، وليس مفهوم الإيمان ، لذا؛ لم يتم استخدام كلمة (عقيدة) في النص القرآني لانتفاء عنها دلالة العلم والبرهان . والفرق بينهما هو التالي :

–**الإيمان** : هو التصديق المطابق للواقع مع قيام البرهان على ذلك، حيث يصير مفاهيماً يُكَيّف الإنسان سلوكه بحسبه إتباعاً والتزاماً، وينتج عنه الأمن والسلام.

–**العقيدة** : هي التصديق بمجموعة من الأفكار دون البرهنة عليها، ولا يُشترط مطابقتها للواقع ، ولا يُشترط أن ينتج عنها عمل وإتباع . فهي ولاء فكري يقوم على العصبية والمصلحة ، ودائماً ينتج عنها الحروب والدماء .

ب – وصل عباس عبد النور إلى الإيمان مثله مثل أئمة الكفر والضلال في تاريخ الإنسانية، ونَكَص على عَقبيه، مثل نكوص إبليس، واختار العمى على الهدى، والكفر على الإيمان، والجهل على العلم .

وإن كان ذلك الاحتمال هو الصواب، فكان ينبغي أن يُسمي الأمور على حقيقتها ويقول: (**نكوصي من الإيمان إلى الكفر**)، **مثل مقولة (نكوصي من العلم إلى الجهل)**.

لأن مقولته الأولى (رحلتي من الإيمان إلى الشك)، يوهم القارئ أنه انتقل من الأدنى إلى الأعلى، وارتقى بفكره !، وهذه مغالطة وتدليس في صياغة الكلام ، وإخفاء الحقيقة !، متى كان الكفر، أو الشك، أو الجهل حالة راقية بالنسبة للإيمان، واليقين والعلم !؟.

– **المسألة الثانية** : سؤال يفرض ذاته، ألا وهو : لماذا تناول النص القرآني نقضاً وطعناً يريد أن يُثبت للقارئ أنه ليس من كلام الخالق ، وبالتالي ينتفي عنه الإعجاز والبلاغة والقداسة، إذا كان عباس منذ البداية قد أنكر وجود الخالق وتدبيره لخلقه !؟ فنفي وجود الخالق كافٍ لبطلان قداسة القرآن !.

ولكن نشاهده قد سَوَّد الصفحات يتتبع الآيات التي أشكل فهمها عليه (وهذا شيء طبيعي لمن هو في مرحلة التقليد والعمى)، وصار يضرب الآيات ببعضها ، مثله مثل طفل صغير

دخل إلى غرفة مُعدات تقنية ليلعب فيها، وصار يضرب المعدات ببعضها لا يعلم وظيفة كل واحدة منها على حدة ، لأن الأدوات تتكامل في وظيفتها أثناء استخدامها على أرض الواقع.

– **المسألة الثالثة** : قوله : (إن أدلة إثبات وجود الله تتساوى مع أدلة نفيه ، وكلما أتيتَ بدليل إثبات أُؤتيك بدليل نفي له) .

وهذا الكلام مغالطة كبيرة ما كان ينبغي لدكتور فلسفة أن يقع فيها ! .

نفي النفي إثبات

أخي القارئ

انظر إلى هذه القواعد العقلية المنطقية التي هي محل تسليم من العقلاء بناء على ثبوتها في الواقع .

1- النفي لا يحتاج إلى برهان ، وإنما الإثبات يحتاج إلى برهان، ومن ذلك صاغ الحقوقيون قاعدة : (البَيّنة على المِدَّعي) أو (إن كنت مُدَّعياً فالبينة) .

2- إن إثبات أمر ببرهان هو في حد ذاته يتضمن نفي النفي ضرورة ، وبالتالي لا يصح أن يأتي إنسان؛ ويقول: أنا سوف آتيك ببرهان على نفي ما تم إثباته ببرهان. فهذا كلام هراء، وهرطقة، وسفسطة، لا يَعتد به الفلاسفة أو العقلاء ، ولا يُقيمون له وزناً.

انظر مثلاً لجملة : الشمس ساطعة . فهي جملة خبرية، تُثبت سطوع الشمس من خلال الحس بالواقع المشاهد، أو المحسوس، وبذلك الإثبات المرافق للبرهان الحسي؛ تم عملية نفي النفي لعملية سطوع الشمس، فكيف يمكن أن يأتي عباس ببرهان على نفي سطوع الشمس؟

3- الأمور البديهية لا يصح نقاشها ، أو ضياع الوقت على البرهنة عليها .

نحو، نصف الأربعة اثنين ، أو يملك الإنسان وعياً وإدراكاً لما حوله . وقصدت بذلك مسألة نقاش وجود الفاعل (الخالق) ، هل يقبل أحدكم (وهو فعل) أن يُناقش مسألة وجود فاعل له !؟ انظر على سبيل المثال : جملة (قرأ زيد الدرس) ، وتصور أن فِعل (قرأ) صار عنده

وعياً وإدراكاً ، وذهب إلى فعل (كتب) مثلاً ، وقال له : أنا أشك بوجود زيد وأنه فاعل **!؟** ماذا يمكن أن يرد عليه فعل (كتب) ؟ وهذا مفهوم قوله تعالى : {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} إبراهيم(10)، **أفي الفاعل تَشُك أيها الفعل القاصر !؟ إن وجود الفاعل أَثْبَت وأشَد وضوحاً من وجود الفعل ، لاسيما أن الفاعل سابق في وجوده عن الفعل ضرورة !** .

ومع ذلك، شَكّ الفعلُ عباس بوجود فاعل له **!** إن هذا لشيء عجاب !.

– **المسألة الرابعة** : إن الموقف الذي اتخذه عباس كان نتيجة ظروفه النفسية والمادية السيئة ، والسؤال الذي يفرض ذاته هو : هل كان من الممكن أن يبقى عباس على ما هو عليه من أفكار لو تم تغيير ظروفه السيئة **!؟**

فأنا أظن أن هناك جهة ما، استغلت ظروف عباس السيئة ، وساومته على مبدئه ، وعرضت حلاً مادياً لكل مشكلاته، بشرط أن يقوم بكتابة كتاب يدفع ضعاف الناس إلى الإلحاد، والتشكيك بدين الإسلام ، وهذا ليس بتأثير نظرية المؤامرة ، فمن الخطأ أن نرفض تحليل الأمور، ومن يقف خلفها بحجة نظرية المؤامرة ، وإن لم يكن هذا الموقف من عباس فقد حكم على نفسه، وشهادته بالتفاهة والهراء، وأثبت للعالم كله **أن الشهادة لا تدل على العقل أو العلم** ، وإن كان عالماً وأخفى علمه وكتب خلافه، يكون أضل من الأنعام **!** فمن أين ما نظرت لموقف عباس تجده محصوراً بين العمالة المأجورة ، وبين أضل من الأنعام !. ومن هذا الوجه يتم تسويق كتابه على أنه أخطر، أو أعظم كتاب إلحاد في تاريخ الإلحاد العفن الميت !، وبعد الاطلاع عليه ، وقراءته بوعي تَبَيّن زيف هذا الإدعاء، فهو لم يصل في بطلانه وافترائه إلى مستوى الباطل ! إلى درجة أني عرضت شبهاته المتعلقة بإثبات وجود الله؛ على ابنتي، التي لم تتجاوز أربعة عشر عاماً، فلم تتمالك نفسها من الضحك على هذا المستوى من الانحطاط في تحليل واستنتاج الأفكار ، وقالت : هذا رجل عنده عقدة الفقر والنقص، **وينطبق عليه مقولة الأغنية الخليجية (اللي ما يطول العنب حامض عنه يقول)**!.

- أما مسألة قصور فهمه للآيات ، فسوف أستعرض بعض منها لأبين للقارئ كيف أن عباس لم يُعمل عقله أبداً ، وإنما اكتفى بتلاوة التراث ، وبناء عليه حكم على النص القرآني ، وكان الأجدر به أن يدرس القرآن ذاته ، ولكن أنّى له أن يفهمه إذا دخل إليه ابتداء وهو يعتقد بكذبه وبطلانه .

مفهوم الظن

1- قوله (إن دلالة كلمة (الظن) تأتي في القرآن بصورة متناقضة ومختلفة ، فتارة بمعنى الشك ، وتارة بمعنى اليقين). وكذلك قال بالنسبة لدلالة كلمة (المحصنات) .

أقول له، ولأمثاله: إنّ جهلكم باللسان العربي هو الذي أوصلكم إلى هذه الإشكاليات . فالكلمة في اللسان العربي لها دلالة أو مفهوماً تجريدياً واحداً فقط ، ولكن حين استخدامها على أرض الواقع تلبس صورة الاستخدام وترتبط به ، ويتم فهمهما بناء على ذلك دون إلغاء لمفهومها اللساني .

أ-**كلمة (ظن) تدل على ميل وشعور في داخل الإنسان ، فإن كان هذا الشعور ضعيفاً، فيظهر بصورة الشك ، وإن زاد ورجح، فيظهر بصورة الظن الغالب ، وإن تم البرهنة عليه صار يقيناً .**

وقد تم استخدام كلمة (الظن) في القرآن بالصور الثلاثة .

1- **ظن شك{وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ }** الأنعام (116)

2- **ظن غالب {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنّ كَثِيراً مّنَ الْخُلَطَآءِ لَيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ إِلاّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مّا هُمْ وَظَنّ دَاوُودُ أَنّمَا فَتَنّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبّهُ وَخَرّ رَاكِعاً وَأَنَابَ }ص**(24)

3- ظن يقين {قَالَ الّذِينَ يَظُنّونَ أَنّهُمْ مُلاَقُواْ اللّهِ كَم مّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٍ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ} البقرة(249)

مفهوم الإحصان

ب– كلمة (حصن) تدل على المنعة والحماية والستر ، ومن ذلك الوجه تم إطلاق كلمة (الحصن) على البناء الذي يتم بناءه لحماية المدينة .

وظهرت كلمة (مُحصنة) في القرآن متعلقة بالمرأة على عدة صور :

1- **إحصان المرأة من خلال انتمائها إلى أسرة ومجتمع** تكون لها بمثابة الحصن . {وَمَن لّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ }النساء(25)

2- **إحصان المرأة من خلال انتمائها إلى زوج** يكون لها بمثابة الحصن .

{حُرّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ... ۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النّسَآءِ إِلاّ مَا مَلَكْتَ أَيْمَانُكُمْ }النساء (23-24)

3- **إحصان المرأة من خلال التزامها بالقيم والأخلاق والعفة** حيث تكون لها بمثابة الحصن

{وَالّتِيَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ آيَةً لّلْعَالَمِينَ} الأنبياء (91)

ت- قال عباس الملحد : إن القرآن يهبط في صياغته البلاغية أحياناً إلى مستوى ما ينبغي أن يصل إليه عامة الناس . وضرب مثلاً على ذلك قوله تعالى :

{ وَسِيقَ الّذِينَ كَفَرُوَاْ إِلَىَ جَهَنّمَ زُمَراً } الزمر (71)

{ وَسِيقَ الّذِينَ اتّقَوْاْ رَبّهُمْ إِلَى الْجَنّةِ زُمَراً }الزمر(73)

وقال : إن دلالة كلمة (سيق) كما ذكر المفسرون في كتبهم أنها تدل على السوق بعنف وشدة لإذلال الكفار ، فهي عملية سوق إجبارية وقهرية و إذلالية ، فكيف يصف الله المؤمنين بعملية السوق هذه ، ويُشَبهم بسوق الكفار أو سوق الأنعام ؟ . ألا يدل ذلك على هبوط بلاغة النص القرآني، وأنه ليس من عند الله (إن كان يوجد إله) .

ونقول لعباس الملحد : إن كلمة (سوق) تدل على إتيان شيء بصورة غير محددة ممتدة بانضمام منتهية بوقف أو قطع شديد. ومن هذا الوجه سُمي المكان الذي تجُلَب إليه البضائع من كل حدب وصوب؛ سوقاً .

فدلالة كلمة (سوق) لا علاقة لها بذم أو مدح ، وإنما تُستخدم على كل ما يتم سوقه دون إرادة منه أو معرفة . ومن ذلك الوجه نستخدم كلمة (السوق) لبدء عملية طلب الشباب إلى الجيش بصورة إجبارية ، ونستخدمها على سوق السيارة والبهائم .

فعملية سوق الكفار إلى جهنم؛ تحقق فيها صفة عدم الإرادة، ونفي الرضا عنهم، لأنهم عرفوا أنهم يساقون إلى العذاب والألم والشقاء، فتم قهرهم وإذلالهم، أما المؤمنون فيُساقون إلى الجنة بتكريم وتعظيم مع ظهور الرضا والسرور في أنفسهم، لمعرفتهم بما ينتظرهم من نعيم وسعادة ، **ونفي الإرادة لا يعني بالضرورة القهر والإجبار ، فهذا متعلق بالشيء الذي يُساق إليه الإنسان ، فإن كان يُساق إلى ما يَكره، وفيه هلاكه، يترتب على ذلك السوق قهر الإرادة والإذلال له، وإن كان يُساق إلى ما يحب ويرضى، فلا يترتب على ذلك قهر إرادته ، بل الرضا والسرور بعملية السوق** . وعدم استخدام هذه الكلمة (السوق) في ثقافة المجتمع إلا مرتبطة بقهر الإرادة والإذلال عامة، نحو سوق البهائم ، فهذا ليس بحجة على اللسان العربي ، لأن القرآن نزل باللسان العربي، ولم ينزل بما تعارف عليه الناس من مصطلحات أو استخدامات .

وبذلك يظهر لنا صواب استخدام كلمة (سيق) للكفار إلى جهنم ، وللمؤمنين إلى الجنة ، فهي تُصَوّر الحدث على حقيقته تماماً من حيث عدم صدور القرار منهم ، وعدم معرفتهم بكيفية الذهاب إلى مصيرهم، وترتب على سَوق عملية الكفار؛ القهر والإذلال لهم ، لأنهم يساقون إلى ما يكرهون ، بينما المؤمنون يُساقون إلى ما يحبون ، فيسيرون وهم مسرورون مُكَرَّمون ظاهر عليهم الرضا والانشراح .

مفهوم القسط في اليتامى

ث – وتناول عباس هذا؛ قوله تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَىَ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مّنَ النّسَآءِ مَثْنَىَ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىَ أَلاّ تَعُولُواْ } النساء (3) ، وسأل سؤالاً وَجَّهَه إلى السادة المفسرين: ما هي العلاقة المنطقية

بين فعل الشرط { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَىَ }، مع جواب الشرط { فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مّنَ النّسَآءِ} ؟ وظن أنه ألقم المفسرين حجراً ، و بنى نتيجته الوهمية نتيجة وهمه الأول، فقال : لابد من وجود جملة بين فعل الشرط وجوابه تُبين هذه العلاقة ، وهذه الجملة قد تم نسيانها أو نسخها أو تحريفها، مما يؤكد تحريف النص القرآني، وهو ليس من عند الله.(إن كان يوجد إلهاً أصلاً) .

ولقد تناولت تفسير هذا النص في مقالات سابقة ، وسأختصره هنا :

إن كلمة (قسط) لا تدل على عدل أو ظلم ، وإنما تدل على عملية القسمة والتجزئة . وكلمة (يتامى) تُطلق على الأطفال (ذكوراً أو إناثاً) الذين فقدوا والدهم وهم دون سن البلوغ ، وليسوا هم محل النكاح لقصورهم، وكلمة (اليتامى) هي صفة حال لازمة ممتدة، بخلاف دلالة كلمة(أيتام) فإنها لا تفيد اللزوم والامتداد، ولم يتم استخدامها في النص القرآني .

والنص يتكلم عن العناية باليتامى وأموالهم حسب سياق النص ، وما قبله وما بعده من نصوص .

ويكون مفهوم النص هو: إن شعرتم بأنفسكم أنكم لن تقعوا في عملية القسمة والتجزئة لليتامى عن أمهم ، ولن تأكلوا أموالهم (نفي لفعل حصول القسط) فانكحوا ما طاب لكم من أمهات اليتامى ، وتم استخدام كلمة (نساء) لأن أمهات اليتامى هن جزء من مفهوم النساء ، وبذلك الاستخدام أتى الشارع بفهم زائد على نكاح أم اليتامى ، وهو إباحة نكاح النساء عموماً إضافة للحكم الخاص لأمهات اليتامى ، ولو تم استخدام أمهات اليتامى عوضاً عن كلمة (النساء) لتم حصر التعددية بهن فقط . وبذلك يظهر العلاقة المنطقية بين فعل الشرط، وجواب الشرط في النص دون لبس أو إشكال.

ج- أما قوله فيما يتعلق بقوله تعالى :

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً۝وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً } النازعات (1-2)، وأمثال هذه النصوص الخبرية، إنها كلام فارغ لا قيمة له، ولا معنى .

فهذا عجيب وغريب من أن يصدر من دكتور فلسفة ! ألا يعلم هذا الفعل الناقص (عباس) **أن الفعل يستحيل أن يُدرك أبعاد ومعاني أفعال الفاعل كلها ! ناهيك عن استحالة إدراك مقاصد الفاعل !** ، لذا، سؤاله وإشكاله لا قيمة له البتة على أرض الواقع ، **فالنص القرآني لم ينزل إلى عباس فقط ليدرك معانيه ومقاصده، وإنما نزل إلى الناس جميعاً عبر الزمان والمكان، وكل مجتمع يأخذ نصيبه العلمي والمعرفي منه من خلال استخدام أرقى أدواته المعرفية التي وصل إليها ، ويتم الحكم على أحقية القرآن ومصدريته بصورة كُلية وعامة، فإن تم ذلك ثبتت مصدريته الربانية ، ويتعامل الإنسان معه بصورة نسبية بقيادة العقل، والعلم، ومنظومة القرآن، ويترك الجزئيات إلى غيره من المجتمعات اللاحقة لتقوم بمتابعة الدراسة والتراكم العلمي، وهكذا يستمر عطاء النص القرآني وصلاحيته لكل زمان ومكان ، مثله مثل أي علم من العلوم.**

لذا؛ ما قام به الفعل الناقص (عباس) هو موقف غير علمي ، لأن انتفاء علم الإنسان عن شيء لا ينفي وجود الشيء أو صوابه ، لأن الإنسان قاصر ومحدود العلم والمعرفة .

ح – لقد خلط بين دلالة فعل (قرأ)، ودلالة فعل (تلى) ، وعدَّ أن القراءة مصدر لفعل التلاوة .

خ – فسر آية { سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ }الفتح(29) ، بالكتلة التي تظهر على جبين الإنسان من أثر احتكاكه في السجود .

وهذا تفسير مضحك وهزلي ، فالنص يشير إلى سمة الإنسان المسلم سلوكياً من أثر خضوعه لأوامر الله ﷻ في المجتمع فيظهر بصفة الإنسان الصالح ، ويظهر ذلك على وجهه سروراً وبهجة و رضا وثقة بالنفس ، لا علاقة لذلك بالكتلة الدهنية التي تظهر على الجبين !.

د– ادعى أن الفلسفات أنكرت وجود الله.

والصواب، أنها اختلفت في ماهية الله، وأحديته، وليس في وجوده.

ذ- وصف مسألة إنكار وجود الله بأنها الحق المبين .

ولا أدري كيف يكون نفي الفاعل حق مبين مع إثبات وجود الفعل الذي يمثله عباس نفسه ! .

ر- فَهم أن الدعاء في القرآن هو سبب حتمي لحصول الأشياء ، فقام بالدعاء فلم يَتم الاستجابة له ، فأنكر وجود الفاعل لأنه لم يرد عليه! .

وكأن الفاعل يَستمد وجوده من فعله، أو اعتراف الفعل به !.

ز- كذبه وافتراؤه بوجود آيات كثيرة معارضة للحقائق العلمية في القرآن.

س- عدَّ أن النص القرآني فوضوي ومُقطَّع الأوصال، والمواضيع لعجزه عن التعامل معه.

وفاته أن القرآن له نظام خاص به، ومفاتيح داخلية، وخارجية لدراسته كامنة في ذات النص.

هذا ما تيسر لي على عُجالة في الرد على عباس (الفعل الناقص) ، وتبيين جهله وعواره ، وأن كتابه لا يصلح للقراءة قط، ولا يضر أحداً ، ولا خوف منه ، ولا من غيره على الحق أبداً، ولم يصل إلى مستوى أن يُطلق عليه أخطر كتاب إلحاد في تاريخ البشرية !، وليس من عادتي أن أرد على أمثاله ، ولكن استفزني هذا الوصف له من بعض الأخوة والمنتديات الذين يُرَوّجون له، فكتبت نقدي هذا لتعريفهم بمستوى الكتاب ، وهبوطه الفكري ، وضحالته .

{وَقُلْ جَآءَ الْحَقّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} الإسراء(81)

{ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ}البقرة (111)



لمحة عن المؤلف

سامر بن محمد نزار إسلامبولي

تولد : دمشق... سورية... / 1963/م

باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي

عضو في اتحاد الكُتّاب العرب .

نُشر له مقالات في مجلة العالم، ومجلة إسلام 21 ، ومجلة شباب لك ، وجريدة الوقت البحرينية، والمثقف ، وجريدة الأسبوع الأدبي .

مؤلفاته حسب ترتيب ظهورها

1- علم الله وحرية الإنسان ... .دمشق – دار الأهالي / 1994 / م

2- دراسة نقدية لمفاهيم أصولية .... دمشق – دار الحكمة /1995/ م

(الآحاد، الإجماع، النسخ) ط 2 / دار الأوائل /2002/ م

3- الألوهية والحاكمية ....دمشق دار الأوائل /1998/ / م

4- تحرير العقل من النقل ....دمشق دار الأوائل /1998/ م

وقراءة نقدية لخمسين حديث من البخاري ومسلم

5- المرأة (مفاهيم ينبغي أن تصحح)..........دمشق دار الأوائل /1998/ م

6- ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة ....دمشق دار الأوائل /2002/ م

(رد على كتاب: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة)

7- القرآن بين اللغة والواقع ....دمشق دار الأوائل/2005/ م

تقديم الأستاذ د. سمير إبراهيم حسن .عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية في دمشق. والأستاذ : د. محمد الحبش . مدير مركز الدراسات الإسلامية في دمشق

8- القرآن من الهجر إلى التفعيل .... دمشق دار الأوائل /2008/م

9- علمية اللسان العربي وعالميته . تقديم الأستاذ د . مازن الوعر . أستاذ علم اللسانيات في جامعة دمشق

10- دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير.

تقديم الأستاذ : جودت سعيد ، والأستاذ : ندرة اليازجي .

11-مفهوم السنة غير الحديث . رسالة صغيرة .2008م

12-غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري وليس قرآنياً. رسالة صغيرة.2008م

13-حوارات ثقافية . 2011م

14- ميلاد امرأة (قصة نفسية واجتماعية). تقديم الأستاذ : ندرة اليازجي .

15- مفاهيم ثقافية . الله ، الحرية، الشيء ، العدم ، الموت ، الثالوث ، التقمص .

16- اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي

17- فتاوى أزهرية وأفكار فلسفية (قصص فكاهية).

18- نبي الإسلام غير نبي المسلمين

19- مسودة مشروع ثقافي راشدي

عنوان الباحث

مصر – القاهرة

s.islambouli@gmail.com

موبايل 00201141025253